حضرموت الثقافية

Hadhramaut AL-Thaqafiah Magazine - June - 2020 نو القعدة ١٤٤١هـ

مجلة فصلية - السنة الرابعة العدد (16)

مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

Hadhramaut Centre for Historical Studies
Documentation and Publication.

الجوانب الإدارية في الأمثال الحضرمية



ما الذي نقمه ابن عبيدالله السقاف في التواريخ الحضرمية؟



أثر الاغتراب في الأدب علي أحمد باكثير نموذجا



ترجمة مختصرة للشيخ العلامة مُبارك الصَّدَفي الجُوهي



الحزم.. حوطة بين دولتين

من أعلام حضرموت



الشيخ المؤرخ

عبدالله بن أحمد بن محسن الناخبي

(ت ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)

حضرموت الثقافية

مجلة فصلية

السنة الرابعة العدد (16)

أبريل - يونيو 2020م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ. د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

سكرتير التحرير

أنور سالم باكركر

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار

أ. د. عبدالله صالح بابعير

أ. د. ناجي جعفر الكثيري

أ. د. مسعود سعيد عمشوش

أ.د. خالد يسلم بلخشر

د. حسن صالح الغلام العمودي

د. طه حسين الحضرمي

د. أحمد سعيد عبيدون

د. صادق عمر مكنون

التنفيذ الطباعي

مطابع وحدين الحديثة للأوفست - المكلا

- المواضيع المنشورة تعبّر عن آراء أصحابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

- ترتيب المواد جاء وفق ضرورات فنية إخراجية.

- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتسلمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر. ولا تلتزم بنشر المقالات المرسلة إليها بخط اليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

Baaesa-١@hotmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

العنوان: المكلا - حي الشهيد - (معهد باشريف سابقًا) - ت. ٢٥٠١٢٥

محتويات العدد

حديث البداية

- التآمر على الذات ..... رئيس التحرير 4

أضواء

- الجوانب الإدارية في الأمثال الحضرمية ..... أ. محمد بن سالم بن علي جابر 8
- بُلْدَانُ وأَمَاكِنُ رَبْدَةِ الدِّيْن والسَّيطان المُجَاورَة لَها ..... محسن علوي باعلوي 13
- ما الذي نقمه ابن عبيدالله السقاف في التواريخ الحضرمية؟ ..... طارق بن محمد سكلوع العمودي 26
- الحزم ... حوطة بين دولتين ..... عبدالكريم محروس ميزان 28

دراسات

- المظاهر السياسية والحضارية للسلطنة الكثيرية في مدينة الشحر ..... محمد حسين بن الشيخ أبوبكر 37
- علماء حضرموت ودورهم الحضاري خلال القرن الحادي عشر الهجري علماء تريم أنموذجًا. علي سالم باهادي 54
- الأسماك والأحياء البحرية في بحر العرب.. ساحل حضرموت (أنموذجًا) ... عمر خميس بامتيرف 71

شخصيات

- ترجمة مختصرة لشيخ شيوخنا العلامة الشيخ مُبارك الصَّدَفي الجُوهي ..... د. زين محمد العيدروس 82

آثار

- النقوش العربية الجنوبية القديمة المكتوبة على الخشب ..... رياض باكرموم 85

نقد

- أثر الاغتراب في الأدب .. علي أحمد باكثير نموذجًا ..... د. عبدالحكيم الزبيدي 90
- صدق معيار الخطى القصار في شعر المحضار ..... د. هادون العطاس 97

كتابات

- في شعرية اللامرئي ..... د. سعيد الجريري 105
- في تأبين الشاعر عوض ناصر الشقاع ..... نجيب سعيد باوزير 106

إبداع

- هي هكذا الدنيا (قصيدة) ..... سالم عبدالله بن سلمان 109
- ذات مياه (قصيدة) ..... ياسر سعيد دحي 109
- سلافة الروح (قصيدة) ..... سعيد محمد بن هاوي باوزير 110
- نوافذ حضرمية على شجن في الطريق (سرد) ..... صالح بحرق 111

توقيع قلم

- (كما حمار الهجرين) ..... أ.د. عبدالله سعيد الجعيدي 112
- أبو المرتضى ..... د. عمر علوي بن شهاب 114

العدد (16)
ابريل
يونيو
2020م

التآمر على الذات



د. عبدالقادر علي باعيسى
رئيس التحرير

غالبًا ما يورث اختلاف المستوى الثقافي بين القراء بعض الإشكالات، نتيجة لسوء فهم، أو لعدم الإحاطة بالمفاهيم والمصطلحات التي يتخذها الكاتب، أو لعدم اطلاع على كتابات مماثلة أنتجها آخرون، فيلاحظ القارئ المتابع لبعض الكتابات والنقاشات الدائرة حولها ما يمكن تسميته اضطراب الأفكار والمستويات الثقافية، مما يؤثر على دقة الفكرة المراد مناقشتها، والتي قد تتضاءل فتغدو نقطة هامشية، أو غير موجودة، أمام انفلات الآراء والانفعالات ووجهات النظر الحرة، أعني غير المقيدة بالفكرة محور النقاش، يعلوها زبد آخر من السباب والسخرية، فكل يريد أن يغني بالطريقة التي تروق له، وذلك من حقه، لكن عندما تتداخل الأصوات وتضطرب حول موضوع معين يصبح العزف الجميل ضجيجًا. ولذا فمن المهم جدًّا تقارب الأصوات المتحاورة من حيث المستوى الثقافي، ودرجة الوعي، والإلمام الجيد بالموضوع منهجًا وفكرة.

لعل المشكلة تتمثل في أننا نميل في نقاشاتنا إلى ميولنا النفسية التي رسبت فينا منذ نعومة أظافرنا، أو ميولنا الحزبية أو العقدية، أو حتى الانفعالية التي لا

يضبطها ضابط سوى أننا نريد أن ننتصر لأهوائنا، وهذه كلها يمكن الحد منها إذا عرفنا كيف نقرأ بطريقة منهجية تجعل حركة الكاتب مرصودة أمامنا بوضوح، فنتابع خطوات منهجه، حتى إذا انحرف نحو انفعالاته الذاتية كشفه منهجه قبل أي شيء آخر. هذا إذا كان يكتب بمنهج، أما إذا كان يكتب بغير ذلك فحدث ولا حرج وأنت تراه يرمي ومن بعده مناقشوه بالآراء أخماسًا وأسداسًا أكثر من الخمسة أخماس والستة أسداس المحددة للشيء الواحد أو للفكرة الواحدة. ولذا فمن المهم أن تسود في ثقافتنا الكتابة والقراءة المنهجيتين قدر الإمكان حتى نوفر على أنفسنا كثيرًا من الانفعالات واضطراب الطرق في الوصول إلى المعرفة وتعزيزها في واقعنا العلمي.

ثم إن التسرع في بسط الموافقة وإبداء الإعجاب الناتج عن حالة الانبهار الأولى بما نقرأ لا يقل خطرًا عن المقاطعة غير العلمية، فتدخل الأفكار إلينا بوصفها أحوالاً نفسية أكثر منها وعيًا علميًا يحتاج إلى مزيد من التحليل والعقل في نقده وتطويره لا إلى مزيد من هوجاء الأهواء التي تقود إلى المهالك المعرفية حتى تثبت صورة الكاتب صاحب الرأي المختلف واسمه فينا كأنه عدو رجيم، متجاوزين حيوية كتابته، ولو في نقاط معدودة منها، وملحقين فكرته بشخصه، أيًّا كانت تلك الفكرة. ليست هذه ثقافة، وليس هذا وعيًا، هذا صراع نفسي وحزبي باسم الثقافة، يعمل على تدميرها، بحيث لا يمكن الاطمئنان إلى نتائج قائليه (العلمية) بصورة مقبولة؛ لأنهم ليسوا بالذين سمحوا بحضور أصوات الآخرين ومناقشتها بهدوء لاكتمال التصور، ولا بالذين امتدوا مكتملين بذاتهم إلى آخر الشوط مما لا يمكن أن يكون.

هل هناك مؤامرة وراء هذا؟! أبدًا، نحن الذين نتآمر على أنفسنا وعينا ذلك أم لم نع.

سكرتير مكتب الدكتور خالد القاسمي يزور المركز

إعلام المركز

استقبل البروفيسور عبدالله سعيد الجعيدي مدير مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، صباح الخميس ٢٣ يوليو ٢٠٢٠م الأخ خالد عمر كرامة بن ناصر باجبير سكرتير مكتب د. خالد محمد القاسمي مدير دار النشر العربي ومرافقه الشاب همام ابن الكاتب المعروف الأستاذ صالح مبارك عصبان.



حيث رحّب مدير المركز بالزائر وأكد على أهمية تعميق العلاقة التي تجمعه بالدكتور القاسمي متذكرًا اهتمامه الكبير بحضرموت وتاريخها وتراثها، ثم أوضح للأخ باجبير رسالة المركز والأنشطة والفعاليات التي يقوم بها، وكذلك الإصدارات من كتب وكتيبات، وفصليًا مجلة حضرموت الثقافية التي تعد الإصدار التاريخي الثقافي المميز على مستوى حضرموت.



من جانبه أبدى الأخ خالد بن ناصر باجبير ارتياحه وسعادته لهذه الزيارة العاجلة واطلاعه على مركز حضرموت وما يقوم به من أعمال وأنشطة وكذلك اللقاء بالقائمين عليه من الدكاترة والأساتذة، متمنيًا لهم التوفيق والنجاح، كما نقل تحيات وسلام الدكتور خالد القاسمي وتمنياته بزيارة قادمة إلى مركز حضرموت والمحافظة ككل إذا انقشعت هذه الغمة الصحية، وأوضح باجبير للحضور توضيحًا لأعمال الدكتور خالد ودار النشر العربي التي موقعها القاهرة.

حضر اللقاء أ.د. سالم عبدالله باصريح رئيس لجنة البلدان في الموسوعة الحضرمية ود. حسن صالح الغلام العمودي مدير إدارة البحوث والدراسات رئيس لجنة القبائل والأسر بالموسوعة الحضرمية، ود. عبدالقادر علي باعيسى مدير إدارة الإعلام والثقافة بالمركز وأ. طه بافضل مدير المحتوى الإلكتروني، وعدد من موظفي المركز، وقد عبروا للضيف عن سعادتهم الكبيرة بهذه الزيارة آملين توثيق وتعزيز علاقات التبادل بين المركز ومكتب الدكتور خالد القاسمي ودار النشر العربي، فالهم الثقافي مشترك بين الطرفين، في جوانب الطباعة وتبادل الخبرات..

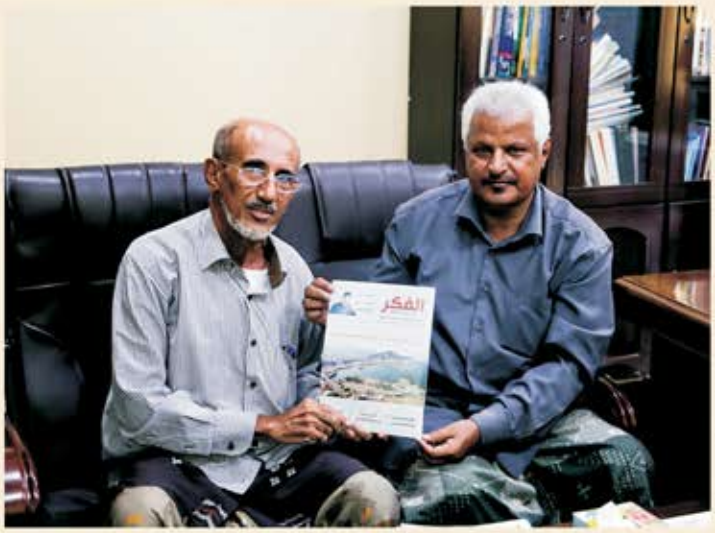
وسلّم الأخ خالد باجبير البروفيسور الجعيدي رسالة من الدكتور خالد القاسمي وقام الجعيدي بدوره تسليمه ردًا كتابيًا على الرسالة..





7
العدد (16)
ابريل
يونيو
2020م

مدير المركز يهنئ الأستاذ نجيب باوزير على إصدار "الفكر"



إعلام المركز

استقبل أ. د. عبدالله سعيد الجعيدي مدير مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بمكتبه الأربعاء ٣٠/ ٧/ ٢٠٢٠م الأستاذ نجيب سعيد باوزير مدير مكتبة الصالحية للنشر والتوزيع ورئيس تحرير مجلة الفكر الفصلية ومرافقه الأستاذ سالم القاضي باوزير، حيث تبادلوا أطراف الحديث عن مستجدات الحركة الثقافية في زمن جائحة كورونا والصعوبات التي رافقت وما زالت ترافق العمل البحثي والتوثيقي في أعمال مراكز البحوث والدراسات، ودور النشر والطباعة، متمنين للجميع في الوطن موفور الصحة والسلامة، وأن تعود الحياة إلى طبيعتها..



من جانبه أشاد الأستاذ سالم القاضي باوزير بالتطورات التي وصل إليها مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، راجيًا له وللقائمين عليه كل التوفيق والنجاح..

حضر اللقاء د. عبدالقادر علي باعيسى مدير إدارة الإعلام والثقافة بالمركز.

وفي ختام الزيارة أهدى الأستاذ نجيب المركز العدد الأخير من مجلة الفكر الذي طبع مؤخرًا، بالمقابل قدّم د.الجعيدي له الشكر والتهنئة بالإصدار خصوصًا وهو يصدر في الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد..



8
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

الجوانب الإدارية في الأمثال الحضرمية



أ. محمد بن سالم بن علي جابر

ما هي الإدارة:

العمل الإداري نشاط يهدف إلى تحقيق الأهداف في ضوء الإمكانات والظروف المتاحة، فلقد عرّف فريدريك تايلر (F.Taylor) الإدارة بأنها: المعرفة الصحيحة لما يراد أن يقوم به العاملون ثم التأكد من أنهم يفعلون ذلك بأحسن طريقة وأرخص التكاليف(١)، كما عرف هنري فايول (H.Fayol) الإدارة من خلال تحديد عمل المدير فيقول: إن معنى مدير هو أن تتنبأ وتخطط وتنظم وتصدر أوامر وتنسق وتراقب(٢). وينظر كونتز وأدونيل (Koontz & Odonnel) (٣) للإدارة أنها سلسلة من الأنشطة المتتابعة والمتكاملة، التي تبدأ بتحديد الأهداف، ثم رسم طريقة الوصول إليها من خلال إعداد أنشطة التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة، وهو ما يطلق عليه العملية الإدارية (The Management Process) (٤). أما علي عبدالوهاب فيعرفها بأنها: عملية اجتماعية مستمرة تعمل على استغلال الموارد المتاحة استغلالاً أمثل، عن طريق التخطيط والتنظيم والقيادة والرقابة، للوصول إلى هدف محدد(٥).

وتتكون العملية الإدارية من عدد من المبادئ، فهناك شبه إجماع بين علماء الإدارة على أن أهم وظائف ومبادئ الإدارة هي: التخطيط، التنظيم، التوجيه، الرقابة، اتخاذ القرارات(٦)، وما من وظيفة من هذه الوظائف إلا وفي الأمثال الحضرمية ما يشير إليها، ذلك أن الحضرمي إداري بطبعه، فهو التاجر الصدوق والإداري الناجح، وهذا ما يشهد به التاريخ ويؤكده الواقع، فبنظرة سريعة إلى واقع الحضارمة في الوطن والمهجر نلمس مدى صدق ما ذهبنا إليه، إذ نجد الكثير منهم يتربع على عروش كبريات الشركات والمؤسسات الناجحة، فالخلفية الثقافية الحضرمية تساعد كثيراً على صنع الرجل القيادي، وهذا ما سنلمسه من استعراض الأمثال التي تعبر عن الثقافة الشعبية للمجتمع الحضرمي.

وإذا كانت الأمثال تتشابه في كثير من المجتمعات فإنه يبقى لكل مجتمع خصوصيته في بعضها، وأنا لا أدعي هنا أن الأمثال في المجتمعات الأخرى تخلو من جوانب الإدارة وإنما قصدت أن أتلمس هذه الجوانب الإدارية وأبعادها في الأمثال الحضرمية، ولا يمنع ذلك من وجود شبيه بها في أمثال الشعوب الأخرى. ولعلنا هنا نستعرض

أهم المبادئ الإدارية، متلمسين صلتها بالأمثال الحضرمية ومدى تأثيرها في تشكيل شخصية الفرد الحضرمي.

إدارة الذات:

يركز الإداريون اهتمامهم على قضية إدارة الذات، مؤكدين أن من لا يستطيع إدارة ذاته فإنه لا يستطيع أن يدير الآخرين، ويُعد المثل الحضرمي: **(إذا صلح هاجس الدار صلحت جميع الهواجس)** تعبيرًا بليغًا عن إدارة الذات، إذ يقرر أنه متى ما صلحت أمور الإنسان في بيته فإنه مؤشر على صلاح بقية أموره، ويمكننا بذلك القول بأن المثل يفيدنا بأن من يستطيع إدارة بيته وأهله ويتخطى مشاكله العائلية بمعالجتها أو القفز من فوقها دون أن تكون عامل إحباط له، فإنه من ثم يكون قادرًا بإذن الله على معالجة العقبات الأخرى وتخطيها، التي من الممكن أن تعترض سبيله في حياته العملية، ومن ثم فإن من لا يستطيع أن يدير نفسه وبيته فإنه لا يستطيع أن يدير الآخرين ولا أن يحقق أهدافه من خلالهم، فيا لها من كلمات يسيرة تحمل في طيَّاتها معاني كبيرة.

يُعد المثل الحضرمي: (إذا صلح هاجس الدار صلحت جميع الهواجس) تعبيرًا بليغًا عن إدارة الذات، إذ يقرر أنه متى ما صلحت أمور الإنسان في بيته فإنه مؤشر على صلاح بقية أموره.

جانب التخطيط:

من أبرز عناصر التخطيط تحديد الأهداف وترتيب الأولويات، فالمدير الناجح هو الذي يخطط لأعماله الحالية والمستقبلية فيحدد أهدافه ويرتبها حسب أهميتها وذلك بإعطاء الأهداف ذات الأهمية الكبرى الأولوية في التنفيذ، ومن أمثالنا الشعبية في ذلك قولهم: **(ما حد يلقي سقاية وأهل بيته ظما)**، والمعنى أنه لا يصح عقلاً أن يقوم شخص ما ببناء سقاية ليشرب منها عابرو السبيل ويدع أهل بيته الذين تلزمه نفقتهم والعناية بهم دون ماء يشربون منه، فالأولى به أن يسد حاجة أهله أولاً ومن ثمّ يعمل لسد حاجة الآخرين، فدلالة المثل على ترتيب الأولويات دلالة صريحة فالأهم أولاً ثم يأتي بعده المهم، وذلك بالطبع في حدود الإمكانات المتاحة، وهذا ما يشير إليه قولهم **(على قدر فرشك مد رجيلك)**، فلا يكلف الإنسان نفسه فوق ما يطيق بل يسعى لتوظيف الإمكانات المتاحة لديه بما يكفل له تحقيق أهدافه دون تقاعس، فليس المراد بمد الرجل على قدر الفراش أن يخضع الإنسان للظروف المحيطة به، بل إذا كان الفراش لا يتسع لرجله إذا مدها فإنه ينبغي عليه أن يسعى لإطالة هذا الفرش ليسع رجليه، ومن ثمّ يشمر عن ساعد الجد ويتذرع بالصبر والمثابرة في تحقيق تلك الأهداف فـ**(الصابر ظافر والمستعجل عاثر)**، أو كما قيل **(الصبر مفتاح الفرج)**، و**(من سار على الدرب وصل)**.

جانب التنظيم:

يعد التنظيم من أهم مقومات نجاح العمل الإداري وهو وظيفة إدارية رئيسة، تسعى إلى تحديد كل النشاطات المتاحة في المؤسسة، وتحديد أوجهها، ثم تقسيمها إلى مجموعات من الأعمال، يمكن إسناد كل منها إلى الشخص الذي تتوافر فيه صفات وشروط معينة، مع توضيح كل الحقوق والالتزامات، وكذلك العلاقات الداخلية بين الموظفين، رؤساء ومرؤوسين في المؤسسة، والمتعاملين معها من الخارج أفرادًا ومؤسسات، في ضوء أحكام وتعليمات

مصدرها الشريعة الإسلامية، وذلك من أجل تحقيق أهداف مشروعة(٧). والحضرمي يعرف أهمية ذلك لمعرفته بالمثل المشهور الذي يقول: **(إما حراثة بقوة وإلا تجارة بقانون)** والقانون هو النظام الذي تسير عليه المنشأة الإدارية.

جانب التوجيه:

التوجيه هو الاتصال بالمرؤوسين وإرشادهم وترغيبهم في العمل لتحقيق الأهداف، فالتوجيه بهذا المعنى... ينحصر في توجيه الآخرين ونصحهم وإرشادهم في أثناء قيامهم بتنفيذ الأعمال الموكلة إليهم(٨).

فالإداري الناجح هو الذي يوجه مرؤوسيه ويرشدهم إلى مواطن الصعاب، ويبين لهم العقبات التي من الممكن أن تعترض سبيلهم، ويترك لهم بعد ذلك الحرية في اختيار السبل التي يرونها كفيلة بتحقيق النجاح في تجاوز تلك الصعاب.

ومن الأمثلة الشعبية في ذلك المثل: (قل لي منترة لا ترترنا).

وهذا المثل يحكي قصة رجل يقود آخر أعمى ممسكًا بيده ليقيه عثرات الطريق، وعند وصولهم إلى مكان منحدر أخذ القائد يجذب الأعمى حتى لا يقع في المنحدر (المنترة)، فما كان من الأعمى إلا أن طلب منه أن يخبره أن هناك منحدر ولا حاجة بعد ذلك لأن يجذبه أو يشده مخافة أن يقع لأنه سيأخذ جانب الحذر والحيطة.

وتبرز أهمية العملية التوجيهية في حياة المديرين والمسؤولين حينما تأتي النتائج الإيجابية وتُقطف ثمار النصائح والتوجيهات الهادفة، فيشعر المدير أو المسؤول أن أحد موظفيه قد وصل إلى المنزلة المرموقة بفضل الله، ثم بفضل توجيهاته وتوصياته وقيادته الهادفة.

جانب الرقابة:

لا تستقيم العملية الإدارية دون عنصر الرقابة أو المتابعة، وتعد الرقابة مرحلة مكمّلة لحسن الإدارة وهي عملية متابعة دائمة تهدف أساسًا إلى التأكد من أن الأعمال الإدارية تسير في اتجاه الأهداف المخططة بصورة مرضية، كما تهدف إلى الكشف عن الأخطاء والانحرافات، ثمّ تصحيح تلك الأخطاء والانحرافات بعد تحديد المسؤول عنها ومحاسبته المحاسبة القانونية العادلة(٩).

و(لي ما يحضر عند شاته تجيب تيس)، هذا ما تقرره الأمثال الحضرمية بشأن الرقابة، فالإداري ينبغي أن تكون له قدرة على مراقبة مرؤوسيه.

تلازم الرقابة عملية التخطيط وتعتمد عليها، إذ لا بد للمراقب أن يكون على علم بالتخطيط الإداري ليتسنى له القيامُ بمهامه الرقابية وفقًا لما هو مخطط، ومعرفةُ مدى الخروج عن المعايير المخطط لها، ومتى يحصل ذلك.

ومتى غاب الرقيب اختل سير العمل فـ**(إذا راح الهر تميح يا جرذا)، و(لي ما يحضر عند شاته تجيب تيس)**، هذا ما تقرره الأمثال الحضرمية بشأن الرقابة، فالإداري ينبغي أن تكون له قدرة على مراقبة مرؤوسيه دون أن يكون ذلك عائقًا لهم عن العمل والإبداع، ولكن يسدد ويقارب ويعمل بالمثل الذي يقول: **(طير يا طير والحبل بيدي)**. (هذا في التفويض).

جانب اتخاذ القرارات:

لا شك أن حسن اتخاذ القرارات عامل مهم في نجاح العملية الإدارية، ولا بد لاتخاذ أي قرار ناجح أن تكون هناك معلومات وافية يُبنى عليها القرار.

إلا أن بعض القرارات تحتاج إلى تصرف سريع ومبادرة فورية مما يجعل التأني أمراً غير مرغوب فيه حتى لا يكون الأمر كما قيل **(من شاور ما قتل)**.

وقد اهتمت الإدارة الحديثة بالأسلوب العلمي في اتخاذ القرارات المتمثل في تشخيص المشكلة وتحديدها، ووضع المقترحات المناسبة لحلها وتقويمها، ومن ثم اختيار المناسب منها وتنفيذه، ومتابعة نتائجه(١٠).

والإداري هو الذي يضع الأمور في نصابها ويقدرها حق التقدير، ويحسب عواقب تصرفاته إيمانًا منه بأن **(من أكله بيض يوطيه فراريخ)**.

هذا وتندرج تحت هذه المبادئ الإدارية العامة بعض المبادئ الأخرى التي لا غنى لأي إداري عنها ومن تلك المبادئ:

السرية:

وهي تحظى بجانب كبير من اهتمامات الإداري الحضرمي لإيمانه بأهميتها في نجاح العمل، فهو يؤمن بالمثل القائل **(لسانك حصانك إن صنته صانك وإن هنته هانك)**، وهو يعلم يقينًا أن أكثر ما يصيب الإنسان بسبب لسانه **(ما شري إلا لساني يا ريت ما لي لسان)**، فـ**(عطال الإنسان من اللسان)**، ومن هنا نجد الحضرمي يحمل دائماً شعار (خيار العلم قولة ما دريت، إن شفت شي ما قلت شي، وإن حد حكى لي ما حكيت).

بناء السمعة:

وهو أمر أساس في نجاح العمل، ومن هنا ينبغي للإداري الناجح أن يسعى جاهدًا لتحسين سمعة منشأته لتحظى بنصيب وافر من السوق، ولا يتأتى ذلك إلا بالسمعة الحسنة التي يتناقلها الناس فيما بينهم، لذا فقد قيل **(فعل وغيرك يخبر)**، **(والزين زين الأفعال أما الزين ساعة ودال)**.

تحقيق الانسجام بين العاملين:

فالإداري الناجح يخلق حوله مجموعة قيادية جديرة، وهي ما تسمى بالفريق الإداري أو المجموعة العقلية، يكون بينهم نوع من التوافق والتفاهم والانسجام فـ**(ما يعرف رطني إلا ابن بطني)**.

والحضرمي يؤمن أن المهام لا تتحقق إلا بالمتابعة وأن **(صاحب الحاجة أعنى بالطلب)**، وأنه **(ما تنقضي إلا حاجة من دحق بالرجيل)**.

التطوير والتدريب:

وهو من ضرورات العمل الإداري سواء على مستوى المديرين أو العاملين، وقد اهتمت الأمثال الحضرمية بهذا الجانب المهم فكان مما قالوا في ذلك **(قال الشبامي فتح اثمك)**، والمقصود فتح الفم بغرض السؤال عما لا تعلم، وهو يعلمنا ألا نقف عند حد معين من العلم بل نستزيد كلما أمكن ذلك بالسؤال لدى أهل الخبرة والدراية، وبذا لا يستحيي المرء من عدم المعرفه بل يفتح فمه بالسؤال عن ما لا يعلمه لكي يزداد معرفة وقوة، وبما أن الإنسان مؤثرٌ ومُؤَثَرٌ فيه جاء قولهم (ساير الجيد واعلق من ناره)، من باب الحث على مصاحبة الأخيار من أهل الصلاح والدراية للاستفادة منهم في كسب الخصال الحميدة والصفات الحسنة، وحيث إن الإنسان لا يولد معلماً كان الخطأ طريق الصواب، ولا بد للإنسان من أن يتعلم من أخطائه ويتعظ بها، وأن تكون له **(كل دقة بتعلومة)**.

الاستشارة:

وهي مبدأ مهم يساعد في تجنب الوقوع في المزالق فـ**(من شاور شور)**. وكما قيل **(البعير ما يشوف عواج رقبته)**، فلا بد إذن من الاستشارة للتعرف على مواطن الخلل التي لا يبصرها الإنسان من نفسه ولا يدرك حجمها إلا بتلمس آراء الآخرين فيها.

التخصص:

إذ إن وضع الرجل المناسب في المكان المناسب أمر مهم في العملية الإدارية فـ(**كل بلاد ارمها بحصاتها**)، و(**استانس بالخال ياتيك الولد والبنت ترجع قداعماتها**).

التفويض:

وهو توكيل بعض المهام إلى المرؤوسين ومنحهم الصلاحيات اللازمة لتنفيذ تلك المهام، ويعدّ خطوة مهمة نحو إدارة الوقت وتحقيق الأهداف. والأمثال الحضرمية تحث المدير على تفويض الأمور والابتعاد عن البيروقراطية، إذ إن قدرات الإنسان تقصر عن أن يقوم بعدد من الأعمال في وقت واحد فـ(**صاحب الحاجتين كذاب والثالثة حرامي**)، أو كما قيل: (**من كل بيدين افتقش**).

وإلى جانب القدرة على التفويض يتحتم أن لا ينسى المثل الذي يقول: (**طر يا طير والحبل بيدي**)، فهو وإن ترك لمرؤوسيه حرية التصرف واتخاذ القرارات لا بد أن تكون لديه القدرة على السيطرة على الأمور لتسير كما يريد لها أن تسير.

وأن يحرص على قول لا لمن يضيع عليه وقته في زيارات أو طلبات لا تعد من صميم عمله لأن (**من جامل تكلّف**).

مراعاة حال العامل المكلف:

وهو مبدأ يجب الأخذ به عند تكليف شخص ما بعمل ما، فلا يُكلف بما لا يُتقنه، ولا يُكلف بما لا يُطيق من الأعمال، لأن (**من شل حصاة كبيرة ما حذفه**)، فالإنسان إذا كُلِّف بما ليس في وسعه عجز عن أدائه، وإن أداه أداه وفيه خلل وقصور.

التحفيز:

وهو أمر مهم لرفع معنوية العاملين وإشعال روح التنافس بينهم، فليس من إنسان يكد ويكدح إلا لتحقيق هدف مادي أو معنوي فـ(**ما مصلي إلا وطالب مغفرة**)، ومن التحفيز مراعاة العدل بين العاملين ومكافأة المحسن على إحسانه ولا يكون الحال كما قيل: (**بعير يعصر وبعير يوكل التخ**)؛ لأن ذلك يعود بآثار سلبية وأضرار جسيمة على العمل.

ما لا يدرك جله لا يترك كله:

قاعدة مهمة في العمل الإداري والسعي لتحقيق الأهداف، فقد لا يستطيع الإداري أن يحقق جميع طموحاته وأهدافه، ولكن ليس معنى ذلك أن يتخلى عما يمكن تحقيقه من الأهداف وإن قل، وهذا ما تؤكده الأمثال في المجتمع الحضرمي والتي منها: (**لا فاتك اللحم شرب المرق**)، (**ريح بو علي ولا عدمه**)، (**عشاء قضوض خير من وحش**)، (**كازوز ولا غدرا**)، (**الجهر ولا العور**).

الهوامش:

١) Taylor, F., Shop Management, Harper and Brothers. N. Y.: 1903, P. 21.

٢) Fayol, H., General And Industrial Management, N.Y: Pitman Pub. Co.,Marshal:1949. P.6.

(٣) كونتز وأدونيل: كاتبان أمريكيان عرضا في كتابهما "الإدارة: نظام لتحليل الوظائف الإدارية" أن المهمة الرئيسة للمدير هي إيجاد المناخ الذي يعمل فيه الأفراد كمجموعة متعاونة لتحقيق أهداف الإدارة. انظر: (عسكر، سمير أحمد، أصول الإدارة، مرجع سابق، ص٢٣).

(٤) عسكر، سمير أحمد، أصول الإدارة، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٥) عبدالوهاب، علي، مقدمة في الإدارة، معهد الإدارة العامة، الرياض، ١٩٨٢م، ص ١٣.

(٦) البرعي، محمد عبدالله، مبادئ الإدارة والقيادة في الإسلام، مطابع الحميضي، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ٢٩.

(٧) المزجاجي، أحمد داود، التنظيم الإداري في الإسلام: مفهومه وخصائصه، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد (٣)، العلوم الإدارية(١)، ص ص(٣٥-٧٥)، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٣٩.

(٨) البرعي، محمد عبدالله، وعابدين، عدنان حمدي، الإدارة في التراث الإسلامي، مكتبة الخدمات الحديثة، جدة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ج١، ص ٦٠ بتصرّف.

(٩) أبو سن، أحمد إبراهيم، الإدارة في الإسلام، دار الخريجي، الرياض، ط٦، ١٤١٧هـ، ص ١٤٦.

(١٠) سلامة، سهيل فهد، إدارة الوقت: منهج متطور للنجاح، المنظمة العربية للعلوم الإدارية، إدارة البحوث والدراسات، عمان، ١٩٨٨م، ص ٨٥- ٨٦.

بُلْدَانُ وأَمَاكِنُ رَيْدَةِ الدَّيِّن والسِّيطَانِ المُجَاوِرَة لَها

(الحلقة الرابعة)



محسن علوي أبوبكر باعلوي

حَرْفُ الحَاءِ المُهْمَلَة

الحَاجِب:

بـفتح الحاء، وكسر الجيم: صَبْرٌ كالحَرْف والحَدِّ يقـع تحت الحتار. ويجمع عندهم على حُجْبان بضم أوله.

وفي (تاج العروس للزَّبـيدي ٢/ ٢٣٩- ٢٤١): «الحجاب: ما أشـرَفَ من الجبـل... والحَجِب ككتف: الأكَمَة، وفي التكملة: الأجمة... وذكر الأصمعي أن امرأة قـدَّمت إلى رجُل خبزة، أو قَرصة، فجعل يأكل من وسـطها، فقـالت له: كُلْ من حواجبها: أي حروفها».

وينبت في الحاجب أشجار الشَّخَر: بفتح الشين المثقـلة، والخاء: وهي تعني عند أهل هذه الجهات: أشجار الشَّوك كالعُشرُ، والقَرَظ، والسَّمُر، والضُّب، والقـتاد، والنَّتَش، وفي (تاج العروس للزَّبـيدي ١٢/ ١٤٨): «والأشْخر: شـجر العُشر لغة يمانية، وبـه لُقـب خاتمة فقـهاء اليمن: أبوبكر محمد بن أبي بـكر (ت٩٩١هـ)، تلميذ ابـن حَجَر (ت ٩٧٤هـ)». انتهى كلام الزبـيدي بـزيادة ما بـين القوسين، وهو تاريخ الوفاة.

وفي الرَّيدة حُجبان عدة منها:

حـاجب الغَتِر: بـفتح الغين، وكسر التاء: خلاء يشـمل مجموعة عَطَف -بـفتح أوله، وثانيه-: يقـع فوق شـعب (الملاح) في الجهة الغربية لـ(بـراورة)، تنمو فيه الأشـجار السَّابق ذكرها.

الحِتَار:

بكسر الحاء، وفتح التاء: ويقال له: (حتار باصرةٌ) يقع في الجهة الشَّمالية في رأس قرية (الذِّياب)، وفي جهته القبلية (المَعْصُورة).

والحتار يقع ضمن سـوط الأشـاعلة، وهو -أي سـوط الأشاعلة- خارج حدود ريدة الدَّيِّن، يحد الرَّيدة من الجهة الشَّمالية.

والذياب تنقسم إلى ثلاثة جوار (أحياء): حتار بـاصرة، والمعصورة وفيها آل (باثابـت) من الأشـاعلة الكَرَب، وجور السَّادة، وقد مضى ذكره في حرف الجيم.

وسُمِّيت بذلك لأنها تقع على حتار، والحتار صَبْرٌ صغير دون الأقحل، وقد سبق بيان (الأقحل) في حـرف الألف، وهم يجمعون الحتار على حِتْرَان بكسر الحاء.

وفي (تاج العروس ١٠/ ٥٢٥): «الحَتَرُ: ما ارتفع من الأرض، وطال»، وفيه: «الحِتار من كل شيء كفافه، وحرفه، وما استدار به، وأحاط كحِتار الأذن». اهـ.

فالحتار، والحاجب من أسماء الصِبَار في (ريدة الدَّيِّن)، ومعناهما متقارب، بمعنى حرف الجبل، إلا أن الحتار فوق الحاجب، ودون الأقحل، وقد سبق ذكر ترتيب هذه الصِّبار في (الأشعر) من حرف الألف، والصِّبار: جمع صَبَرْ، وهو بمعنى الهضْبة المستوية.

ويسكن قرية (الحتار) الأباصِرة: بكسر الصَّاد، وينطقها أهل هذه الجهات: (لباصِرة): بحذف الألف، وكسر الراء، وقد سبقت نظائره، ويقال لهم أيضًا: باصرٌان.

والأباصرة، أو الباصرٌان: هم آل باصرٌة: بضم الصَّاد، وفتح الراء المثقلة، وهم من الأشاعِلة الكَرَب، ومرجعهم إلى قبيلة حمير.

والأباصرة الذين يسكنون (الحتار) كلهم من دار واحدة، أي ينتسبون إلى رجل واحد.

وفي (حتار باصرة) يقول الشاعر:

وسلام يا حتار باصرٌة ... وسلام لهْلك وجيرٌانك

قدْ جيْت عاني ومتْعنِّي ... يا خُو علي جيْت في شَانك

وينبغي التنبيه إلى أن هذا الاسم أو الكنية: (باصرٌة) يقع في قبائل عدَّة:

١- فباصرٌة كما سبق أشعلي كُربي.

٢- وباصرٌة: من السَّادة العلويين، وهم من سلالة أحمد المعلم بن حسن الطويل كما في (المعجم اللطيف للشَّاطري)، ومساكنهم بالوادي الأيسر من وادي دوعن.

٣- وباصرٌة: خمْعي، ومساكنهم بوادي (دوعن)، ومنهم نائب القعيطي الشهير المقدم عمر بن أحمد باصرٌة.

وفي (الحتار) مسجد، وأكثر من كريف للماء.

ويستقي الحتار من الرؤوس القبليَّة بين الحتار، والحريث، ويصب في (الذِّياب).

ويشتغل أهلها بالرَّعي، والحرث، والبيع والشراء.

* والحتار: أيضًا شرج من شروج (براورة) ويقع في الجهة الغربية لبراورة، وهو شرج زراعي للسَّادة آل الجيلاني، وفيه مراع للنَّشرة -الإبل، والغنم- ويزرع فيه الذُّرة، والقمح، والدُّخن، والدِّجر، وتوجد به أشجار السَّمُر، والضَّب، والعوسج، والقتاد، والعلب.

وهو مشهور بكثرة الأرانب البريَّة؛ ولهذا قيل: (إيه في الحتار، قالوا أرنب تعكر عكار).

و(تعكر) معناها تثير الغبار، من اعتكرت الريح: جاءت بالغبار كما في (تاج العروس للزَّبيدي ١٣/ ١١٩)، وهم على لهجتهم يقولون في مصدره: (عكار)، وأهل الساحل يقولون: عكير.

ويُسقى (حتار السَّادة) من شرج (باظفار)، ويصب في شعب (الملاح) ثم في (الحَنكة).

الحِتَارَين:

على صيغة التثنية، من شروج (براورة) يقع في الجهة الغربية لبراورة.

سمي بالحتارين؛ لأنه يقع في الحنكة بين حتارين.

و(الحتارين): شرج زراعي ومرعى للنشرة، يُسقى من (خبيَّات الزِّير)، ومن (عروض بَرِيْرة)، ويصب في شعب (الملاح).

كان في القديم بَيْدٌ، ثم تمَّ إصلاحه، وتوسيعه. وليس به اليوم سوى بيت واحد من آل الجيلاني.

حِجِل باجِعَيْم:

الحِجِل: بكسر الحاء والجيم: وهو بمعنى المزرعة، وجعَيْم: بكسر الجيم، وفتح العين، وسكون الياء: شرج زراعي يتبع أهل (الضَّليعة)، ويقع في شمال الضَّليعة، ويبعد عنها بنحو (٢ كم).

وهو ملك لآل (باعَبَد): بفتح العين والباء، من أهل الضَّليعة، ويحتمل أنهم اشتروه من آل (باجعيم). (إفادة من الأستاذ: عمر باعبد).

الحِجْلَين:

بكسر الحاء، وسكون الجيم، وفتح اللام، وسكون الياء على صيغة التثنية، والحجل: هو المزرعة، وقد مضى إيضاحه في (الأحجال) من حرف الألف.

وسميت بالحجلين: لأنه يوجد بها حجلان أحدهما بالجانب الأيمن، والآخر بالجانب الأيسر.

والحجلين: من كُبريات مُدن رَيدة الدَّين، وهي قاعدة آل (بايومين) الكندي في ريدة الدَّين، وتقع في جول بين (الأبيض)، و(الأقحل)، ويحيط بها الأشعر.

وهي واقعة ضمن شروج آل بايومين الواقعة في الجهة الشِّمالية الغربية للرَّيدة، وهي آخر حدود ريدة الدَّين من هذه الجهة إذ يأتي بعدها سوط آل بلعبيد.

ويحدها من الجهة القبلية الغربية- قرى عدة، منها: (الشَّعَبات): بفتح الشين والعين: من قرى سوط بلعبيد، يسكن بها آل باظَفَر، وآل باسلوم، وكلهم من آل بلعبيد، ومنها: (بجيدة)، وفيها باشُميل، و(السُّمينة)، وفيها باسَنام، و(المقْتلة)، وفيها باكُليب.

ومن الجهة البحرية: (مَدْهُون)، ومن الجهة الشِّمالية (الأخشاب)، ومن الجهة الشرَّقية (باغنيم)، و(ثجرة بامسدوس).

وتقع على الطريق المُعبَّد المسمى بخط الإسفلت، وتبعد عن (الضَّليعة) بنحو (٢٠ دقيقة) بالسَّيارة، تذهب من الضليعة إلى (مدهون) أولاً، ثم تتجه من مدهون إليها في اتجاه الشِّمال، ولها طريق ثانية من فوق (النخيلات)، وطريق ثالثة من (براورة) تذهب في جهة الغرب، فتمر على (شعب صَبَلة)، ثم قرية (الأسيودات)، ثم (الحجلين)، وتستغرق بالسيارة نحو نصف ساعة.

وهي تنقسم إلى جور البلجنف، وجور الباكرشوم.

ويسكنها آل بلجنف، وآل باكرشوم، ومنهم: آل باصواب، في (النخيلات)، وآل ابن قطيَّان، وآل بامُحُمُّد: بضم الميمين، مع تشديد الثانية، وآل بابَرْمَة، وكلهم من آل بايومين، ومرجعهم إلى قبيلة كندة، ويكونون الثلث الكندي في حلف الدَّيِّن، والتقدمة (الرئاسة) في بيت البلجنف.

ومن آل بايومين: آل باسالم في (مدهون)، وآل باشُمَيل: بضم ففتح فسكون، في (بجيدة)، وقد أمضينا الكلام على بجيدة في حرف الباء، وآل باكُلَيب: بضم، ففتح، فسكون، في (المقتلة)، وآل ابن مبارك، في (مدهون)، وآل بامُصَيِّم: بضم الميم، وفتح الصاد، وكسر الياء المثقلة، في (الأسيودات)، وآل بابيتر، في (دَلْثَلة).

ومقدم آل بايومين: سَعَيد -بفتح العين مع التفخيم- باصواب ساكن في النخيلات المجاورة للحجلين.

وإنما قيل لهم: بايومين؛ لأن جدهم قال لإخوته: سأذهب الرَّيدة، وأمكث بها يومين، فطاب له فيها العيش، واستقر بها، فقيل له: بايومين.

وجاء في (إدراك الفوت) لعلي باخيل ما نصه: «آل بايومين: قبيلة من الدَّيِّن، وقيل هم من كندة»، وهذا خطأ كبير؛ لأن الدَّيِّن ليست قبيلة، إنما حلف مكون من ثلاث قبائل: هي: الأجاردة، وحمير، وكندة، فكون آل بايومين من كندة لا ينافيه كونهم من الدَّيِّن، وفهمه هذا أوقعه في استظهار كون الدَّيِّن من قبيلة (مهرة بن قضاعة) عند كلامه على قبيلة الدَّيِّن في كتابه المذكور، ولو عرف أنَّ الدَّيِّن حلفٌ لما قال بقولته هذه؛ إذ كيف تكون ثلاث قبائل مختلفة -أجاردة، حمير، كندة- تنتمي إلى قبيلة واحدة هي مهرة بن قضاعة؟

ولهذا الكلام مزيد تقرير وبسط سيأتي عند الكلام على الدَّيِّن في (رَيْدة الدَّيِّن) من حرف الراء.

ومن شروج آل بـايومين: (النخيلات)، و(بـاغنيم)، و(مدهون)، و(السُّويداء)، و(الأسـيودات)، و(زيد)، و(دلثلة)، و(منتر).

وفي الحجلين مساجد عدة، وجامع، يقع أحدها في جور البلجنف، واثنان في الباكرشوم، ويقع الجامع في جور الباكرشوم في طرفها بين النخيلات والحجلين.

وبها ثلاثة حصون: حصن في البلجنف، وحصنان لصالح ابن قطيَّان في الباكرشوم، وفي النَّخيلات حصن للباكرشوم، وبها عدد من الكرفان لحفظ مياه الأمطار.

وبها مركز صحي يقع وسط البلاد في مكان الباكرشوم، وكذا محطة بترول لسعيد بن قطيان في وسط البلاد كذلك، وبها بعض المحلات التجارية.

وبها مدرستان: ابتدائية، وإعدادية، وتسمى إحداهما بمدرسة (أسماء)، والأخرى بمدرسة (النصر).

وبها كذلك مدرسة ثانوية فتحت قريبًا تسمى بمدرسة (سالم الكندي)، ويدرس بالحجلين أهل القرى المجاورة كـ(الأسيودات)، و(الأخشاب)، و(إلمر باخربوش)، و(النخيلات)، و(باغنيم)، و(مدهون)، و(زيد الذيباني).

ويشتغل أهلها بالرَّعي، والحرث، والتِّجارة، والتدريس، ومنهم من يسلك طرق الأسفار.

ويأتيها السَّيل من قرية (مدهون)، ومن (مقتلة)، وتصب في (شعب صَبَلة)، وينتهي سيلُها في (الرَّضْحَين)، ثم في (شُعبة بامحَمَّد) بوادي (عَمد).

وذكر العلامة ابن عبيدالله السَّقَّاف في (بضائع التابوت) مقدم آل باكرشوم في عهد السَّلطنة القعيطية: عوض بن عمر باكرشوم، وكان رجلاً ذا صيت، وخبرة، وقد أدرك حرب القعيطي مع الدَّيِّن، ويذكر كثير أن القعيطي لم يتمكن من كشف ساحة المسادسة إلا من جهته.

(إفادة من السَّيد الفاضل العم عبدالله صالح الجيلاني، وابنه الأستاذ التربوي القدير: علي بن عبدالله الجيلاني).

الحِرَيْث:

بكسر الحاء، وفتح الراء، وسكون الياء، آخره ثاء مُثلَّثة: كذا ينطقونه، وهو تصغير حرث، فينبغي أن يضم أوله، والحرث بمعنى الحجل، ويقع في الجهة الشَّمالية بالقرب من (الذِّياب).

ويعد من أقرب قرى الريدة إلى وادي عَمد بعد (طسلة).

ويسكنه آل (باهمَش): بفتح الهاء، والميم: من الدَّيِّن من الثلث البريقي الحميري، ومقدمهم اليوم: عبدالله بن علي بَلْشرف ساكن في قرية (عَنَق بلشرف).

في الحريث مسجد، وبها حصن فوق الحجل، وأكثر من كريف لحفظ الماء.

ويشتغل أهلها بالرَّعي، والحرث، والتجارة.

وبحكم قرب (الحريث) من (وادي عمد) أرض الجعدة فإن ساحتهم لم تخُلُ من دماء بينهم وبين الجعدة، من ذلك أن جماعة من آل شملان الجعدة لقوا جماعةً من الدَّيِّن في الخطمة (خلاء للرَّعي)، فقتلوهم، ثم نزلوا إلى الوادي عمد- فلقيهم بالوادي رجل من آل الشَّاحت فقال لهم ماذا فعلتم؟ فقالوا: قتلنا دُغش قَرَظة (إمعانًا في الاستخفاف بالدَّيِّن، والدُّغش بمعنى المجموعة، والقرظة: شجر معروف)، فقال الشَّاحث مُلغزًا: خاف يغلا القرظ يا ابن شملان (خاف: بمعنى يمكن، ويغلا: بمعنى يغلو: أي يرتفع ثمنه وكلفته)، فترصَّد الدَّيِّن لآل شملان في الخطمة، وبعد مضي زمن طلع جماعة من آل شملان إلى الخطمة مع عيالهم، فأدركتهم الدَّيِّن وقتلتْهم جميعًا، وتحقق فيهم قول عَمْرو بن مَعْدِيكَرِب:

أطَلْتُ فِراطَهُم حتى إذا ما قَتَلْتُ سَراتَهم كانتْ قَطَاطِ

أي أطلتُ إمهالهم والتأني بهم إلى أن قتلتهم، وقطاط بمعنى حسبي.

فلقي الشَّاحتُ ابنَ شملان السَّابق فقال له: غلا القرظ يا ابن شملان من كم قده؟ فقال ابن شملان: غرّبْ عن وجهي، يا الخُميم، وانقل. فأمره بترك الوادي، وأخرجه.

وبعد ذلك خاف الدَّيِّن على آل باهمش بسبب قربه من الجعدة، فقالوا له: إنك طارف: (أي على رأس الوادي فوق عَمِد)، وأرادوا منه ترك مكانه، فقال لهم: سأدافع وأرد عن نفسي، وأنتم كونوا رجالاً، ولن أرحل، ولو أحرقوني.

الحَزْم:

بفتح الحاء، وسكون الزاي: صَبرٌ كالحرف والحَدِّ يقع تحت الأشعر.

والناظر له يرى كأنه حزام على الأشعر.

وفي (تاج العروس للزَّبيدي ٣١/ ٤٧٩ - ٤٨٠): «الحَيزُوم: الغليظ من الأرض... وسمَّى الأخطل الحَزْم من الأرض حيزومًا... وقيل: الحزم من الأرض: ما احتزم من السيل من نجوات الأرض، والظهور، وقيل: ما غلظ من الأرض، وكثرت حجارتُه، وحجارتُه أغلظ وأخشن وأكلب من حجارة الأكمة، غير أن ظهره عريض طويل.. لا تعلوها الإبل إلا في طريق له قبل، والجمع حزوم».

وينبت في الحزم أشجار الشَّخَر: وهي تعني عند أهل هذه الجهات: أشجار الشَّوك كالعُشر، والقَرَظ، والسَّمُر، والضَّب، والقَتَاد.

وفي الرَّيدة حزوم عدة مسماة بأسمائها: كـ(حزوم الشرُّيج): تصغير شرج، و(حزوم الملاح).

وحجارة الحزم صلبة، وهي المسماة في السَّاحل الحضرمي بـ(الحُوصي)، يستخدمه أهل الريدة في بناء أساسات البيوت، والمساجد، وفي بناء الحصون.

وتوجد الحزوم في جبال مدينة (قطامين) التونسية الأثرية، ويجمعونها على (أحزمة)، وهي مشابهة تمامًا لهذه الحزوم، وبعضهم يقول إن الحزوم تكونت بسبب انحسار المياة -التي غطت الأرض قديماً- عن الجبال المرتفعة.

الحَسِر:

بفتح الحاء، وكسر السين، ومنهم من يفتحها: ويعني عند الحضارمة المكان المرتفع ارتفاعًا قليلاً في الجول؛ كالعقبة الصغيرة، ويسمى عند بعض أهل الرَّيدة بالصرَّك، ويجمعونه على حُسُور، ومنهم من يجمعها على حُسُر: بضم الحاء والسين.

والحسور في ريدة الدَّيِّن كثيرة، ومن أمثلتها: حسر الخُبيَّات، وحسر الأبايض، وحسر الأشعر، وحسر الأبيضين، وحسر باماخش: وهو الذي وضع عليه جنود القعيطي مدفعهم لضرب الدَّيِّن بسبب إجارتهم السَّيد محمد باعقيل، ولم يكن في ذلك الوقت يسمى بحسر باماخش، وقد مضى ذكر تفاصيل هذه الواقعة في (الأبيضين) من حرف الألف.

وأما الحسور التي هي خارج ريدة الدَّيِّن، في الأماكن القريبة منها، فمن أشهرها: (حسر بابكر)، الذي وقعت بالقرب منه معركة بين الجنود التابعين لبريطانيا، وبين قبائل نُوَّح وسيبان، بسبب غلق القبائل طريق حسر بابكر، فقامت الطائرات البريطانية بضرب القبائل، وقُتِل رجل هو من خيرة الرجال يُدعى سالم بافيَّاض من قبيلة نُوَّح، بسبب أنه أزعج الطائرات بالتصويب والرمي نحوها، فوجهت قنابلها إليه، وجرح اثنان من آل بارشَيد، وما يزال خشر رصاص المعركة عند مقدم (بامحمود) الصباحي النُّوحي في (نقاب باخميس) إلى اليوم على ما أخبرنا به المقدم الفاضل: عبدالله بصفر.

الحُسُو:

بضم الحاء، وضم السِّين: حوض صغير تجتمع به أمطار السماء، دون الخَيْلة في السّعة، وأرضه من القِرف الذي يمسك ماء المطر.

ويستفاد منه في غسل الفُرُش، والأغنام، والحسي في كثير من بلدان الرَّيدة، بل قد يوجد في البلدة أكثر من حسو، ومن أمثلتها: حسو (ابن حسن) في (براورة) خلف دار (ابن حسن)، وحسو (الزُّرُوب).

حِسْية السُّفْلَى:

بكسر الحاء، والياء، وسكون السِّين بينهما، ويقال لها: (سَفَل الحِسْية)، بمعنى أسفل: وهي من أكابر شروج المعوس، تقع في الجهة الشَّمالية الشرقية للرَّيدة، قريبة من قرية (المِقر): بكسر الميم، والقاف، الواقعة في الجهة الشَّمالية منها، ومن (حسية العليا) الواقعة في الجهة الغربية، وليس بين الحسيتين -السفلى والعليا- إلا نحو نصف ساعة بالرِّجل.

وجعلها المقحفي في (معجم البلدان ١/ ٤٦٦): قرية في منطقة (صِيف) من مديرية دوعن، وما قاله غير صحيح؛ بل هي من قرى سوط المعوس الواقع في الجهة الشَّمالية الشرقية لريدة الدَّيِّن، وأما (صِيف) فهي من مدن وادي دوعن، ولعله اعتمد على التقسيم الإداري السابق حيث كانت شروج المعوس تابعة لمديرية صيف من الناحية الإدارية، وتعد بلدة (صيف) أقرب مناطق دوعن إلى حسية؛ إذ إنهم يقطعون نصف شعب قيدون في الوصول إلى عقبة صيف، ثم ينزلون منها إلى بلدة (خذوف) بجنوب صيف، وذلك يستغرق نحو خمس ساعات بالرِّجل، وهي أقرب إليهم من عقبة (قيدون)؛ إذ يلزمهم في الطريق إليها قطع جميع الشعب - شعب قيدون.

والحسية تعني عندهم: المكان الذي يستنقع فيه الماء؛ كالنقبة، وقريب من معناه الثجرة، وقد سبق بيانها في حرف الثاء، وكذا الحشرج. والحِسيْ: بفتح الحاء، وكسرها، مع سكون السين: كلمة عربية فصيحة، وهي تعني: سهل من الأرض يستنقع فيه الماء، وتجمع على أحْسَاء، وحِسَاء، كما في (تاج العروس للزبيدي ٣٧/ ٤٢٧)، وفيه (٥/ ٤٨٢): «الحشرج: حِسيٌ يكون فيه حصى، وقيل: هو الحِسيْ في الحصى، وقيل: هو شبه الحِسيْ تجمع فيه المياه». اهـ.

ويسكن (حسية السُّفلى) آل (ابن وتَّار): بفتح الواو، وتشديد التاء، وآل (باخُشم): بضم الخاء، وسكون الشين، وآل (الدُّهمْي)، بضم الدال المهملة المثقلة، وسكون الهاء، وكلهم من دار (مول السُّفْلى)، إحدى ديار قبيلة المُعُوس، ومرجعها إلى قبيلة نُوَّح.

والمُعُوس: سبع ديار:

١- آل بِلْحَيْمَر: بكسر الباء، وسكون اللام، وفتح الحاء والميم، بينهما ياء ساكنة، معروفون برقية الدَّبوة.

٢- وآل بو عُبَيْد: بضم، ففتح، فسكون.

٣- وآل باسَعَيد: بفتح السين، والعين مع تفخيمهما.

٤- وآل باعُضَيْدة: بضم العين، وفتح الضَّاد: تصغير عَضُد.

٥- وآل ابن كُسَيل: بضم الكاف، وفتح السين.

٦- وآل حمد بن علي.

٧- وآل مول السُّفلى.

ومقدم المعوس في السَّابق عمر بن حمد بوعُبيد من أهل (العُرفط)، وهو كذلك مقدم الطائلة على قبائل نُوَّح الحَنَكة، وسيأتي بيانها عند الكلام على (الحنكة) قريبًا، كان -رحمه الله- رجلاً حكيماً طويلاً ضخماً لا يحب الغلط، واللَّوم، له حكايات كثيرة تدل على حسن تدبيره، وإنصافه، سيأتي بيان بعضها عند الكلام على (العرفط) في حرف العين.

وعن الغارات بين المعوس وبين جيرانهم حدث ولا حرج، كالقثم، وكذا حصلت بينهم وبين الصَّيعر مقتلة في دُقم (الغَبَر) فوق عقبة (سَعيدة) النازلة من السَّيطان على الهجرين، بسبب أن المعوس أخذوا بعيرًا لصبي تابع لآل ابن محفوظ الصيعري في إحدى غزواتهم، فأثار ذلك عليهم الصيعر فكمنوا لهم فوق عقبة الهجرين في الدقم المشار إليه، وهناك سالت الدماء، وتساقطت الرؤوس.

وذكرها العلامة علوي بن طاهر الحداد في كتابه (الشَّامل ٢/ ٥٠٥)، وقال: «حسية السفلى فيها الباسلطان»، وتبعه على ذلك المقحفي في (معجم البلدان ١/ ٤٦٦)، وزاد: (١/ ٨٠٤): «والباسلطان عائلة من أهل قرية حسية السفلى بوادي دوعن»، والصَّواب أن آل باسلطان إنما يسكنون حسية العليا، لا السُّفلى.

وفي (حسية السُّفلى) مسجدان: أحدهما قديم، والآخر جديد: وهو جامع البلدة، ويقع في طرفها بجانب المدرسة، أما العيد فيصلونها في بلدة (المقر) القريبة منهم.

وفيها مدرسة قديمة متهالكة اليوم، وقد بنيت بجوارها مدرسة جديدة تسمى بمدرسة (عمر المختار)، تقع في طرف البلاد عند المسجد.

وبها أيضًا مركز صحي يقع بجنب المدرسة، ويقع بجنب المركز جامع البلاد، وفيها حصن يقع فوق الحجل.

وفيها نخل، ومُشُط (جمع مشطة: شجرة تشبه شجرة السدر، ومن الحضارمة من يجمع المشطة على مشاط)، وبها أكثر من أربع عيون تنبع بالماء، ويزرع بها البر الهلباء، والذرة.

ويشتغل أهلها بالرَّعي، والحرث، والتِّجارة، والتَّدريس.

وفي القرية كريف بناه لهم العمودي صاحب (صيف).

ويأتيها الماء من (حسية العليا)، ويصب في قرية (المقر)، ثم في (قيدون).

حِسْية العُلْيَا:

وتقع ضمن شروج المعوس في الجهة الشَّمالية الشرقية للرَّيدة بالقرب من قرية (العُرْفُط): بضم العين، والفاء، بينهما راء ساكنة، ومن قرية (حسية السُّفلى)، سُمِّيت بالعليا؛ لأنها أعلى من حسية السُّفلى.

وجعلها المقحفي في (معجم البلدان ١/ ٤٦٦): قرية في منطقة صيف من مديرية دوعن، وما قاله غير صحيح؛ بل هي من قرى سوط المعوس الواقع في المرتفعات الجبلية في الجهة الشَّمالية الشرقية لريدة الدَّيِّن، وقد سبق التنبيه على نظيره قريبًا في (حسية السفلى).

ويسكنها آل باسُلْطان: بضم السِّين، وسكون اللام، وآل ابن كُسيل: بضم الكاف، وفتح السِّين، وسكون الياء، وفيها دار واحدة من آل باعبود: -بضم العين والباء، كما هو المتعارف عليه عند القبائل، أما في السَّادة فيكون بالفتح- وكلهم من قبيلة المعوس.

وفيها (الخَرَابة): بفتح الخاء، والراء، والباء، وهي كالحي التابع لها، يفصل بينهما المال (الحجل)، والخرابة فيها آل ابن كسيل فقط، وفيها مصلى بناه أحد أخواهم من آل العفيف (معوس)، وبنى لهم كذلك خزانًا لحفظ الماء.

وفي حسية العليا مسجد واحد، ويصلون العيد في قرية (العُرفط) القريبة منهم.

وفيها كريف لحفظ الماء بناه لهم أحد آل ابن كسيل.

ويشتغل أهلها بالرعي، والحرث، والتجارة.

ويأتيها السيل من (العُرفط)، ويصب ماؤها في (حسية السُّفلى)، ثم في (المقر)، ثم بعد ذلك في شعب قيدون.

(وقد أفادنا بالمعلومات حول (الحسيتين): العليا، والسُّفلى الأخ الفاضل الكريم الشهم: أحمد بن سالم بن سعيد بامعس صاحب مكتب المقاولات).

حِصْن باجِعَيْم:

الحصن: بكسر الحاء، وهو بمعنى القلعة، وأهل هذه الجهات ينطقونه: بفتح الحاء، وجعيم: بكسر الجيم، وفتح العين، وسكون الياء: كذا ينطقه أهل هذه الجهات، وحقه أن يضم أوله؛ لأنه تصغير جعم.

وحصن باجعيم: قرية تقع في الجهة الجنوبية للضَّليعة، في الطريق الذاهبة إلى (حجر)، قريبة من (عجاز باكدم)، ومن قريتي (صبابير)، و(شرج باضان).

وفي جهتها الشرقية: قرية (عجاز)، وفي الجهة القبلية (الغربية): شرج باضان، وفي الجهات الشمالية والجنوبية: الجيلان، وتبعد عن (الضليعة) بنحو (٥ كم).

أما حدودها الداخلية فمن الشرق: حجل يسمى بحجل الطّفال، ومن الغرب: حجل حصن باجعيم، ومن الشمال: صَبر، وحجل، ومن الجنوب الأشعر.

وفي (معجم البلدان) للمقحفي (١/ ٣٣٩): «والباجعيم أيضًا- حصن، وبلدة في وادي دوعن بحضرموت». اهـ وفيه ما في سوابقه، فليست هي في وادي دوعن، وإنما في أعاليه، وتتبع الآن مديرية (الضَّليعة) من الناحية الإدارية.

وسُمِّي بالحصن نسبة إلى الحصن الواقع به.

وهي من جهة الشمال إلى الجنوب أوسع؛ إذ يبلغ طولها نحو (٥ كم)، وأما من الشرق إلى الغرب فتبلغ نحو (٣ كم).



ويسكنه آل (باجعيم)، ومرجعهم إلى آل (باسلم): بكسر السِّين، وسكون اللام: من الدَّيِّن الأجاردة -(من الثلث الجرَيْدي)-، وهو يشمل قبائل عدة كآل بامسدوس، وآل باحنحن، وآل باسلم.

وآل باجعيم فروع عدَّة منهم: باسعَيد بفتح العين مع التفخيم، وباعوض، وبامبارك، وباعُبيد، وبابحيث، وابن علي.

وهم داران: دار الحصن، ودار الغابة، ومحتكمهم إلى دار العانسة (آل باحوات، وآل باماقس)، ومقدمهم الآن: محمد بن سالم باماقس.

وأصلهم من بلدة (قلهم) قديماً.



بلدة حِصْن باجعَيْم

ولآل باجعيم في الرَّيدة قرى عدة غير (الحصن)، منها: (غابة باجعيم)، و(فشلة باجعيم)، و(نقع باجعيم)، وينسب إليهم (حجل باجعيم)، وقد سبق ذكره قريبًا.

وآل باجعيم مشهورون في الرَّيدة بتصريف المياه، ومعرفة ميزان الماء عند اختلاف القبائل عليه، ويشاركهم في هذه الخبرة آل بامجبور، وآل باخريبة.

وبالحصن مسجدان: أحدهما قديم، ويقال له المسجد التحتي؛ لأنه واقع في الأسفل، والثاني جديد، ويقال له الفوقي، وهو الجامع، بُني بالحجارة في سنة (٢٠٠٣م)، ويسع لنحو (٤٠٠ مصلٍ)، ويقع شرق الحصن، تصلى به الجمعة، أما العيد فيصلون في (المجرى) عند مدرسة (عجاز).

وليس به مدرسة، إنما يدرس أولادهم في مدرسة (عمر بن الخطاب) بقرية (عجاز) القريبة منهم، وبه حصن أثري واحد، تمَّ ترميمه قبل نحو خمسة عشر عامًا من قِبَل أهل باجعيم، وتحت الحصن مَقْهى (مقهاية)، ويكون عنده اجتماع أهل الحصن مع بعضهم، أو مع أهل الغابة - غابة باجعيم - لحل مشاكلهم، ومبادلة الرأي، وبجنب المقهى نقبة، وبه حيلتان: حيلة الحجل، والحيلة الفوقية.

والحصن مشهور بجودة تربته، ويزرع به البر الهلباء، والذرة.

ويشتغل أهله بالرَّعي، والحرث، والتجارة.

ويأتيه السيل من جهة (شرج باضان)، ويصب من (الحصن) في قرية (عجاز)، ثم في (صبابير)، ثم في (النجيدين)، ثم في (الضليعة)، و(الحنو)، ثم إلى (السَّد).

(وقد أفادنا بهذه المعلومات الأخ الفاضل: عمر بن سالم باجعيم - خريج جامعة حضرموت - قسم التاريخ).

حَلَم:

بفتح الحاء، واللام: شرج من شروج المشاجرة يقع في الجهة الغربية للرَّيدة، يسكنه آل (بالحُم): بسكون اللام، وضم الحاء: من قبيلة المشاجرة الحميرية.

الحَنَكَة:

بفتح الحاء، والنون، والكاف، وتعني عند أهل حضرموت المكان الضيق الواقع بين عطفتي جبلين.

وهي مأخوذة من حنك الفم، وتجمع عندهم على حناك.

والحنك في هذه السِّيطان كثيرة، منها:

(حنكة بَرِيْرة): وتقع غرب الملاح، يلتقي فيها سيول (بريرة)، و(باظفار)، و(الحتار)، و(الحتارين)، وتصب في شعب (الملاح)، وهي خلاء، أو بيد تنمو فيه أشجار السَّمُر، والرَّاك، والقتاد، والعَوْسج، والقَرَظ.

* **والحَنَكة:** أيضًا من شروج بارشيد، تقع بالقرب من (الحيسر) بينهما نحو ربع ساعة بالسَّيارة.

ويسكنها آل باحنكة، وآل باصاعري، وهم من آل بارشيد.

* **والحنكة:** أيضًا قرية في سوط آل سميدع، يقال لها: (حنكة العُوران)، وتقع في الجهة القبلية الغربية - للرَّيدة، بالقرب من (روضة بلعمش)، وهي تتبع مديرية الضَّليعة من الناحية الإدارية.

ويسكن الحنكة: العُوران: (آل بَلْعَور): بفتح الباء، والعين، وسكون اللام: فصيلة من آل (ابن سميدع)، وهم من قبائل نعمان الحميرية.

* **وحنكة الذِّياب:** وتقع شرق قرية (الذِّياب): بها رمام، ومراع للنشرة.

وهي للقثم من آل بامغرومة أهل (القراقر)، وفيها أيضًا باقارح.

وتسقى (حنكة الذياب) من قرية (الأخياس)، وتصب بعد ذلك في شعب باثابت.

والحنك أو الحناك في حضرموت كثيرة، ولعل من أشهرها:

١- حنكة الوادي: أي وادي عمد، ويقع فوقها في السِّيطان قرية (ذي العُليب).

٢-حنكة وادي النبي: تقع في وادي دوعن، ويقال لساكنيها (قبائل الحَنَكة)، أو (نُوَح الحَنَكة)، وهي فصائل من قبيلة نُوَح مشهورة بالحُنْكة -بضم الحاء- في مزاولة التجارة، ولهم كثير من الدكاكين والمحلات التجارية في حضرموت، والمكلا، وعدن، ومصر، والحجاز؛ كآل باصم، وآل باحميش، وآل باحكيم.

الحَنْو:

بفتح الحاء، وسكون النون، وضبطها العلامة علوي الحداد في كتابه (الشامل ٢/ ٥٠١): بكسر الحاء، وهو وإن جاز في اللغة إلا أنه مخالف لما عليه نطق العامة في هذه الجهات، وتبعه المقحفي في (معجم البلدان ١/ ٥٢٢).

وسُمِّيت بذلك لأنها مُحْنِيَّة فوق حاجب: أي معطوفة، من حناه يحنوه: عطفه.

وفي (تاج العروس للزبيدي ٣٧/ ٤٨٨): «الحنو: بالكسر، والفتح: كل ما فيه اعوجاج، أو شبهه».

وتقع الحنو في الجهة الشمالية بالقرب من (صَبَلة)، ومن (الجداب)، و(الفشْلة)، وتقع في رأس الوادي الذي يسيل في (الشعبة)، فهي أول قرية في المجرى من جهة (الضَّليعة)، ولقربها من (الضَّليعة) فإنك ترى منها بيوت الضليعة، ليس بينهما سوى نصف ساعة بالرِّجل، وبينها وبين براورة نحو ساعة، أو تزيد قليلاً.

ويسكنها آل بامجبور، ومرجعهم إلى آل عَمَر: بالفتح، وهم من آل سُويدان، من الدَّيِّن من الثلث الحميري، ومنهم آل (ابن حاتم)، وباحلول، ويسكنها كذلك المشايخ آل باعشن، وأخطأ المقحفي عندما جعلهم من آل سُويدان في (معجم البلدان ١/ ٨٣٠).

وللسَّادة آل الجيلاني أهل براورة أملاك في الحنو، وكذا لآل باغُشْمي، وآل بارزيقة، وآل بامكراب وكلهم من المسادسة (آل بامسدوس)، وفيها أيضًا آل بامحبوب.

وفيها ثلاثة مساجد: أحدها قديم: وهو غرفة، وحمام، والثاني غرفة، والثالث: جامع ومنارة.

وبها حصنان: حصن للمسادسة، وحصن لبامجبور، وبها أكثر من كريف للماء.

ويشتغل أهلها بالرَّعي، والحرث، والتِّجارة.

ويسيل ماؤها في (الجداب)، ثم في (صَبَلة)، ثم في (الفشْلة)، ثم في (السَّد)، ثم (الرَّضْحَين)، ثم في (شعبة باحَمَّد) بوادي عمد، وقد ذكرنا أنها تقع في رأس الوادي؛ ولهذا قال العلامة علوي بن طاهر الحداد في كتابه (الشَّامل ٢/ ٥٠١): «ومن قريب الحنو يبتدئ حفر الوادي الذي يسيل إلى الشعبة، وقرب (الميراد) يبتدئ الشعب الثاني، ثم يجتمعان، ويطلق عليهما وادي الشعبة». اهـ.

ومرادُه بـ(الميراد): ميراد باسُودان، فهو يصب في (الأبيضين)، وهي في (بَرِيْرة)، وهي في (باظفار)، ثم يصل بعد ذلك إلى (السَّد)، ومنه إلى (الرَّضْحَين)، ثم (الشعبة) بوادي عمد.

والحنو مواضع عدة، ذكر الأعشى إحداها، فقال:

هم ضَرَبوا بالحَنْوِ حَنْوِ قَراقِر مُقَدَّمَةَ الهامَرْزِ حتَّى تَوَلَّتِ

و(قراقر) هذه والتي يقع بها (الحنو) هي بين الكوفة والبصرة قريبة من ذي قار، وذو قار يوم مشهور من أيام العرب انتصروا فيه على الفرس، والهامرز: من قادة كسرى، والأعشى يمدح بقصيدته هذه العرب وخصوصًا ذهل بن شيبان في انتصارهم على الفرس، يقول في أولها:

فدىً لبني ذَهْلِ بنِ شَيبانَ ناقتي وراكبُها يوم اللقاء وقلَّتِ

مع العلم أنه يوجد في هذه الجهات: (الحنو)، و(قراقر)، فالحنو في الرَّيدة، و(قراقر) في سوط القشم، المجاور للرَّيدة، وستأتي في حرف القاف.

الحِنَيْوة:

بكسر الحاء، والنون، وسكون الياء: تصغير حنوة: بيد من بيود (براورة) يقع في الجهة الغربية من (براورة) تحت (أسفل الحجل)، فيها مراع للنشرة، إذ يوجد بها أشجار العوسج، والقَرَظ، والضُّب، والقتاد، والسَّمُر، والنَّتش.

الحَوَامر:

بفتح الحاء، والواو: مرعًى في جهة شروج المشاجرة يقع في الجهة الغربيَّة للرَّيدة.

الحوقة:

عقبة في واد في الطريق إلى (حجر) توصل بين ريدة الدَّيِّن والسِّيطان، وبين مدينة (حجر)، وأقرب القرى لها من جهة ريدة الدَّيِّن: قريتا: (عَتُود)، و(الأقحلين)، وهذه العقبة كانت تنزل بها الجمال في القديم.

(إفادة من العم عبدالله بن صالح الجيلاني، ومن الأستاذ: عمر باعبد).

الحَوْلا:

بفتح الحاء، واللام، وسكون الواو بينهما، آخرها ألف: وبعضهم ينطقها بكسر اللام، والظاهر أن آخرها الهمز (الحولاء)؛ لكن العامة حذفته مع الألف قبله.

والحولا: قرية من قرى (سوط المُعوس) تقع في الجهة الشَّمالية الشرقية للرَّيدة ريدة الدَّيِّن، وهي واقعة بالقرب من قُرى: (الصَّيعريَّة)، و(مِشْطة)، و(دار العفيف)، وكلها للمعوس، وكذا من قرية (جدفرة الأشاعلة) الواقعة في غربها، وهي أيضًا قريبة من (سوط القشم)، ومن عقبة (بضة).

يسكنها آل (باعَطَّا): بفتح المهملتين: وهم من قبيلة (نُوَح)، وأقرب القبائل النُّوحيَّة للمعوس.

وبها حصن، وبها كذلك آبار ماء، ونخيل في الجهة السفلية، ويأتيها السيل من (الجدفرة)، وبعد ذلك يلتقي سيلاهما وسيل (الصَّيعريَّة) في شعب (قيدون).

الحَيْد:

بفتح الحاء، وسكون الياء: ومعناه عند الحضارمة جدار الجبل وجانبه، والغالب أن يكون مستقيماً يصعب تسلقه، وقد يكون مائلاً من أعلاه كالقوس، يتكنن به البدو من المطر، وهو كلمة عربية فصيحة، قال الزَّبيدي في (تاج العروس ٨/ ٤٧): «الحيد من الجبل: حرف شاخص يخرج منه فيتقدم (كأنه جناح)، قاله ابن سيده، وفي التهذيب: ما شخص من الجبل، واعوج، يقال: جبل ذو حيود إذا كانت له حروف ناتئة في أعراضه لا في أعاليه، وكل ضلع شديدة الاعوجاج: حيد». اهـ.

ويجمع على حُيُود، قال شاعر الرَّيدة والسِّيطان صلاح باخريبة:

الدَّال مَنْ دَلَّه المَوْلَى طُرُق مَهْدِيَهْ
يذْكُر مُحَمَّد عدد مَا شرُقَهَا في الحُيُود

وقال:

والقاف قفَّتْ وقالتْ لي سَنَة مُقْفَلَة
ولْعَاد بنَّد حُيُود الأرض هي والبيُود

فجمع -من غير كُلفة- بين الحيود، والبيود، ومع اتفاقهما في السجع، فكل واحد منهما مخالف للآخر، (فالحيد) المرتفع الشاخص على وجه الأرض، و(البيد): هو البرُّ، والخلاء الذي لا مرتفع فيه.

ومن الحيود المشهورة بالرَّيدة: (حيد النُّوب): بضم، فسكون: توجد به بيوت النحل القديمة، ويُعتقد أن ذلك من مخلفات قوم عاد، و(حيد باغراب)، و(حيد الصَّفْصَف).

والحَضَارِمَة يُطلقون على جدار الجبل لفظ (الحَيْد)، ويُطلقون على ظهره لفظ (الجَوْل)، و(الرأس): شنخوب الجبل -أعلى قمة في الجبل-، و(عرض الجبل): هو سفح الجبل، وجانبه، والموضع المنحدر منه، و(القِرة): بكسر القاف، والراء: هو المكان المستوي في حيد الجبل، وفي حزومه، والذي يمكن الجلوس والمكوث فيه، وهو مَظِنَّة وجود الوعول، وله أصل في اللغة في مادة (وقر)، و(الخُشم): طرف الجبل المُشرِف كالأنف في الوجه، و(القَرن): الموضع الناتئ من الجبل، يرتفع على سفحه، أو على رأسه كأنه قرن، أو ناب فيل، و(الدُّقم): رأس الجبل، أو الجبل المشرف

على واد، أو شعب، ومنهم من يطلقه على زاوية الجبل، وللكلام بقيَّةٌ عند الكلام على (الدُّقَيْم) في حَرْف الدَّال.

تنبيه: ما ذكرناه في تعريف الحيد من أنه (جدار الجبل، وجانبه) هو المعروف عند الحضارمة، ومن الغريب قول سالم باراس في كتاب (المقدم سعيد بانهيم، ص٣٩): «الحيد: هو أعلى حافة للوادي»، ولا أدري من أين جاء بهذا؟

ومثل هذا قوله عن الخطمة ص٦٨: (الخطمة): الأرياف، وهو غريب جداً، وسيأتي إيضاح معنى الخطمة في حرف الخاء، وكذا قوله ص٤٠: «والصبار: أعلى حافة الوادي»، والصبر إنما هو الهضبة، وسيأتي إيضاحه في حرف الصاد، ولنا عودة على تعريفاته عند الكلام على (السوط) في حرف السين.

الحَيْسَر:

بفتح الحاء، والسِّين، وسكون الياء بينهما: من كبريات شروج آل (بارَشَيد)، وتقع قريباً من قرى عدة، منها: (لبنة بارشيد)، ومنها: (الحَنَكة) و(المياطنة)، ومنها: (شرج باصريح) المُرشدي، وكذا الخضراء.

وهو في مستوى أرضي واحد مع لبنة تقريباً، بينهما عبلة فيها خليف، وأما (سَمَح بارشيد) فموقعه بعد لبنة، ويُعد (السَّمح) أرفع منطقة في شروج البارشيد.

وتقع شروج آل بارشيد في المرتفعات بين دوعن وحجر، وريدة الدَّيِّن: فدوعن من جهة الشمال، وحجر من جهة الجنوب، وريدة الدَّيِّن في جهة الشمال الغربي.

ومن أقرب مناطق دوعن لهم: (رباط باعشن)، وكذا (حصن باصَم)، يذهبون إليه عبر (خِطمة تَرْعة)، ثم ينزلون عقبة (الشّعيبة).

وينقسم الحيسر إلى قسمين: الحيسر (الصاعدي) الأعلى، والحيسر (الحادري) الأسفل.

والحيسر من شروج آل بارشيد، وكان في الأصل ملكًا للجمْسَري النُّوَّحي، ثم اشتراه بارشيد منهم، كما اشترى منهم كذلك حجل (ظمأ) لا الحصن، ويسكن الحيسر الصاعدي: آل (باعَمَر)، وآل (باقِرز)، وهم من دار (باقَعْرُور)، وآل (باجحيش)، وهم من آل (باشيبة)، و(عيال حمد)، وكل المذكورين من قبيلة آل بارشَيْد.

وبارشَيْد: بفتح الشين، وسكون الياء، وأما الراء فالعامة يسكنونه، والأصل فيه الفتح، من قبيلة نُوَّح، بل هو (أبو نُوَّح): أي فيهم بيت الرئاسة على جميع قبائل نوح، ومقدمهم: عبدالله محمد باقعرور باشيبة.

ويسكن معهم في الصَّاعدي مشايخهم آل ابن مالك، ونفر من آل باحميش من (نُوَّح الحنكة)، وهم من أهل القُرحة بوادي دوعن، لهم تجارة هناك.

وأما الحادري فيسكن فيه (آل باقعرور)، وآل (باضروس).

وفي الحيسر مجموعة من المساجد، وجامع يتوسط البلاد، ومدرسة واقعة في الحيسر الصَّاعدي، وبه كذلك عدد من الحصون.

وبه كذلك محطة بترول تسمى محطة باجحيش: وهو من آل باشيبة كذلك، كانت المحطة في طرف البلاد، ثم توسع البنيان وقرب منها.

ومن الشروج التابعة لهم: (الحنكة)، وفيها آل باحَنَكة - (بارشيد)-، و(الصِّياقة)، وفيها آل باغازي، و(الوريكة)، وفيها آل بارشيد، وآل باضروس، و(الطَّويلة) وفيها ابن مالك، وباسندوة، وبارشيد.

ويعتمد الحيسر في الزراعة على المطر، ويزرع به البرُّ، والذرة، والمسيبلي، والطَّهف.

ويصب الحيسر في دوعن، وهو بهذا يخالف أخويه: (لُبنة)، و(السَّمَح) فإنهما يصبان في حجر.

وينبغي التفريق بين بارشيد هؤلاء، وبين (بارِشيد): بكسر الشين: قبيلة من الخامعة، ذكرناهم عند الكلام على القشم، وذكرنا أن الخامعة تشمل قبائل عدة، منها: باقديم، وفيهم التقدمة، وباسلوم، وبارشيد، وأغلبهم يسكن في بلدة (العيون)، وفي (حويرة).

و(آل بارشِيد): بكسر الشين أيضًا قبيلة من الدَّيِّن يسكنون بين الدقيم، وباجوف، ذكرناهم في (باجوف) من حرف الباء.

وقد اشتهر من آل بارشيد جماعة، منهم:

١ - محمد بن أحمد بارشيد، فقد جاء في (تاريخ شنبل) في حوادث سنة (٦١٧هـ): «وفيها توفي الرجل الصالح محمد بن أحمد بارشيد». اهـ.

٢ - أحمد بن يحيى بارشيد، ففي (تاريخ شنبل) في حوادث سنة (٨٢٩هـ)، ما نصه: «توفي الرجل الصالح شهاب الدين أحمد بن يحيى بارشيد». اهـ.

٣- أحمد بن مبارك بارشيد، توفي سنة (٩١٤هـ)، كما في (تاريخ شنبل).

٤ - يحيى بن أحمد بن مبارك بارشيد: من تلامذة السَّيد محمد بن علي بن عبدالرحمن الأسقع، (ت ٩١٤هـ)، كما في (المشرع الروي) للشلي (١/ ١٨١).

٥ - أحمد بن يحيى بن أحمد بن رشيد: ذكره صاحبا (المشرع ١/ ١٩٤)، و(النُّور السَّافر ١/ ١١١) في شيوخ السَّيد محمد بن علوي عيديد، (ت ٩٢٤هـ)، وكذا في (خلاصة الخبر) للسَّيد عمر الكاف (ص٥٦)، وذُكِرَ كذلك في كتاب (نشر النَّفَحَات المسْكيَّة في أخبار فضلاء الشِّحر المحميَّة) للسَّيد باحسن (ص٤٨٤).

لكن لا ندري إلى أي قبيلة ينتمي المذكورون.

تنبيه: إيرادنا لشروج آل بارشيد في بحثنا هذا ليس لأنها تسمى سوطًا؛ بل لأنه يقتضيها؛ إذ مقصود البحث هو جميع القرى المجاورة لريدة الدَّيِّن، واسم المعجم الحاوي لها هو: (صبغ الفطور: معجم بلدان وأماكن ريدة الدَّيِّن، والسيطان المجاورة لها والحسور)، وإنما اكتفينا في عنوان المجلة على السيطان اختصارًا.

(المعلومات المأخوذة عن الحيسر هي من إفادة العم عبدالله بارشيد).

الحَيْلِة:

بفتح الحاء، وسكون الياء، وكسر اللام، حوض للماء دون الكريف، سُمِّيت بذلك لأن الناس، والنشرة تحول عليها من كل مكان أي يحيطون بها، بخلاف الكريف فإنه لكبره لا يشرب منه إلا من مكان معين في الغالب، وتجمع الحَيْلة عندهم على (حيَل): بكسر الحاء، وفتح الياء، ودون الحيلة في السعة: (الحُسُو)، وقد ذكرناه قريبًا.

ومن الحيَل في الرَّيدة:

١ - حيلة بَرَيْرة: في بريْرة.

٢ - حيلة باظَفَار: في باظفار.

٣- حيلة الحجل في براورة.

٤ - حيلة الزُّرُوب.

٥ - حيلة الوَكَيْجات.

٦ - حيلة حمد بن علي في شعب المِلاح.

٧- حيلة الحنكة.

٨- حيلة السَّلامة: في جول العَبْلا، وعندها وقعت المعركة بين جنود القعيطي، وبين الدَّيِّن، بسبب إجارة الدَّيِّن السَّيد باعقيل، وقد ذكرنا خلاصتها في (الأبيضين) من حرف الألف، وطرفًا منها في (براورة) من حرف الباء.

الحَيْمرات:

بفتح الحاء، وسكون الياء: شرج من شروج (الضَّليعة) الزراعية يقع في الجهة الغربية منها، ويفصل بين مساكن (الضَّليعة)، وبين (الحيمرات) مجرى ماء يسمى (السَّيلة)، وهو من أملاك آل باعَبَّد: بفتح الباء، والعين، من سكان الضَّليعة.

و(الحيمرات): بهذا الاسم كذلك قرية في حضرموت الداخل بالقرب من منطقة السَّوْم، ذكرها في (إدام القوت، ص٣٥٩).

(المعلومات عن الحيمرات من إفادة الأستاذ التربوي: عمر باعَبَّد من سكان الضَّليعة).

ما الذي نقمه ابن عبيدالله السقاف في التواريخ الحضرمية؟ وماذا لحقه من أذى بني قومه جراء ما نقمه؟



قال العلامة المفتي الفقيه ابن عبيداللَّه السقاف -عليه رحمات رب البريات- في خاتمة كتابه الفخم الفخيم (صوب الركام في أدلة الأحكام)، (ص١٠٥٨- ١٠٥٩): «إنَّ الإمام أحمد بن عيسى؛ كان بـ(الحُسَيَّسَةِ)، وابنه عبيداللَّه بـ(عرض بدر)؛ وحفيده علوي بن عبيداللَّه بـ(سَمَل)، والإمام محمد بن علوي بـ(بيت جبير).

ولم نر: هل كان تفرقهم عن اختيار واضطرار؟ ولا ندري ما سبب تحاميهم مدن حضرموت لذلك العهد؟ مع أنَّ لهم بها آثارا؛ كما ذكرها ابن حسان في تاريخه. وطالما وجهت الأسئلة من هذا القبيل؛ إلى المهتمين بالتاريخ من أعلام العلويين. فلم يشفوا غليلًا، لولع المؤرخين من رفقائنا بالأقاصيص؛ وما كان من تلك البابة، مع إعراضهم عن وقائع الأحوال؛ وشخصيات الرجال.



طارق بن محمد سكلوع العمودي

ولو انتدب للتاريخ؛ من يهذبه وينتخله؛ من طيات الوثائق والمكاتبات، ويعتمد الصدق، ويتوخى الإنصاف، لتكسرَّت فيه السهام من أبناء الدنيا؛ وعباد الأوهام، الذين لا ترضيهم؛ إلا بأن تُنبَذَ لأحبارهم مفاتيح الكون للتصرّف، وتُسَلَّم لهم مطالعةُ أم الكتاب للتعرّف، وكم أرادونا أن نغضَّ على القذا؛ فعزم الله لنا بالثبات ولم يضرونا إلا أذى، وما أحسن ما قلت من قصيدة:

ها قد وقفنا لنصر الحق أنفسنا ... وبالبراهين بيُناه تبيينا
ندعو العباد إلى هدي الرشاد وما ... بغير سنة طه نخدم الدينا
وقد كشفنا بأنواع الأدلة ما ... غطت به الحق أوهام المُرائينا
فقوّض النصُّ ما شادوه من كذبٍ ... وبان تمويهُهُم عند المريدينا
وكم أرادوا انتثاناً عن طريقتنا ... لكنهم ما رأوا في عودِنا لينا
فهاجرونا وراموا ضُرَّنا وبَغَوا ... وافتنَّ أذنابُهُم في طعنهم فينا
قالوا ابتداعٌ وسحرٌ فعلنا وكذا ... من قبلهم قال هذا للنبيّين».

اهـ. كلامه رحمه الله.

قلت: عبارته: (الذين لا ترضيهم؛ إلا بأن تُنبَذَ لأحبارهم مفاتيح الكون للتصرّف؛ وتُسَلَّم لهم مطالعةُ أم الكتاب للتعرّف). تحتاج إلى تأمل ونظر كبيرين؛ ليس هنا محل الشرح والتحليل، ولكن اختياره لألفاظها خطيرة مقصودة.

وقد أسعفتني الذاكرة بخصوص ما نقمه السقاف حيال التواريخ الحضرمية كلمة السيد البحاثة: عبدالله بن حسن بلفقيه (ت ١٤٠٠ هـ)، مفادها: أن هناك فترة زمانية في التاريخ الحضرمي تسمى بـ(مجاهل التاريخ الحضرمي)، قد

أفسحت المجال للمؤرخين، وكُتَّاب السير والمناقب بعد هذه الفترة للحدس والتخمين والمغالاة والإطناب؛ بل والتخيل أحيانًا في جوانب معينة أو التعسف والغمط والإضعاف في جوانب أخرى، أو إسقاط الحاضر بالنسبة لهؤلاء المدونين للتاريخ والتراث على الماضي وفقًا لمبتغاهم، [انظر: الخمير المفتوت، ص٢٢٧]، ولذا قال السقاف: (ولهذا كانت الفضيلة الصادقة أخفى ما تكون عند الحضارمة).

وليت شعري أقومي بالخصوص هَوَوا
إلى الحضيض كذا، أم كُلُّهَا العرَبُ)،

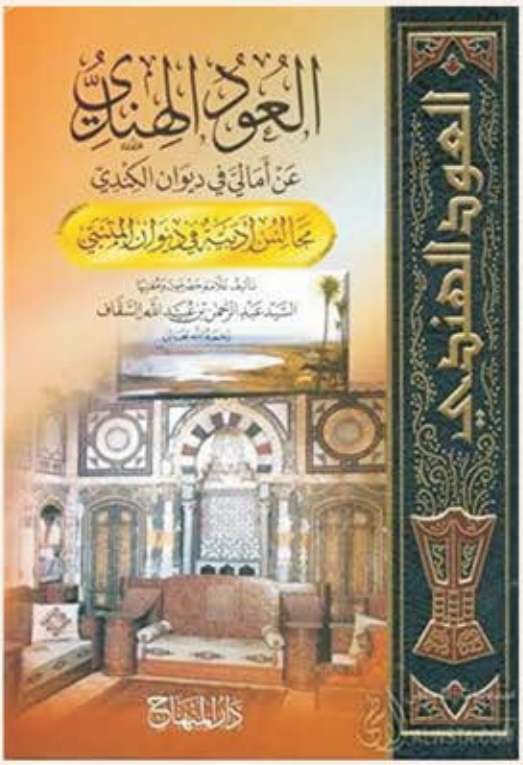
[انظر: العود الهندي، ٢/ ٤٣٨].

وأما ما ذكره السيد السقاف من تهذيب التاريخ، بذكر الوثائق والمكاتبات، وتحري الصدق والإنصاف؛ فالذي أحسبه من أنه -رحمه الله- قد طبق ذلك في كتابيه التاريخيين الكبيرين: (بضائع التابوت في ذكر نتف من تاريخ حضرموت)؛ و(إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت)، على حسب وسع طاقته، ولا ندعي له الكمال في ذلك.

وما إطراؤه على ابن تيمية، وابن القيم، ومحمد بن عبدالوهاب -رحمهم الله-، وذكره للسادة العلويين المتأثرين بهم، وممن دعوا بدعوتهم؛ من غير تهكم أو تنقص بهم، وإنصافه حيال غارات الوهابيين على حضرموت. وغيرها كثير، مع كونه أشعري العقيدة، يميل للتصوف من غير غلو ونصرة للخرافة؛ لدليل على إنصافه وصدقه. وهذه والله سمة العلماء الصادقين العاملين المصلحين.

وأما الضرر والأذى الذي لحقه ولازمه من بني قومه العلويين؛ فقد نادى به في أكثر من موضع من كتبه، وما ذلك إلا عن صدق ما لقيه، لا عن ادعاء وزور، وحاشاه عن ذلك.

فنظرة في كتابه الفذ: (العود الهندي) تجد مواضع عدة من ذلك الأذى ونقمتهم عليه؛ قد استخلصتها وأودعتها كتابي المطبوع (كل ما هو حضرمي من العود الهندي)؛ تحت العناوين الآتية لمن رام الرجوع إليها:



- المصنف وهذا الزمان.
- المصنف وانتقاده لحال العلويين الحضارمة في زمانه وقصيدته فيهم.
- وَجَل المصنف على العلويين الحضارمة.
- انتشار الخرافات عند الحضارمة سبب في إخفاء الفضائل.
- المصنف وما يعانيه من الحساد.

ونختم بقصة تدل على ما يعانيه من بني قومه؛ فقد ذكر في كتابه: (إدام القوت)، (ص٨٠٢) عند ذكره للسيد علي بن صالح بن أحمد الحامد الباعلوي (ت ١٣٤٩هـ) صاحب الغنى والثروة: «وكان ينكر الخرافات والدعاوى الكاذبة، ولما واظب على حضور دروسي في الشمائل النبوية؛ تأكد ما بخاطره من ذلك، فوافقني على إنكارها؛ وصارح بذلك؛ فلحقه شيء يسير من فضول ما لحقني من تعصب عشاق الجاه المنفوخ، والولاية الزائفة... ولولا اعتصامه بالثروة -وهي الشافع المقبول في بلادنا- لناله ما نالني أو أكثر»، هذا ما تيسر التعليق عليه، والله الموفق لما يحب ويرضى.

28
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

الحزم ... حوطة بين دولتين

على ضفاف وادي حضرموت تصطف المدن والبلدات كأنها حبات لؤلؤٍ تزين عِقداً على صدرِ عروس، وقد اقترنت مسميات كثير من تلك البلدات بأسماء أسر وشخصيات حضرمية كان لها الأثر البالغ في إثراء تاريخ هذه البلدة أو تلك، ومن هذه البلدات: مدودة باحميد، قرن بن عدوان، زاهر باقيس، وبعضها حمل صفة الحوطة مثل: حوطة سلطانة، حوطة أحمد بن زين، حوطة حزم العيدروس.

والحَوْطَة بفتح الحاء والطاء وسكون الواو، جمعها حُوَط، بضم الحاء وفتح الواو، هي الموضع الذي يختطُّه صاحب الوجاهة الدينية (المنصب)، فيحوطه ويعلن أنه حرم آمن، لا يجوز فيه القتال ولا النهب من القبائل والسلاطين، ومن دخله صار آمنًا في حمى مؤسسهِ ومختطهِ(١).



عبدالكريم محروس ميزان

على الطريق القديم المبتدئ من شبام باتجاه الشرق والمسمى بـ(المَـقَيف الشبامي)(٢)، وعلى بُعد أميال معدودة من هذه المدينة - لا تتجاوز ثلاثة كيلومترات - يمر المسافر ببلدة الحزم المنسوبة للأشراف آل العيدروس؛ فتعرف بـ(حزم العيدروس)؛ يحدُّها من الشمال بساتين نخل وارفة، أكثرها أوقاف على جامع شبام وجامع الحزم ومساجد أخرى، ثم منطقة السباخ أو ما يعرف اليوم بشبام الجديدة، ثم يأتي المجرى الرئيس لوادي حضرموت، واليوم تعرضت هذه الجهة للزحف العمراني فَبُدِّلت بساتين النخيل ببيوت الطين والإسمنت.

أما في الغرب فيأتي سحيل بن مهري، وهي منطقة كانت ساحة حرب بين الكثيريين والقعيطيين قبل ترسيم الحدود بينهما، ومن الشرق يأتي مجرى وادي بن علي، قادمًا من سفوح الهضبة الجنوبية، وهو أحد الروافد الرئيسة لوادي حضرموت، وبين هذا المجرى والحزم تأتي أملاك محبوسة وأملاك خاصة، وكذلك بلدة (الدَّحْـقَة) مكان آل سند الكثيريين.

من الجنوب يقف جبل الخُبَّة شامخًا كمدافعٍ جسورٍ وحارسٍ أمينٍ، قيل إن هذه البلدة سميت بالحزم؛ لأن ذلك الجبل يشكِّل شريطًا وحزامًا يلتف حول جزء كبير منها(٣)، أما في معاجم اللغة فالحزم هو الغليظ من الأرض، أي الذي كثرت حجارته وأشرف حتى صار له إقبال لا تعلوه الإبل والناس إلا بالجهد، والحزم أيضًا هو ما احتزم من السيل، أي ارتفع، وجمعها حُزُوم(٤).

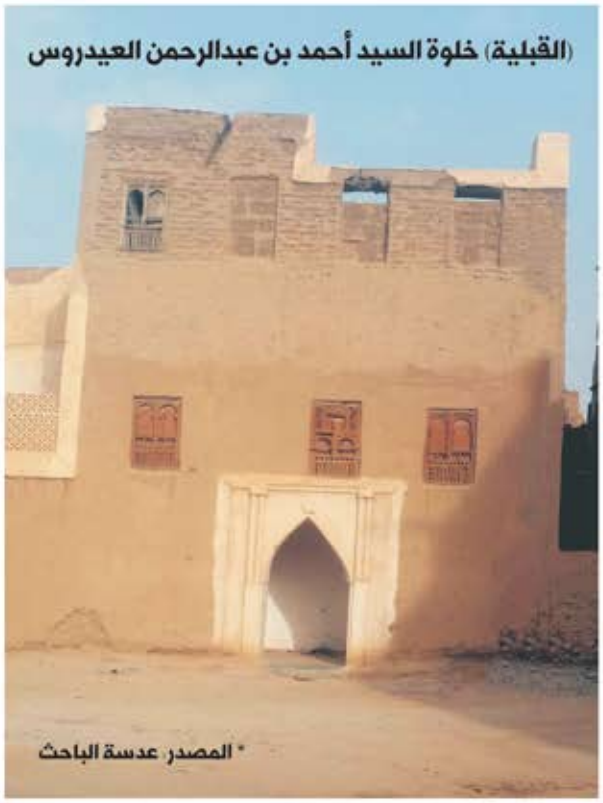
كان مبتدأ هذه البلدة الطيبة أن شيخًا فاضلاً يُدعى عون بن سعيد، من آل روَّاس بنى مسجدًا في الطرف الشرقي للحزم، وبجانبه بنى سقيفة وسقاية، ليقيل فيها من ينحدر من شبام بعد قضاء حاجته؛ لأن أهل تلك الأطراف يمتارون من شبام - أي يأخذون ميرتهم وأزوادهم - وأهلها لا يعرفون قِرَى الضَّيف، فلا يجد هؤلاء من يفتح لهم باب داره(٥)، هكذا علَّل ابن عبيدالله بناء هذا المسجد المعروف إلى اليوم بمسجد عون، ولكنه لم يذكر تأريخ البناء.

29
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

اقترن اسم بلدة الحزم بالأشراف العلويين آل العيدروس؛ إذ يسمى الطرف الغربي (القبلي) لهذه البلدة باسم المعيقاب، وهي منطقة لها ذكر في كتابات التاريخ الحضرمي؛ حيث كانت هي الأخرى ساحة من ساحات الصراع اليافعي الكثيري، وشهدت وقائع عدة منها سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م(٦)، وقد نزل بها بيت من آل العيدروس، من ذرية الشريف أحمد بن حسين بن عبدالله العيدروس، المتوفى بتريم سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م، كان هذا العلوي يتردَّد إلى شبام للأخذ عن الشيخ معروف باجمَّال(٧)، وأصحاب المعيقاب هؤلاء عُرفوا فيما بعد بـ(آل حامد) نسبة إلى السيد حامد بن حسن بن عبدالله العيدروس(٨)، أولهم ذكرًا الشريف محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حسين بن عبدالله العيدروس، وأخوه حسين بن علي، والأخير كان له عقب في المعيقاب وشبام، ومنهم من يعرف بآل شريم، وهم من ذرية ابنه محمد، وقد انقرضوا(٩)، وكان لهم دُور -أي بستان نخل مسوَّر بجدار- يسمى دور المعيقاب(١٠)، وبيتهم باتجاه الجبل جنوب المعيقاب(١١).

بالإضافة إلى بيت آل شريم، كانت هناك ساحة في شبام تسمى ساحة آل عيدروس، منها تخرج الطيالة في ليلة الشعبانية(١٢) -أي ليلة النصف من شهر شعبان-، أما خارج الحزم وشبام فعقب هذا الفرع من آل العيدروس موجود في مكة وجاوا وجاكرتا بإندونيسيا وغيرها(١٣)، منهم الحسين بن أبي بكر بن عبدالله بن حسين بن علي بن محمد بن أحمد بن حسين بن عبدالله العيدروس، وليد المعيقاب، ودفين جاكرتا، كان إمامًا فاضلاً وعالمًا عاملاً، توفي يوم ٢٧ رمضان ١١٦٩هـ/ ١٨ يونيو ١٧٥٦م(١٤).

يذكر ابن عبيدالله أن أول من سكن وسط هذه البلدة -الحزم- من آل العيدروس وبنى بها دارًا هو السيد أحمد بن



(القبلية) خلوة السيد أحمد بن عبدالرحمن العيدروس

* المصدر: عدسة الباحث

عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن حسين بن عبدالله العيدروس(١٥)، يلتقي مع آل عيدروس أصحاب المعيقاب في الجد الثالث محمد بن أحمد(١٦)، سكن السيد أحمد بن عبدالرحمن الحزم سنة ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م قادمًا من تريم، يُعرف أبوه -السيد عبدالرحمن بن محمد- بصاحب الدشتة(١٧)، وقد توفي هذا الأب في تريم سنة ١١١٣هـ/ ١٧٠١م(١٨)، وحسب الرواية فإن استقرارهم لم يكن محل قبول من آل عيدروس أصحاب المعيقاب، إلا أنهم وجدوا الحماية من آل سند الكثيريين؛ فاستقروا في محلتهم المعروفة وسط الحزم(١٩).

للسيد أحمد بن عبدالرحمن دور في الدعوة إلى الله(٢٠)، وإليه ينسب بناء المسجد الجامع في الحزم، كذلك له تصانيف منها كتاب مفقود حمل عنوان (ترغيب أولي العقول والفطن في فضائل وفوائد حسن الظن)(٢١)، توفي ببلدة الحزم في ٢١ رمضان ١١٥٠هـ/ الموافق ٥ يناير ١٧٣٨م(٢٢).

هناك كتابات أخرى تشير إلى أن الأب السيد عبدالرحمن بن محمد العيدروس، المعروف بصاحب الدشتة، قد سبق



صورة أخرى للمركز الحدودي للدولة القعيطية، جمرك الحزم، وفي الخلف يظهر حصن بن مهري

* المصدر: موقع العمري على شبكة المعلومات

ابنه في القدوم إلى الحزم وتدبيرها، بل تضيف أنه ولد بها سنة ١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م، وتوفي أيضًا، وقُبر في مقبرتها سنة ١١١٣هـ/ ١٧٠١م(٢٣).

بعد أحمد بن عبدالرحمن برز ابنه السيد عمر بن أحمد، فظهر بمظاهر المناصب فنُسب إليه الحزم؛ فقيل: حزم عمر بن أحمد، ويختصر فيسمى (حزم العيدروس)، ولد السيد عمر بن أحمد يوم الجمعة ١٧ ذي العقدة سنة ١١٣٢هـ/ الموافق ١٧ سبتمبر ١٧٢٠م، كان له إسهام في عمارة مسجد والده القائم بالحزم، والمعروف بالمسجد الجامع؛ فزاد عليه بعض الزيادات عندما كثر الساكنون، منها زيادة مساحة مصلى الصلاة من جهات عدة، وأعاد بناء منارته وتوسيع مكان الوضوء، وأضاف له منبرًا للخطبة، وكانت تلك العمارة والتوسعة سنة ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م، وجاء ضبط تاريخها بحساب الجمَّل في جملة (جدَّدوا للخير منبرًا) أي سنة ١١٨١هـ كما قام بعمارة خلوة والده المعروفة بـ(القبليَّة) بعد تعرضها لحريق أصاب بعض أخشاب سقفها، وذلك سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م(٢٤).

تتلمذ السيد عمر بن أحمد وأخذ التصوف عن والده، وكذا عن فقهاء آخرين خاصة من أهل تريم، وكانت له بعض الكرامات والمكاشفات، كما أخذ عنه بعض طلبة العلم منهم الشيخ عبدالرحمن بن عبدالصمد باكثير(٢٥)، والشيخ عبدالرحمن بن سالم باهرمز(٢٦).

توفي السيد عمر في بلدته الحزم يوم السبت ٢٧ صفر سنة ١١٩٩هـ/ الموافق ٢ يناير ١٧٨٥م، ودفن بمقبرة شبام(٢٧)، بعد أن جعل من الحزم حَوطةً آمنةً يحرم فيها القتال والنهب والظلم، ومن حينها سميت حوطة حزم العيدروس، تمييزًا لها عن حُوط أخرى، وبذلك أضحت الحزم مقصدًا لكثير من الناس طلبًا للأمن والأمان، وبخاصة من أهالي شبام الذين عصفت بهم الفتن والمظالم في عهد السلطان عمر بن جعفر بن علي الكثيري (١٢٢٧ - ١٢٤٠هـ/ ١٨١٢ - ١٨٢٥)(٢٨).

في تلك المدة كان التمايز الطبقي واضح المعالم، مصان الحقوق والواجبات، لذا أثارت بعض الحوادث استياء فئة المساكين (الضعفاء) في هذه البلدة، لكن الغالب على حياة الناس هو السلم الاجتماعي، واحترام السادة العلويين لمكانتهم الاجتماعية والدينية، وغدت



المركز الحدودي للدولة القعيطية، جمرك الحزم، في الخلف يظهر حصن بن مهري على قارة مرتفعة

* المصدر: موقع العمري على شبكة المعلومات

31
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م



صورة حديثة للمركز الحدودي للدولة الكثيرية وإلى جانبه مبنى كان مكاتب وسكن للجنود

المصدر: صحيفة الأيام

هذه الحوطة داراً ومأوى للكثير منهم، خاصةً ممن تعرض للظلم في بلدات أخرى، وفيها امتهنت كثير من الأسر حِرَفًا ومهنًا توارثتها جيلاً بعد جيل، مثل: صناعة النسيج (الحياكة)، وصناعة التنانير والأدوات الفخارية، ودباغة الجلود، والبناء الطيني، والنجارة، والزراعة، وفي المدن الرئيسة مثل شبام وسيئون وغيرها وجد أصحاب هذه المهن أسواقًا مناسبة لتصريف منتجاتهم.

يظهر أن حرمة هذه الحوطة لم تُراعَ بصورة دائمة، ولم تُحترم المكانة الاجتماعية لزعمائها الدينيين آل العيدروس؛ إذ مع شدة الصراعات الكثيرية القعيطية وتفاقمها قَدِمت إلى حضرموت أفواج من قبائل يافع وجنودهم المعروفين بـ(الرويلة)(٢٩)، وكان من تداعيات ذلك أن تعرضت حوطة الحزم لسيطرة القبائل اليافعية؛ ففي شهر جمادى الأولى سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م دخلت يافع إلى هذه الحوطة عنوةً تحت قيادة حسين بن صالح المصليِّ، وأجلوا جميع سكانها -شريفًا وضعيفًا- إلى بلد شبام، ولم يبقَ بها إلا جنودهم(٣٠)، وذريعتهم في ذلك أن آل العيدروس يمدُّون آل كثير ويساعدونهم(٣١).

استمر وجود قبائل يافع في بلدة الحزم قرابة شهرين من الزمان؛ إذ في شهر رجب سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م غادرت تلك المجاميع القبلية إلى المكلا بعد هزائم متلاحقة تعرضت لها في أكثر من وقعة على يد جيش الدولة الكثيرية وحلفائها، في إثر ذلك عاد السادة آل العيدروس إلى محلتهم حوطة الحزم، وعاد جميع سكان هذه الحوطة(٣٢).

ومن أفاضل آل العيدروس السيد عيدروس بن حسين بن أحمد بن عمر بن أحمد العيدروس، ولد بالحزم سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م، ثم سافر إلى الهند وتوفي بها سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، كان شريفًا فاضلاً ذا صدارة ووجاهة(٣٣)، تتلمذ على يد والده وعمه وعلماء آخرين من شبام ودوعن، وكان من أكابر أهل عصره(٣٤)، وقد سافر إلى الهند طلبًا للرزق، ولقضاء ديون كثيرة تحملها.

في الهند ذاع صيته، واتصل به عدد من المريدين، ووسَّع الله له في الرزق؛ فكان له إسهام اقتصادي، وريادة في حفر الآبار الارتوازية، إذ عاد في إحدى قدماته من الهند ومعه أنابيب حديدية وآلات ارتوازية؛ فشرع في حفر بئر، لكن مشروعه فشل وتكبد خسائر باهضة(٣٥).

ومنهم السيد عمر بن عبدالرحمن بن علي بن عمر بن أحمد بن عبدالرحمن العيدروس، كان فقيهًا نحويًا، وشاعرًا صوفيًا، ومصلحًا اجتماعيًا، له آثار في الإصلاح الاجتماعي العام والخاص، وُلِدَ ببلدة الحزم يوم الأربعاء الثاني من شهر رجب سنة ١٢٧٩هـ/ الموافق ديسمبر ١٨٣٣م، وتوفي بها أيضًا سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م، وتتلمذ في الحزم على يد شيخه عيدروس بن أحمد سالف الذكر، وغدا في بلدته هذه المدرِّس والمتصدر عند غياب شيخه، كما جثا ركبتيه طلبًا للعلم عند عدد من علماء شبام خاصةً من السادة آل بن سميط، وكذا عند السيد عبدالله بن الحسن

بن صالح البحر، وغيرهم كثير في حضرموت والحجاز، ويعد السيد علي بن محمد بن حسين الحبشي من أبرز مشايخه.

بالعودة إلى المعيقاب فقد سبق القول إن بها بستان نخل لآل العيدروس يسمى دور المعيقاب، وأيضًا بها حصن قديم يسمى حصن المعيقاب(٣٦)، وهو من حصون آل كثير، تنازلوا عنه للقعيطي مع حصون أخرى منها حصن بن مهري؛ ففي سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م اتفق رأي السلطان غالب بن محسن الكثيري ومعه بعض فخائذ آل كثير على غزو شبام التي كانت حينها تحت سلطة القعيطي، واتخذوا من سحيل بن مهري قاعدةً لانطلاقهم، ومخزنًا لمؤنهم، وبقيت الحرب سجالاً، إلا أن الغلبة كانت للقعيطيين في أكثر جولاتها مما دفع آل كثير إلى طلب الصلح، وبموجبه تنازلوا عن حصن المعيقاب وحصون بن مهري وآلت كلها للقعيطي(٣٧).

اتخذت بريطانيا من الصراع القعيطي الكثيري وسيلة للتدخل في شؤون حضرموت وفرض الحماية عليها، وكانت قد وقَّعت سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م معاهدة حماية مع القعيطي، ثم في عهد السلطان غالب بن عوض القعيطي، والسلطان منصور بن غالب الكثيري، وتحديدًا سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م تم التوقيع على معاهدة عدن بين الدولتين القعيطية والكثيرية، بموجبها تراضى الطرفان على إيقاف الأعمال الحربية وأعلنا استعدادهما للتعاون في إصلاح البلاد، كما اعترف السلطان الكثيري بمعاهدة الحماية بين السلطان القعيطي والحكومة البريطانية على أنها ملزمة لحكومته، وبذلك دخلت السلطنة الكثيرية تحت الحماية البريطانية(٣٨).

كانت الحزم تتبع السلطنة الكثيرية؛ إلا أن الحدود بين هذه السلطنة وجارتها القعيطية لم تكن ثابتة ومعلومة حتى سنة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م؛ إذ بحسب الروايات وشهود العيان فإن بلدة الحزم كانت محل نزاع بين السلطنتين؛ فأسندت إدارتها لنائب خاص هو السيد شيخ بن عبدالله الحبشي، كما وجدت بعض الوثائق المتعلقة بعمليات البيع والشراء والرهن لأراضي وعقارات في الحزم صادرة عن إدارات الدولة القعيطية في شبام، ولم يكن جمرك الدولة الكثيرية في موقعه المعروف اليوم؛ بل كان عند الطرف الشرقي لبلدة الحزم، وتحديدًا عند مدخل بلدة (الدحقة) السالف ذكرها، تمر به القوافل المحملة بالبضائع قادمةً من الشحر ومن مرتفعات حضرموت الجنوبية سالكةً طريق وادي بن علي(٣٩).

في عهد السلطان جعفر بن منصور بن غالب الكثيري والسلطان صالح بن غالب القعيطي تم تشكيل لجنة لرسم الحدود بين السلطنتين القعيطية والكثيرية، ويبدو أن احتمال وجود النفط كان دافعًا رئيسًا لتشكيل هذه اللجنة التي تكونت من مندوبي السلطنتين تحت إشراف المستشار البريطاني (شبرد)، وبدأ التحديد سنة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م(٤٠).



صورة حديثة لحصن بن مهري
الواقع على قارة مرتفعة إلى الغرب من مركز الدولة القعيطية

* المصدر: عدسة الباحث

توصلت اللجنة إلى قرار الحدود ورسم خطها الذي يبتدئ في الشمال الشرقي من شرق تريم، ويمر بالهضبة الجنوبية في اتجاه غربي متعرج، ثم ينحدر شمالاً ويصل الحزم؛ فيقطع المعيقاب، ثم يتجه غربًا إلى قارة آل عبدالعزيز شمال غرب شبام، ثم ينحرف غرب القارة باتجاه الشمال(٤١).

بعد التوقيع على اتفاقية الحدود أُسس مركزان حدوديان في بلدة حزم العيدروس وبالتحديد في جانبها الغربي (المعيقاب)؛ الأول شرقيًا يتبع الدولة الكثيرية، والثاني غربيًا يتبع الدولة القعيطية، بينهما أمتار معدودة، عبارة عن مسيل ماء صغير (شحرة) ينحدر من الهضبة الجنوبية، وإلى جانب المركز الكثيري يوجد مبنى ما زال قائماً إلى وقت قريب كان سكنًا للجنود، وبعد الاستقلال أصبح مدرسة لأبناء المنطقة، وبسبب مجاورة المركزين للمزارع وبساتين النخل خاصة في الجهة الشمالية كانت تتم من تلك الجهة عمليات التهريب تجنبًا لدفع الرسوم وبخاصة من القادمين من شبام(٤٢).

ما من شك إن ترسيم الحدود بين السلطنتين قد زاد من حالة السلام والأمن في المنطقة؛ إلا أنه عمَّق تقسيم الوطن الحضرمي؛ فأصبح لزامًا دفع رسوم جمركية على البضائع والسلع عند مرورها في منافذ الحدود تلك، ومن تبعات ذلك اختلاف الحضارمة في مطالع الأهلَّة وبخاصة هلال شهر رمضان وهلال شهر شوال إيذانًا بحلول عيد الفطر؛ فقد حصل أكثر من مرة أن سكان شبام وكل المناطق القعيطية قد تحققت عندهم رؤية هلال رمضان، وشرعوا في الصوم؛ بينما العكس في الحزم المجاورة لشبام، وكل المناطق الكثيرية، والحال نفسه عند حلول عيد الفطر، وقد يحصل العكس، أي يتقدم حضارمة الدولة الكثيرية في الصيام أو العيد على حضارمة الدولة القعيطية(٤٣).

المساجد القديمة في الحزم:

هناك ثلاثة مساجد قديمة في الحزم، يمكن أن نذكرها بالأقدم على النحو الآتي:

مسجد عون:

سبق الإشارة إلى بانيه الأول الشيخ الفاضل عون بن سعيد من آل رواس، ولا يعرف على وجه الدقة تاريخ بنائه، يقع هذا المسجد في الجهة الشرقية من الحزم، ويعد اليوم مسجداً وجامعًا يشرف عليه مكتب الأوقاف في شبام، وقد تعاقب عليه عدد من الأئمة منهم: المعلم سعيد بن محمد صوابان، والشريف عمر بن علوي الحبشي، والمعلم عبود بن أحمد جويح.

مسجد المعيقاب:

كان في بدايته عبارة عن مصلى صغير بناه السادة آل أحمد بن علي العيدروس(٤٤)، مساحة صحنه تقريبًا خمسة أمتار مربعة، تعلوه قبة تغطي جميع مساحته، ويتوسطه محراب للصلاة، يقال إن سبب تسميته بالمعيقاب تعود إلى اتخاذه مكانًا يستريح فيه الناس -بالعامية يَتعقَّبون- بعد عودتهم من شبام ليلة النصف من شعبان (الشعبانية) تتقدمهم فرقة الطيالة وحاملي البيارق العيدروسية، وإلى جانبه توجد سقاية، وفيه كانت تتلى بعض الأذكار والأوراد



مسجد المعيقاب، تظهر قبته العتيقة،
ومن الخارج يبرز المحراب القديم للمسجد، ومدخل من الجهة القبلية

* المصدر: عدسة الباحث

والأناشيد في تلك الليلة(٤٥)، وقد حصلت له توسعة حديثة.

لا يعرف تاريخ دقيق لبنائه، ويظهر أن بناءه كان في زمن إقامة آل العيدروس في هذه الناحية، يقع هذا المسجد بين بساتين النخل إلى الشمال من مركز الحدود للدولة القعيطية، بينهما الطريق الرئيس (المقيف الشبامي)، وما زالت قبته العتيقة قائمةً شاهدةً على عبق تاريخه(٤٦).



جامع الحزم عند التوسعة سنة ١٤٠٠هـ، وفي الخلف تظهر بيوت آل العيدروس

* المصدر: محفوظات والد الباحث

مسجد الجامع:

يكاد موقعه اليوم يتوسط بلدة الحزم، يعود تاريخ بنائه إلى سنة ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م، أما بناؤه الحالي فيعود إلى سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، والنظارة فيه ما زالت للسادة آل العيدروس، ولهم الإمامة والخطابة، وقد ينوب عنهم آخرون في ذلك؛ حيث أسند رفع الأذان فيه وكذا الإمامة والخطابة إلى أفاضل من أسر أخرى، منهم الفاضل عوض بن سالم صوابان (ت ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م)، كان مؤذنًا، والمعلم سالم بن عوض سلومة، كان إمامًا وخطيبًا ومحررًا للعقود (ت ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م)، ولقب (المعلم) كثيرًا ما يطلق على من يهتم بشؤون المسجد، من أذان وإقامة وخطابة، وكذا تعليم القرآن(٤٧).

ظل جامع الحزم محتفظًا بعهوده القديمة في الاحتفال بالمناسبات الدينية كالمولد النبوي وعاشوراء وغيرها، ويتم فيه عقد حلقة لتلاوة القرآن بعد صلاة المغرب من كل ليلة إلى وقت أذان العشاء، حيث يتم يوميًا قراءة ورد من القرآن مقداره سُبع كامل، قسم منه في أثناء حلقة القرآن، ثم يستكمل معلم المسجد بشكل انفرادي بقية السُبع في أوقات أخرى؛ ليتم ختم المصحف (الختمة) كاملاً في كل أسبوع، ثم يقرأ ختم القرآن يوم الخميس بعد صلاة الفجر من كل أسبوع، وفي شهر رمضان تعقد حلقة القرآن من بعد أذان الظهر إلى وقت صلاة العصر(٤٨).

المدارس القديمة في الحزم:

بالقرب من مسجد الجامع كانت هناك مدرسة (معلامة) ذات بناء مستقل، يتعلم فيها الأولاد أمور دينهم والمبادئ والقواعد الرئيسة للقراءة والكتابة وكذلك الحساب؛ فمن الكتب التي تدرس فيها منظومة متن الزبد للفقيه شهاب الدين أحمد بن رسلان الرملي (ت ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)، ومنظومة عقيدة العوام للشيخ أحمد المرزوقي المكي (ت بعد ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م).

كان يفد على هذه المدرسة أولاد البلدة نفسها أو من قرى مجاورة لها، وتطلَّع بمهمة التدريس فيها على مرِّ سنوات عدة أفاضل من آل العيدروس أنفسهم، أو من أسر أخرى، منهم السيد جعفر بن أحمد العيدروس، والسيد محمد بن علي العيدروس، والسيد شيخ بن محمد الحبشي، والمعلم سالم بن عوض سلومة، وبعد الاستقلال تحولت إلى مدرسة من مدارس محو الأمية، وعند توسعة المسجد سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م هُدِّمت تلك المدرسة، ودخلت في مساحة المسجد(٤٩).

وهناك مدرسة القرآن للمعلم يسلم بن محمد غلقان، وهي كتَّاب (عُلمة) كان مقرُّها في بيت قديم منسوب لآل


كتّاب (معلامة) المعلم
يسلم محمد غلقان

* المصدر: عدسة الباحث

جبير، نذر المعلم يسلم غلقان جزءًا كبيرًا من عمره في تعليم الصبيان أمور دينهم من صلاة وتلاوة وكتابة، وكان المنهج فيها يعتمد أولاً على القاعدة البغدادية وجزء (عمَّ)؛ فإذا أتقنها الصبي ينتقل إلى التلاوة من المصحف حتى يختمه تلاوةً فقط لا حفظًا، فإذا أتم قراءة القرآن كاملاً يحضر ومعه حلوى توزع على بقية أقرانه تشجيعًا لهم ليحذو حذوه، أما الدفاتر فكانت عبارة عن ألواح خشبية سوداء اللون يكتب عليها المتعلم ما يُكلف به، ثم يراجع المعلم ما كتب ويصوِّب الخطأ إن وجد.

كان وقت الدراسة في هذا الكتّاب (العُلمة) صباحًا أو بعد صلاة الظهر بعد عودة الأولاد من المدارس الحكومية، وعلى الرغم من مشقة الزمان والمكان فإنَّ ذلك شكَّل جهدًا حميدًا ظهر أثرهُ في إرساء مبادئ الدين وعلومه عند أولئك الصبيان في وقتٍ شهدت فيه حضرموت محاولات لنشر الفكر الاشتراكي زمن الحكم الشمولي، حتى إن هذا المعلامة تعرضت للإغلاق وتعرض صاحبها للمساءلة.

وممن ساهم في نشر التعليم بين أبناء بلدة الحزم الشيخ الفاضل عبدالله بن عون بن سند الكثيري، كانت له مدرسة خاصة في مسقط رأسه بلدة (الدحقة) المجاورة للحزم، وموقع المدرسة بالقرب من بيته، تحت صخرة كبيرة، فيها كان يُدرِّس العلوم الدينية واللغة العربية والحساب والخط، وما زال تلامذته يذكرون جميل أخلاقه وحسن سيرته وأثره البالغ في حياتهم(٥٠).

الهوامش:

١) الشاطري، محمد بن أحمد: أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر، ط الثالثة، ١٩٩٤م، المدينة المنورة، ص٢٩١.

٢) المقيف هو الطريق القديم الذي يربط مدينة شبام بحوطة حزم العيدروس. والمقيف جمعها مقاييف، هي الطرق التي تفصل بين الآبار الزراعية، وتربط بين المناطق الزراعية والسكنية، وهو مفهوم كان متعارف عليه في حضرموت وظفار، وقيل المقيف هو المكان الذي فيه انحدار. ابن حسان: البهاء في تاريخ حضرموت، دار الفتح، ٢٠٢٠م، ص٩٢؛ باعمر، حسين بن علي: تاريخ ظفار التجاري، مطابع ظفار الوطنية، (د. ط)، ص٩٦.

٣) مقابلة مع الفاضل عبدالواحد عمر مسعود، أحد أبناء الحزم، بتاريخ ٢٨/ ١٠/ ٢٠١٩م.

٤) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، ١٣٠٠هـ ج١٢، ص١٣١.

٥) ابن عبيدالله، عبدالرحمن: إدام القوت، دار المنهاج، ٢٠٠٥م، ص٥٤٧.

٦) الكندي، سالم بن محمد: العدة المفيدة، مكتبة الإرشاد، ٢٠٠٣م، ج٢، ص١٨٤.

٧) المشهور، عبدالرحمن بن محمد: شمس الظهيرة، عالم المعرفة، ١٩٨٤م، ج١، ص١١٣؛ الشلي: المشرع الروي، ج٢، ص٥٧؛ ابن عبيدالله: إدام القوت، ص٥٠٨.

٨) ابن عبيدالله: مخطوط بضائع التابوت، ج٣، ص١٤٠.

٩) المشهور: شمس الظهيرة، ج١، ص١١٥، ١١٦.

١٠) المتعارف عليه في هذه الجهات أن (الدُّور) هو البستان المحاط بسور طيني، وقد يكون بداخله أو بجانبه بيت للسكن. وهناك (الخيط)، وهو بستان مسور بالجذوع والأغصان النباتية الجافة.

١١) الكندي: العدة المفيدة، ج٢، ص١٨٤.

١٢) مقابلة مع الفاضل طيب بن علي التوي، أحد أعيان شبام، بتاريخ ١٥/ ٥/ ١٤٤٠هـ؛ مقابلة مع الصحفي علوي بن سميط، أحد أعيان شبام، بتاريخ ١٤٤٠/ ١١/ ٢٠هـ. والطيالة هي رقصة خاصة بالطبقات العليا في المجتمع الحضرمي خاصة السلاطين، ترفع فيها الأعلام والبارق وتدق الطبول بإيقاعات خاصة مع المشي من مكان لآخر معروف مثل قصور السلاطين والساحات العامة ومقامات الشيوخ والأولياء، وكانت تقام في الحواضر الحضرمية.

١٣) المشهور: شمس الظهيرة، ج١، ص١١٥؛ ابن عبيدالله: إدام القوت، ص٥٤٦، ٥٤٧.

١٤) العطاس، علي بن حسين: تاج الأعراس، إندونيسيا، ١٣٣٣هـ ج٢، ص٣٩١، ٣٩٢.

١٥) إدام القوت، ص٤٧٤. ويقطع ابن عبيدالله بالقول إن السادة آل العيدروس هم أول من سكن الحزم.

١٦) الجنيد، أحمد بن علي (١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م): مخطوط الروض المزهر شرح قصيدة مدهر، مكتبة الأحقاف، رقم (١/ ٣١٧٩) مجاميع، تريم، ورقة ٧٤.

١٧) الدشتة كتاب يحتوي علوم ومسائل وحوادث سياسية وتاريخية متنوعة، وكذا رحلة المصنف إلى الحجاز والعراق، هذا الكتاب كانت نسخته الأصلية موجودة في مكتبة آل العيدروس بالحزم، ضمت نيف وثمانون كراسة. السقاف، عبدالله بن محمد: تاريخ الشعراء الحضرميين، القاهرة، ١٣٥٣هـ، ج٢، ص٦٥؛ الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ج٣، ص٣٣٢.

١٨) المشهور: شمس الظهيرة، ج١، ص١١٦. وللمحقق تعليق مختلف يوافق قول السقاف.

١٩) مقابلة مع الفاضل المعلم كرامة عمر صوابان، أحد أبناء الحزم، بتاريخ ١١/ ١/ ١٤٤١هـ.

٢٠) ابن عبيدالله: إدام القوت، ص٤٧٤.

٢١) لم يقف الباحث على هذا الكتاب ويبدو أنه مفقود. ورد ذكره في مخطوطة مبتورة خاصة بالسادة آل العيدروس في الحزم، كتبها بخط يده السيد عمر بن عبدالرحمن العيدروس (ت ١٣٤٧هـ) بإشارة من شيخه السيد عيدروس بن عمر الحبشي صاحب الغرفة. وقد حظي الباحث بمصورة للمخطوط من السيد أحمد بن جعفر العيدروس غفر الله له ولوالديه.

٢٢) مقابلة مع السيد أحمد بن جعفر العيدروس، أحد أحفاد السادة آل العيدروس في الحزم، بتاريخ ١٢/ ٤/ ١٤٤٠هـ.

٢٣) السقاف: تاريخ الشعراء الحضرميين، ج٢، ص٦٥؛ الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٣٣٢. أقول: لا توجد مقبرة خاصة في الحزم؛ فجميع أهل هذه البلدة وما جاورها يدفنون موتاهم في مقبرة شبام المعروفة بالقديم أو جرب هيصم.

٢٤) مخطوطة عيدروسية خاصة، ورقة ١٢، ١٣.

٢٥) هو ابن الشاعر عبدالصمد بن عبدالله باكثير الملقب بشاعر السلطان بدر بن عمر الكثيري. الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٢٣٥؛ باوزير، سعيد عوض: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، مكتبة الصالحية، ٢٠١١م، ص١٨٧.

٢٦) هو عبدالرحمن بن سالم بن عبدالله بن أبي بكر باهرمز، له كتاب (الدرة المضية في إثبات النسبة الهرمزية). مخطوط بمكتبة الأحقاف رقم (٢٥٦٤).

٢٧) مخطوطة عيدروسية خاصة، ورقة ١٣؛ ابن عبيدالله: إدام القوت، ص٥٤٧.

٢٨) ابن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ج١، ص١٤٤. والسلطان عمر هو آخر سلاطين آل عمر بن جعفر الكثيريين، كانت حاضرته شبام، انتهت دولته سنة ١٢٤٠هـ.

٢٩) الرويلة تحريف لكلمة (Rohilla) وهي قبيلة أفغانية مسلمة تسكن بالقرب من الحدود الشمالية للهند، استخدمها حكام الهند المسلمون جنوداً في جيوشهم لإخضاع رعاياهم الهندوك، ثم استقدموا بعضهم إلى حضرموت. بامطرف: في سبيل الحكم، ص٤٨.

٣٠) الكندي: العدة المفيدة، ج٢، ص٢٧٥.

٣١) ابن عبيدالله: بضائع التابوت، ج٢، ص٥٦.

٣٢) نفسه: ج٢، ص٢٨٦.

٣٣) للسيد عيدروس بن حسين مراسلات وإجازات وتحكيم للسيد عمر بن أحمد بافقيه مؤلف كتاب (صلة الأخيار بالرجال والأئمة الكبار). راجع ص٨٩ وما بعدها من ذلك المصنف مطبعة كرجاي، سنغافورة ١٩٩٠م.

٣٤) المشهور: شمس الظهيرة، ج١، ص١١٦؛ ابن عبيدالله: إدام القوت، ص٥٤٧.

٣٥) ابن عبيدالله: إدام القوت، ص٥٤٧.

٣٦) هناك خلط في المصادر حول هذا الحصن؛ فأحيانًا يشار إليه بأنه حصن قائم بذاته، وأحيانًا يوصف بأنه حصن بن مهري القائمة أطلاله إلى اليوم في جبل الخبّة فوق قارة مرتفعة في منطقة السحيل.

٣٧) ابن عبيدالله: بضائع التابوت، ج٢، ص٥١؛ ابن عبيدالله: إدام القوت، ص٥٤٦؛ باوزير، سعيد عوض: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص٢١٣.

٣٨) باوزير: صفحات، ص١٨٩، ٢٣٦.

٣٩) مقابلة مع الفاضل طيب التوي.

٤٠) باحمدان، محمد سالم: عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي في حضرموت ١٩٣٦ - ١٩٥٦م، رسالة ماجستير، جامعة عدن، ص٤٨.

٤١) باوزير: صفحات، ص١٩٠؛ باوزير، سعيد عوض: معالم تاريخ الجزيرة العربية، ص٣٠١.

٤٢) مقابلة مع الفاضل طيب التوي.

٤٣) مقابلة مع الفاضل كرامة عمر صوابان.

٤٤) الكندي: العدة المفيدة، ج٢، ص٢٧٣.

٤٥) مقابلة مع الفاضل طيب التوي، ومع الأستاذ عبدالواحد عمر مسعود.

٤٦) انظر الصور (قبة مسجد المعيقاب).

٤٧) مقابلة مع الفاضل عبدالكريم عوض سلومة، من أبناء الحزم، بتاريخ ٢/ ١٢/ ١٤٤١هـ.

٤٨) إن تقسيم تلاوة القرآن إلى سبعة أسباع كان سائداً في كثير من مساجد حضرموت، حتى إن هناك في بعض المساجد مصاحف مكتوبة بخط اليد (مخطوطة) عبارة عن سبعة مجلدات، في كل مجلد سُبع من القرآن، وكل سُبع يزيد قليلاً عن أربعة أجزاء من القرآن، مقسَّمة إلى عدد من المقاطع يسمى الواحد منها (مُقْرَأ)، ويقال إن الشيخ سالم بافضل التريمي (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م) هو أول من قام بترتيب أحزاب القرآن في جوامع ومساجد حضرموت. العطاس، أحمد بن حسن: السفينة المجموعة، دار حضرموت، ٢٠١٤م، ص١١١.

٤٩) مقابلة مع أحد تلاميذ هذه المدرسة، الفاضل عبدالكريم سلومة.

٥٠) عبدالله بن عون شخصية نادرة، فلم وثائقي من إنتاج المركز الدعوي بمسجد عون بالحزم ٢٠١٩م.

37
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

المظاهر السياسية والحضارية للسلطنة الكثيرية في مدينة الشحر وعلاقاتها الخارجية

خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي





محمد حسين بن الشيخ أبوبكر*

الملخص:

يتناول هذا البحث المظاهر السياسية والحضارية للسلطنة الكثيرية في الشحر وعلاقاتها الخارجية، وتحديداً حقبة القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي). تلك السلطنة التي نشأت في حضرموت، حيث شهدت البلاد عدداً من الأحداث السياسية كانت نتيجتها بروز عدد من الكيانات السياسية المستقلة في أهم المدن الحضرمية كالشحر، وسيئون، وتريم، وشبام، وهي كيانات كانت أشبه ما تكون بدويلات المدن. وتكمن الأهمية التاريخية للسلطنة الكثيرية في أنها تمكنت من توحيد أجزاء واسعة من حضرموت تحت سلطة واحدة، كما ربطت مناطق الساحل الحضرمي بداخله.

يهدف البحث إلى محاولة سبر أغوار التاريخ، وعرض المحاولات الأولى وتتبعها لنشأة السلطنة الكثيرية، ثم المراحل والمنعطفات السياسية التي خاضها السلاطين والأمراء الكثيريون في سبيل تثبيت سلطتهم، والمخاطر والتحديات التي واجهتها السلطنة، وازدياد الصراع الأسري الكثيري على الحكم، وما نتج عنه من تدخل القوى الخارجية، مثل الدولة القاسمية في شمال اليمن، والقبائل اليافعية التي أدت إلى إضعاف السلطنة الكثيرية تدريجيًا ثم انهيارها.

كما تضمن البحث علاقات السلطنة الكثيرية بالقوى الدولية والإقليمية حينذاك مع كل من البرتغاليين والدولة العثمانية، إضافة إلى الدولة القاسمية في شمال اليمن وأخيراً مع الهولنديين.

وفي جانب المظاهر الحضارية حاولنا تتبع بعض تلك المظاهر التي شملت التوسع العمراني لمدينة الشحر في تلك الحقبة، إضافة إلى النواحي العلمية وكذا الجانب الاقتصادي، وما تميزت به السلطنة الكثيرية من استقرار سياسي في تلك المدة ألقى بظلاله على ازدهار التجارة وانتعاشها في ميناء الشحر. وخير دليل على ذلك ما وصلنا من معلومات مفيدة من وثائق التجار الهولنديين التي تعود إلى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وأول من بدأ هذا العمل هو (فن دن بروك)، الذي بدأها في ٣٠ مايو ١٦١٣م/ ١٠٢٢هـ، وسجل وصفًا دقيقًا لميناء الشحر ونشاطه التجاري، وقائمة المكوس والأوزان، وأنواع العملة، وأسعار السلع السارية في الشحر والسفن التي وصلت إليها.

تكمن أهمية الموضوع في كونه يسلط الضوء على جانب مهم من جوانب التاريخ السياسي والحضاري للسلطنة الكثيرية في مدينة الشحر، ولتاريخ حضرموت بشكل عام.

يتبع البحث منهج البحث التاريخي مع الاستفادة من المنهج الوصفي والتحليلي، وينتهي بخاتمة، مع أهم النتائج والتوصيات، وقائمة بالمصادر والمراجع.

كلمات مفتاحية: مدينة الشحر المظاهر السياسية الحضارية العلاقات الخارجية التوسع العمراني.

المقدمة:

للموقع الجغرافي لمدينة الشحر دور مهم في الحياة السياسية، فقد اهتمت جميع القوى المحلية والخارجية بالسيطرة على المدينة طمعًا في مينائها الشهير، الذي يمثل عصب الحياة الاقتصادية في حضرموت بما يتمتع به من تجارة واسعة، مما شكل دافعًا اقتصاديًا استهوى أنظار تلك القوى.

وعظم بذلك شأن المدينة، وأقبل التجار والعلماء والأدباء على الإقامة بها، والتردد إليها، فلم تستطع لذلك أية مدينة ساحلية في حضرموت أن تنافسها، أو تبرز معها في مضمار(١).

تقع مدينة الشحر على الشريط الساحلي لمحافظة حضرموت، يحدها من الغرب مدينة المكلا ومديرية غيل باوزير، ومن الشرق مديرية الديس الشرقية والريدة وقصيعر، ومن الشمال غيل بن يمين والأطراف الجنوبية لهضبة حضرموت، ومن الجنوب بحر العرب(٢).

وتقع الشحر أيضًا على ساحل بحر العرب على دائرة عرض ٤٤ , ١٤ شمالاً، وخط طول ٣٩ , ٤٩ شرقًا(٣)، وتبعد عن مدينة المكلا بنحو ٦٥ كيلو مترًا تقريبًا إلى الشرق.

والشحر: بكسر الشين وسكون الحاء، بعدها راء مهملة، هي ساحل اليمن، الممتد بينها وبين عُمان(٤)، وكانت الشحر اسماً يطلق على جميع ساحل حضرموت وأرض المهرة إلى عُمان، ثم صار في عُرف متأخر اسماً للمدينة التي كانت تسمى (الأسعاء)، وهي أهم مدينة على الساحل حينذاك(٥)، وهي ميناء لحضرموت وينسب إليها اللبان الشحري(٦).

وتعد الشحر أقدم ميناء في جنوب شبه الجزيرة العربية، فقد كانت الميناء الثاني لمملكة حضرموت القديمة، والميناء الأول والرئيس لحضرموت في العصور الوسطى(٧). ويعود ارتفاع شأن مدينة الشحر -التي كانت تسمى من قبل بالأسعاء على الأرجح- وتحولها إلى مركز رئيس من مراكز الحياة السياسية لحضرموت في العصور الوسيطة إلى وضعها الاقتصادي المهم كمدينة وميناء بحري مثلها مثل عدن وظفار. وقد استمر دورها المهم هذا حتى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي(٨).

ارتبط تاريخ حضرموت منذ أن دخل الإسلام إليها بتاريخ الدولة العربية الإسلامية العام، إذ أصبحت جزءًا من الكيان الإسلامي السياسي الكبير، فقد خضعت لعاصمة الخلافة في كل من المدينة المنورة، الكوفة، دمشق، بغداد وذلك لمدة قرنين من الزمان(٩).

وفي القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، بدأت عموم اليمن تشهد قيام الدويلات المستقلة عن الحكم العباسي، وخضعت حضرموت أو أجزاء منها لحكام تلك الدويلات، ومن هذه الدويلات التي قامت في اليمن ومدت نفوذها إلى حضرموت ومدينة الشحر نذكر الدولة الزيادية (٢٠٤- ٣٠٩هـ/ ٨١٩- ٩٢١م)، ثم الدولة الصليحية (٤٣٦- ٥٣٢هـ/ ١٠٤٤- ١١٣٧م) فقد بسطت نفوذها على الشحر سنة (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م). وعندما ضعف حال الصليحيين انقسمت حضرموت إلى ثلاث نواح مستقلة، هي: تريم، وشبام، والشحر، وقامت في الثالثة سلطنة آل فارس، وكان أولهم عبدالباقي بن فارس بن راشد بن إقبال الكندي الحضرمي، ومركزهم مدينة الشحر(١٠). وتعود نشأة هذه الإمارة إلى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري (١١- ١٢م).

أما الدولة الأيوبية (٥٦٩- ٦٢٦هـ/ ١١٧٦- ١٢٢٨م)، فقد امتد نفوذها إلى حضرموت ومدينة الشحر سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)، ولم يكن الحكم الأيوبي في حضرموت حكماً مباشراً، ولذا فقد شهد الربع الأخير من القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع الهجري (١٢- ١٣م) تمردات واسعة في حضرموت هدفها رفض التبعية للأيوبيين. وقد نجحت قبيلة نهد في تحقيق الاستقلال وفرض سيادتها على حضرموت الساحل والداخل وذلك في سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م).

وعندما قامت الدولة الرسولية باليمن (٦٢٦- ٨٥٨هـ/ ١٢٢٨- ١٤٥٤م) حكمت الشحر بين سنة (٦٧٧- ٨٣٦هـ/ ١٢٢٨ ١٤٣٢م)، وكان حكم الرسوليين يتأرجح بين القوة والضعف، فقد ناوشتهم القبائل المجاورة في داخل المدينة وخارجها، وبسبب تلك المناوشات وكذا الضعف العام الذي دب في أوصال دولة الرسوليين، استطاع محمد بن سعيد ابن فارس ويكنى بـ(بادجانة)، من احتلال الشحر وإنهاء الوجود الرسولي فيها سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٥٤م، ونقل مركز إمارته من حريج إلى الشحر، وقد ساعده في ذلك المئات من أبناء الشحر(١١).

وبعد ذلك فقد حاول الطاهريون (٨٥٠- ٩٢٣هـ/ ١٤٤٦- ١٥١٧م) مد نفوذهم نحو الشحر، غير أن أبا دجانة تصدى لتلك المحاولات، ولم يكتف بذلك بل حاول في سنة (٨٦١هـ/ ١٤٥٦م) احتلال عدن عاصمة الدولة الطاهرية إلا أنه فشل ووقع أسيراً في يد الطاهريين، وسقطت الشحر بأيديهم سنة (٨٦٦هـ/ ١٤٦١م)، لكنهم ما لبثوا أن جلوا عنها بعد أربعة أعوام بسبب الصعوبات التي كانوا يواجهونها في شمال اليمن، وأنابوا عنهم في حكم الشحر بدر بن محمد الكثيري، وهذه هي المرة الأولى التي يحكم فيها آل كثير الشحر.

وفي سنة (٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م) توفي السلطان محمد سعيد أبو دجانة في حريج وخلفه ابن أخيه الأمير فارس بن مبارك، وكان شاباً طموحاً، فهاجم مدينة الشحر وانتزعها من السلطان بدر بن محمد الكثيري، ولكن في سنة (٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) استعاد السلطان بدر بن محمد الكثيري الشحر، وهو أول من حكمها من آل كثير(١٢). وكان ذلك أول اتصال لآل كثير بالشحر(١٣).

لم يطل المقام ببدر بن محمد الكثيري في الشحر، فقام الأمير سعد بن مبارك بن فارس بادجانة بطرده منها والاستيلاء عليها، وذلك في سنة (٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م)، وبقي حاكماً بها إلى أن انتزعها منه السلطان جعفر بن عبدالله الكثيري(١٤) سنة (٩٠١هـ/ ١٤٩٥م) بعد معركة نشبت بينهما على مشارف قرية تبالة(١٥). وبذلك سقطت الشحر نهائيًا بيد الكثيريين(١٦).

قيام السلطنة الكثيرية:

إن تاريخ السلطنة الكثيرية كان في أغلبه تاريخ الصراع القبلي في حضرموت، وقد اختلفت فيه أدوار آل كثير من مواقع الدفاع عن النفس إلى المشارك والمهاجم وذلك باختلاف تطور أدوار النفوذ الكثيري في حضرموت(١٧).

يُعد علي بن عمر بن جعفر الكثيري الذي ولد في ثمانينيات القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي (٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م)، أول سلطان يحول القبيلة الكثيرية إلى دولة منظمة، وهو أول من نودي به سلطانًا من آل كثير في حضرموت وكان ذلك في سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م)(١٨).

وحقيقة الأمر أن هناك نجاحات ميدانية حققها السلطان المؤسس علي بن عمر الكثيري، كان أهمها توسيع نطاق نفوذ آل كثير في داخل حضرموت وساحلها، وتمكنهم من السيطرة على العديد من القرى والبلدات المهمة في حضرموت(١٩).

إن الأهمية التاريخية للسلطان علي بن عمر تكمن في أنه كان بمثابة المنقذ لآل كثير. فقد استجاب للتحديات المفروضة، وأعاد تنظيم صفوف الكثيريين، ونقلهم إلى وضع أفضل مما كانوا عليه قبله. ولكن لم يستمر في الحكم طويلاً إذ توفي في سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م)(٢٠).

بعد وفاة السلطان علي بن عمر الكثيري تعاقب على حكم السلطنة إلى سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م. سبعة سلاطين من أبنائه وأحفاده، وقد تميزت مدة حكمهم باستمرار الصراع وآثاره السلبية على الحياة العامة في حضرموت، وعلى استقرار السلطنة. وأمام مصاعب التوسع الكثيري في حضرموت الداخل الذي فرضه التوازن القبلي إلى مدى بعيد وجه الكثيريون اهتمامهم إلى ساحل حضرموت.

وعلى العموم فبعد وفاة السلطان علي (المؤسس) خلفه ابنه عبدالله (٨٢٥- ٨٥٠هـ/ ١٤٢٢- ١٤٤٦م) الذي يمثل الجيل الأول والامتداد الطبيعي لحكم والده، غير أنه في السنوات الأخيرة من حكمه دخل أبناؤه محمد وبدر في صراع على بعض الأراضي، ويبدو من هذا الخلاف (الأخوي) أن الصراع على السلطة بدأ يظهر قبل وفاة والدهم السلطان عبدالله(٢١).

وفي سنة ٨٥٠هـ تولى الحكم من بعده ابنه محمد ولكن مدة حكمه لم تدم طويلاً؛ إذ تذكر المصادر أنه مات فجأة، سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)(٢٢). وتولى السلطنة بعده أخوه بدر في ما يشبه الاستيلاء، ويدل على ذلك الخلاف الذي دب بينه وبين أبناء أخيه السلطان محمد.

وخلال مدة حكم السلطان بدر الطويلة (٨٥٥- ٨٩٤هـ/ ١٤٤٦- ١٤٨٨م) انشغلت السلطنة بنزاعات جديدة، وفي أواخر أيام السلطان بدر بدأت تبرز الخلافات الأسرية وبخاصة بين أخيه جعفر وابن أخيه محمد. وكان من أخطر حالات الصراع في تلك المرحلة، خروج الأخوين بدر وعبدالله ابني السلطان السابق محمد بن عبدالله على عمهم السلطان جعفر، وقد بدأ هذا الخروج سنة (٩٠١هـ/ ١٤٩٥م). مستغلين عدم وجود السلطان جعفر في وادي حضرموت، وانشغاله في مدينة الشحر بترتيب أوضاعها بعد أن سيطر عليها(٢٣).

توفي السلطان جعفر سنة (٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م) على أرجح الروايات، واختلف المؤرخون في شأن وفاته فهناك من يرى أنه اغتيل في حصن بلدة بور، في حين يرى البعض الآخر أنه مات فجأة(٢٤).

وعلى أيه حال فقد خلفه ابنه عبدالله الذي قام في بداية حكمه بقتل اثنين من إخوته، بعد صراع طويل عاصره السلطان عبدالله بين أبيه وأبناء أخيه، والذي زعزع كيان السلطنة لهذا لجأ إلى هذا الإجراء الذي يصفه شنبل بقوله: «إنه يقال قتلهم لأمر جرى منهم عليه»(٢٥).

لقد تزامن الصراع الأسري الكثيري مع دخولهم في صراعات مع قوى متعددة في ساحل حضرموت وداخلها، وأحيانًا يتداخل هذا الصراع بحيث يصعب تجزئته(٢٦).

وبعد وفاة السلطان عبدالله بن جعفر الكثيري سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م) تولى السلطنة ابنه محمد، وكان أول أعماله بعد توليه السلطنة مباشرة مهاجمة تريم، والدخول في صراع مع آل يماني استمر لسنوات. ويبدو أن السلاطين سئموا هذا النزاع فقد اتفق كل من السلطان محمد بن عبدالله الكثيري والسلطان من آل يماني محمد أحمد بن سلطان على الصلح لمدة ست سنوات وذلك في سنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)(٢٧).

ومنذ بداية النصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي برز دور الأمير بدر بوطويرق على حساب أخيه السلطان محمد.

السلطان بدر بن عبدالله الكثيري (بوطويرق) (٩٢٧- ٩٧٥هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٧م):

هو بدر بن عبدالله بن علي بن عمر الكثيري، وكنيته المحلية (بوطويرق)، وهو أشهر سلاطين آل كثير على الإطلاق. ولد سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٦م، أي بعد أن احتل جده جعفر الشحر بعام واحد(٢٨).

تولى السلطان بدر (بوطويرق) من سنة (٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م حتى ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م)، وقد شارك في حكم السلطنة إلى جانب أخيه الأكبر محمد منذ وقت مبكر من حياته، وبالنسبة للسلطنة الكثيرية فقد بلغت قمة اتساعها وقوتها في حكمه(٢٩). وفي عهده هاجم البرتغاليون مدينة الشحر سنة (٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م) في سلسلة غاراتهم الانتقامية ضد الحامي والشحر وعدن. كما كانت للسلطان بدر (بوطويرق) علاقات ودية مع الدولة العثمانية التي عبرت عن صداقتها له بأن أرسلت له مجموعة من الجنود الأتراك إلى الشحر لمساعدته تحت قيادة رجب التركي(٣٠).

وتُعد مدة حكم السلطان بدر بوطويرق من أطول المدد التي مكث فيها السلاطين الكثيريون في سدة الحكم، وجاء هذا الامتداد لكونه تولى الحكم وهو شاب. وخلال تلك المدة الحافلة بالأحداث والتحديات انتهت حياة السلطان بوطويرق السياسية في داخل مقر حكمه ومن أقرب الناس إليه.

السلطان عبدالله بن بدر الكثيري (٩٧٦- ٩٨٤هـ/ ١٥٦٨- ١٥٧٦م):

شارك أباه في حكم السلطنة، ولكن في ٢٣ ربيع الأول سنة (٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م) قام بما يشبه الانقلاب على سلطة أبيه (بدر)، وكما تورد المصادر بأنه هجم الأمير عبدالله مع بعض أتباعه على والده وهو في حصن سيئون وألقى القبض عليه وسجنه في حصن مريمة، وهو المكان الذي كان السلطان بدر بوطويرق قد جعله سجنًا للأمراء الكثيريين الخارجين عليه(٣١).

لقد شكل هذا العزل بهذه الطريقة سابقة فريدة في تاريخ السلطنة الكثيرية، وجرأة ليس لها مثيل في التاريخ الحضرمي(٣٢). ولا شك في أن السلطان عبدالله سعى وحرص على تحسين صورته أمام رعاياه، ويبدو أن غالبهم كان يريد التغيير ولكن ليس بالطريقة التي قام بها الأمير عبدالله. وعلى أية حال فإن أول المخاطر التي واجهها السلطان عبدالله جاءت من قبل أخويه الأمير عمر وجعفر اللذين رفضا تنحية والدهما بتلك الطريقة، وفتح ذلك صفحة جديدة من صفحات الصراع الأسري الكثيري بعد حوالي ربع قرن من نهايته. وبالنسبة للأمير عمر الذي لم تتخذ معارضته شكل عمل عسكري محدد، فقد ألقي القبض عليه وسجن في حصن مريمة وظل مسجونًا فيه حتى نودي به سلطانًا على حضرموت(٣٣).

وكان للسلطان عبدالله بن بدر تعظيم حميد للعلم والعلماء والقضاة وكان له حسن الاختيار في توظيفهم، فمنح رتبة

قاضي القضاة للعلامة الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن سراج الدين باجمال (ينظر ترجمته في الحياة العلمية من بحثنا هذا). كما ولى الفقيه العلامة محمد بن عبدالرحيم باجابر التدريس والإشراف على المدرسة البدرية في الشحر(٣٤).

أما الأمير جعفر الذي كان حاكماً لمدينة الشحر وأعمالها نيابة عن أبيه فكان موقعه يساعده على إعلان العصيان، وطلب لنفسه الولاية. ولذلك فقد كان أول عمل يقوم به السلطان عبدالله بن بدر القضاء على تمرد أخيه وإعادة مدينة الشحر إلى حظيرة السلطنة، لهذا قدم على رأس حملة عسكرية متجهة إلى الشحر تمكن من خلالها من محاصرة المدينة وإجبار أخيه على مغادرتها إلى بلدة حيريج.

السلطان جعفر بن عبدالله بن بدر الكثيري
(٩٨٥- ٩٩٠هـ/ ١٥٧٠- ١٥٨٢م):

تولى الملك بعد أبيه ومكث به ست سنوات، ولكنه لم يكن كأبيه من حيث حسن التصرف والحزم، فقد دخل في صراع غير مبرر مع قبيلة نهد واتخذ إجراءات قاسية تجاههم، منها منعه وارداتهم من الدخول في أسواق البلدات القريبة من مناطقهم لا سيما (هينن) و(الهجرين)، وقد لقي السلطان جعفر حتفه جراء هذه السياسة إذ اغتاله أفراد من قبيلة الظلفان النهدية سنة ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م(٣٥).

السلطان عمر بن بدر أبي طويرق
(٩٩٦- ١٠٢١هـ/ ١٥٨٧- ١٦١٢م):

يُطلق عليه السلطان العادل، فهو من أوضح الشخصيات السلطانية الكثيرية بروزًا وأهمها شأنًا. اشتهر بالعدل والفضل. ترجم له الشلي في تاريخه فقال: «هو سلطان حضرموت بالشحر، وكان حسن الشمائل وافر العقل كثير العدل...»(٣٦).

ويُعد من أشهر أبناء السلطان بدر بوطويرق، وقد كان مسجونًا منذ عهد أخيه السلطان عبدالله ثم ابنه جعفر ثم حفيده عبدالله الذي خلع من الحكم(٣٧). ولم تشر المصادر إلى كيفية خروجه من السجن واستلامه للحكم(٣٨).

شهدت علاقات السلطنة الكثيرية في عهده على دعم الدولة العثمانية ممَّا دفعه للانتصار على بعض القوى المحلية المتمثلة في آل العمودي المعارضة لحكمه وعلاقته بالعثمانيين.

وكان من أبرز المواجهات بين الجانبين تلك التي جرت سنة (١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م)، والتي عرفت بمعركة النقعة(٣٩)، والتي انتصر فيها السلطان عمر بن بدر، على خصومه بمشاركة قوة عثمانية.

إن من أبرز نتائج المساعدة العثمانية للسلطان عمر بن بدر ليست فقط في تمكينه من تحقيق انتصارات على أعدائه، بل ساعدت أيضًا في خلق حالة من الهدوء والاستقرار استمرت حتى وفاته(٤٠).

وفي سنة (١٠٢١هـ/ ١٦١٢م) توفي السلطان عمر بن بدر بن عبدالله بن جعفر الكثيري سلطان حضرموت وذلك بالشحر، وقد ورد عند الشلي «وكان رحمه الله حسن الشمائل وافر العقل كثير العدل، ذا سيرة مرضية والتفات إلى الرعية وسلوك حسن مع سائر البرية، حسن السياسة، صادق الفراسة، صاحب أخلاق ألطف من النسيم وأبهج من الدر النظيم، قل إن ورد إليه أحد من الغرباء إلا وصدر يثني عليه الثناء الجميل، أو وفد إلى ساحته بعض الفضلاء إلا وانصرف يشكر ما أسدى إليه من البر الجزيل. وكان شجاعًا مقدامًا»(٤١). وفي عهده اطمأنت النفوس، وكثر الخصب، وزكا الزرع، وزاد الرخاء، ورخصت الأسعار(٤٢).

السلطان عبدالله بن عمر
(١٠٢١- ١٠٤٥هـ/ ١٦١٢- ١٦٣٥م):

تولى السلطنة بعد أبيه سنة ١٠٢١هـ/ ١٦١٢م يورد الشلي في (عقد الجواهر) أنه «أحسن القيام بالملك، وأظهر السطوة والفتك، وقهر البادية وغيرهم، فهابته النفوس، وطأطأت له الأعناق والرؤوس، وأمنت البلاد، واطمأنت العباد»(٤٣).

وفي عهده اشتدت حركة المقاومة اليمنية ضد السيطرة العثمانية على اليمن التي تزعمها الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد. وقد التزم السلطان الكثيري بالخط الذي سار عليه أسلافه وهو الإبقاء على تبعية السلطة الاسمية للدولة العثمانية، ووقف في الموقع غير المؤيد لحركة المقاومة(٤٤). وقد حرص سلاطين آل كثير على المحافظة على ولائهم للدولة العثمانية مدة بقائهم في اليمن ليتمتعوا بالحماية العثمانية(٤٥). وعلى الرغم من عدم وقوف السلطان الكثيري في الموقف المساند للمقاومة فإنه حرص على عدم إظهار أي عداء عملي ضد الإمام؛ ففي سنة (١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) بعث السلطان عبدالله رسالة إلى الإمام المؤيد أبلغه فيها أنه أصبح من المحبين للإمام ودولته، وعرض فيها بأن علاقته مع العثمانيين - بأنها جاءت لتجنب شرهم، وليحافظ على مصالح السلطنة التجارية.

وحقيقة الأمر لم تتخذ هذه العلاقات طابعًا عمليًا؛ فقد ظلت الأمور داخل السلطنة تدار على ما كانت عليه، وكان واضحًا أن ذلك التودد للإمام الذي طرأ على السلطان عبدالله لم يكن بنية صادقة أقنعته بالولاء للقاسميين، بل كان نوعًا من المراوغة السياسية فرضتها الظروف الجديدة لليمن. كما أن مدة السلطان عبدالله في الحكم لم تطل بعد ذلك؛ إذ يقال إنه تنازل عن الحكم لأخيه بدر. وقد غادر السلطان عبدالله حضرموت متوجهًا إلى مكة، وهناك توفي بها سنة (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م)(٤٦).

السلطان بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق:

تولى السلطنة بعد أن تنحى أخوه عبدالله عنها، وقد أدى هذا التنحي المفاجئ وتولي بدر بن عمر الحكم إلى تجدد الصراع الأسري الكثيري، وتزامن هذا مع خروج العثمانيين من اليمن وقيام الدولة القاسمية (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م)، فدخلت العلاقات الكثيرية القاسمية مرحلة جديدة.

كان السلطان بدر بن عمر يميل أكثر إلى الدولة القاسمية، واستمر في العلاقات الودية معها، إذ تبادل الرسائل والهدايا مع أئمتها طول مدة حكمه للسلطنة الكثيرية. ولعل ما دفعه إلى تعزيز الصلات بالدولة القاسمية هو الاستقواء بدعمها ومساندتها، لا سيما أن وصوله إلى الحكم جاء على حساب بناء سلفه. غير أن نتيجة تلك السياسة التي اتبعها السلطان بدر كانت عكسية على الصعيد الداخلي للسلطنة وعلى موقفه الداخلي بالذات، واستغل ابن أخيه الأمير بدر بن عبدالله هذا التقارب لكسب الرأي العام في حضرموت ضده؛ إذ أشيع عنه أنه اعتنق المذهب الإمامي(٤٧).

وعندما تولى إسماعيل بن القاسم الإمامة بعد أخيه المؤيد سنة (١٠٥٤ - ١٠٨٧هـ/ ١٦٤٤ - ١٦٧٦م) بدأ تفكير الدولة القاسمية في التوسع يتخذ طابعًا عمليًا لا سيما في المناطق الجنوبية التي تتوافر فيها الظروف المواتية لجعلها مجالاً رحبًا للتوسع. وبالنسبة لوضع السلطنة الكثيرية فقد عزز السلطان بدر بن عمر علاقته بالإمام الجديد، وتواصل معه بالرسائل؛ معبرًا عن طاعته وانصياعه له. وربما جاء ذلك الموقف لاستجداء مساعدته ضد ابن أخيه، الذي كان يهيئ للانقلاب عليه(٤٨).

وفعلاً في سنة (١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م) وخلال انشغال السلطان بدر بن عمر باحتفال عائلي استغل الأمير بدر بن عبدالله تلك المناسبة فجمع أنصاره من آل كثير وبعض قبائل الشنافر وتمكنوا من دخول الحصن وألقوا القبض على السلطان بدر بن عمر وأجبروه على كتابة التنازل عن السلطة لابن أخيه وأمر عسكره بالطاعة للسلطان الجديد(٤٩).

وبالنسبة لموقف الدولة القاسمية من هذه التطورات فقد حاول الإمام إسماعيل إقناع السلطان الجديد بالطرق السياسية لإطلاق سراح عمه من السجن وإعادته إلى الحكم، ولكن هذه الجهود باءت بالفشل ولم تصل إلى نتيجة حاسمة. وبدأ الإمام فعلاً يستعد منذ سنة

(١٠٦٥هـ/ ١٦٥٤م) للتقدم إلى حضرموت لاحتلالها، فدعا الإمام القبائل للتطوع في مهاجمة السلطنة الكثيرية، ثم مضى الجيش الإمامي لتحقيق أهداف الحملة، وهي كما أسلفنا السيطرة على حضرموت، وإزاحة السلطان بدر بن عبدالله الكثيري عن الحكم لصالح عمه بدر بن عمر.

وفي الخامس من شعبان (١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م) جرت المعركة الفاصلة بين الطرفين، وكان جيش الدولة القاسمية من الكثرة والقوة بحيث حسم المعركة لصالحه رغم استبسال قوات السلطنة(٥٠). أما مدينة الشحر فقد أُرسلت إليها حملة مؤلفة من ٦٠٠ جندي يرافقهم الأمير علي بن بدر بن عمر الكثيري ليكون حاكماً عليها من قبل أبيه السلطان الذي عاد إلى الحكم.

وهكذا دخلت حضرموت والسلطنة الكثيرية مرحلة جديدة من تاريخها وهي السيطرة القاسمية المباشرة.

وكما وصلت الدولة القاسمية قمة اتساعها في عهد الإمام إسماعيل، فقد شهدت السنوات العشر الأخيرة من حكمه بداية ضعف الدولة، وانتشار الفوضى السياسية، وقد عانت من المشاكل الخارجية المتمثلة في استمرار الهجمات العُمانية على السواحل التابعة لها مما أفقدها جزءاً كبيراً من عائداتها. أما السلطنة الكثيرية فقد شهدت في السنوات العشر بعد عودة السلطان بدر بن عمر إلى سدة الحكم نوعًا من الاستقرار والهدوء النسبي لا سيما فيما يتعلق بالعلاقات الكثيرية القاسمية(٥١). ومكث السلطان حوالي سنتين في حضرموت، ثم عزم إلى الحج وتوفي في المدينة المنورة سنة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م(٥٢).

السلطان محمد بن بدر(المردوف) (١٠٧٣- ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٢- ١٦٦٩م):

هو السلطان محمد بن بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق الملقب بالمردوف، خلف أباه عندما توجه إلى الحرمين، فتولى السلطنة بعد وفاة والده بأمر الإمام إسماعيل سنة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م. ويبدو أن السلطان محمداً عمل على تصفية حساباته مع آل كثير المخالفين لسياسته، وكذا من بعض القبائل الذين ساندوا الانقلاب على والده. ومكث بالحكم سبع سنوات، وتوفي في سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م(٥٣).

شكلت وفاة السلطان محمد المردوف (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م) بداية التململ في العلاقات الكثيرية القاسمية، ويبدو أن خلفاء السلطان محمد أدركوا أن الإذعان المطلق لسلطة الدولة القاسمية خلال الحقبة السابقة كان على حساب مصالحهم الاقتصادية، وأن هناك حاجة لتعديل الوضع، وشجع على هذا الموقف انتشار التمردات ضد الحكم القاسمي في مناطق اليمن المختلفة(٥٤).

أما سيادة الدولة القاسمية على مدينة الشحر فقد تأرجحت بين القوة والضعف وكان الضعف غالبًا، ومن مظاهره اضطرار الأمير المعين من قبل الإمام إلى مصالحة مندوبي السلطنة الكثيرية في الشحر عندما تحدث الاختلافات المتعلقة بالإدارة فيها(٥٥)، ومع هذا فقد ظلت الشحر خاضعة للدولة القاسمية طوال مدة حكم الإمام المتوكل إسماعيل(٥٦).

وفي عهد الإمام المؤيد محمد بن إسماعيل (١٠٩٢- ١٠٩٧هـ/ ١٦٨١- ١٦٨٥م) انتشرت الفوضى، وتمرد الأمير حسن الكثيري سنة (١٠٩٢هـ/ ١٦٨٢م)، واستقل بحكم الشحر التي كان يحكمها نيابة عن الدولة القاسمية(٥٧)، وأمام عجز الإمام المؤيد عن إزاحته، أوعز للسلطان علي بن بدر للقضاء عليه فتحرك السلطان على رأس قوة إلى الشحر تدفعه الرغبة في السيطرة عليها، والاستفادة من إمكاناتها الاقتصادية، وتمكن فعلاً من دخول الشحر في السنة نفسها(٥٨).

وأخيراً أدى ضعف الدولة القاسمية في حضرموت إلى بروز دور القبائل اليافعية، التي بدت تدخل تدريجيًا في المعادلة السياسية في حضرموت حتى أصبحت لها اليد

الطولى فيها، وقد تبلور ذلك في عهد السلطان بدر بن محمد (المردوف) (١١٠٧-١١٢٠هـ/ ١٦٩٥-١٧٠٨م) ومنذ هذا العهد بدأ العد التنازلي لانهيار السلطنة الكثيرية(٥٩).

العلاقات الخارجية للسلطنة الكثيرية:

ارتبطت السلطنة الكثيرية بعلاقات خارجية فرضتها الظروف السياسية في تلك الحقبة الزمنية، وقد اتسمت تلك العلاقات بالمد والجزر. ونتناول هنا عرض تلك العلاقات خلال الحقبة الزمنية التي يغطيها البحث، ومن أهمها:

- علاقة السلطنة الكثيرية بالدولة العثمانية:

فيما يتعلق بالعلاقات الكثيرية العثمانية فإنها تعود إلى فترة مبكرة لا سيما منذ سنة (٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م) عندما استعان السلطان بدر بقوة عثمانية مسلحة بالبنادق حققت له انتصارات سريعة على مناوئيه في المناطق الداخلية من حضرموت. وأمام التهديدات البرتغالية للسواحل العربية والإسلامية تطلعت السلطنة الكثيرية كغيرها من الإمارات الإسلامية في الساحل الهندي إلى الدولة العثمانية بعد سقوط الدولة المملوكية في مصر لتضطلع بأعباء المقاومة الإسلامية ضد البرتغاليين في المحيط الهندي(٦٠). وفي سنة (٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م) أعلنت السلطنة الكثيرية تبعيتها للدولة العثمانية. وقد حرص سلاطين آل كثير على المحافظة على ولائهم للدولة العثمانية مدة بقائهم في اليمن، ليتمتعوا بالحماية العثمانية من هجمات البرتغاليين على سواحل السلطنة، وبمعنى آخر فإن بقاء الحكم العثماني يخدم مصلحة السلطنة الكثيرية لا سيما وأن مساوئ الحكم العثماني لم يمتد إلى مناطقها، واكتفى العثمانيون بالضريبة السنوية التي كان يدفعها السلاطين للولاة العثمانيين(٦١).

كما شهدت العلاقات الكثيرية العثمانية تطوراً ملحوظًا بعد حملة سنان باشا لا سيما في عهد السلطان عمر بن بدر الكثيري. فقد قدم العثمانيون الدعم العسكري ضد المناوئين له في حضرموت ومن جانب آخر نجد السلطان عمر يقدم المساعدة للعثمانيين عندما اشتدت حركة المقاومة اليمنية بقيادة الإمام القاسم بن محمد.

وأخيراً فإن العلاقات بين السلطنة الكثيرية والدولة العثمانية شهدت نوعًا من الضعف والانكماش، ثم التدهور وذلك مع اشتداد حركة المقاومة ضد العثمانيين وإرغامهم على الانسحاب ومغادرة اليمن.

علاقة السلطنة الكثيرية بالدولة القاسمية:

بعد خروج العثمانيين من اليمن وقيام الدولة القاسمية (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م) دخلت العلاقات الكثيرية مرحلة جديدة، وتزامن ذلك مع اعتلاء السلطان بدر بن عمر سدة الحكم الذي شهد عهده نوعًا من الاستقرار. ومن المعروف أنه بعد وفاة الإمام المؤيد محمد بن القاسم في عام (١٠٥٣هـ/ ١٦٤٤م) نشب صراع على العرش بين أخوين للإمام هما الأمير أحمد بن القاسم والأمير إسماعيل بن القاسم، انتهى بتنازل الأمير أحمد لأخيه إسماعيل بن القاسم الذي لقب بالمتوكل، والذي حكم اليمن من سنة (١٠٥٤-١٠٨٧هـ/ ١٦٤٤-١٦٧٦م)، وقد امتد نفوذه إلى حضرموت(٦٢).

إن علاقة الدولة القاسمية مع السلطنة الكثيرية قد تأرجحت بين فترات من القوة والضعف وكان الضعف غالبًا، ومن مظاهره اضطرار الأمير المعين من قبل الإمام إلى مصالحة مندوبي السلطنة الكثيرية في الشحر عندما تحدث الاختلافات المتعلقة بالإدارة فيها(٦٣)، ومع هذا فقد ظلت الشحر خاضعة للدولة القاسمية طيلة مدة حكم الإمام المتوكل إسماعيل. وعلى أية حال فقد استفاد الأئمة في اليمن من حالة الامتنان التي شعر بها بعض السلاطين الكثيريين، وأبقوا لهم الولاية العامة على حضرموت، ولكن أشرفوا وبشكل مباشر على الموانئ الحضرمية لا سيما الشحر وظفار وأرسلوا الولاة من قبلهم عليها ليضمنوا وصول عائداتها الضخمة إليهم.

علاقات السلطنة الكثيرية بالهولنديين:

منذ بداية القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي أخذ النفوذ البرتغالي طريقه إلى الضعف والانهيار نتيجة المنافسة القوية التي واجهها على يد الهولنديين والإنجليز والمقاومة العربية، وقد فشلت محاولات البرتغال في صد منافسة هؤلاء التجار الأوربيين الجدد بحيث لم ينتصف ذلك القرن تقريبًا إلا وقد فقدت البرتغال معظم أجزاء إمبراطوريتها الساحلية الواسعة(٦٤).

إن هذه التطورات على الصعيد الدولي ألقت بظلالها على السلطنة الكثيرية، لا سيما أن القوى الأوربية الجديدة التي ظهرت بعد البرتغاليين من هولنديين وإنجليز وفرنسيين اتخذ طابع تحركاتهم الأولية في السواحل العربية الطابع التجاري.

ومع اقتراب القرن السادس عشر الميلادي من نهايته، نجح الهولنديون في عبور رأس الرجاء الصالح، وفي عام ١٦١٤م أرسلت هولندا أسطولاً تجاريًا إلى عدن للحصول على موطئ قدم للتجارة، ونجحوا في إقامة وكالة لهم في (الشحر)(٦٥).

ودخلت إنجلترا حلبة المنافسة التجارية الاستعمارية وتحالفت مع هولندا ضد البرتغال، ولكن عندما حصلت شركة الهند الشرقية الهولندية في سنة ١٦١٨م على إذن من السلطان العثماني في الموانئ اليمنية، صعب ذلك على الإنجليز فاصطدموا مع الهولنديين في معركة بحرية في المياه اليمنية بالبحر الأحمر، إلا أن أساطيل كُلٍّ من الدولتين كانت تشترك في الهجوم على الأساطيل البرتغالية حتى تم لهما القضاء على سيادة البرتغال على البحار الشرقية حينما استولى الهولنديون على كثير من سفن البرتغاليين في عام ١٦٢٢م.

كان الاهتمام الهولندي باليمن واضحًا منذ بدايات القرن السابع عشر، وبالرغم من تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية عام ١٦٠٢م فإنه لم ترسل سفينة هولندية إلى الجزيرة العربية إلا في أغسطس ١٦١٤م. لكن لم يكن مقدرًا للهولنديين أن ينشئوا مع شبه جزيرة العرب نفسها علاقات كتلك التي أنشاها البرتغاليون؛ لأن الهولنديين من أتباع المذهب البروتستانتي خلافًا للبرتغاليين الكاثوليك المتعصبين للمسيحية (الصليبيين). فلم يوفد الهولنديون مبشرين ولم يبنوا قلاعًا بل اكتفوا بارتياد أربعة موانئ، هي: (المخا، وعدن، والشحر، وقشن)، وأحيانًا الحديدة، مقتنعين بإنشاء وكالتين تجاريتين في المخا والشحر تاركين فيها وكلاء تجاريين للشركة ليس إلا. ذلك أنهم وجهوا جل جهودهم نحو بلاد الهند.

أبحر بروكه(٦٦) نحو ميناء الشحر، وهو ميناء حضرموت الرئيس، فاستقبله سلطانها (عبدالله) الخاضع للعثمانيين استقبالاً يليق بحليف السلطان العثماني، معلنًا له أن المنطقة ستكون مفتوحة دائماً أمامه كلما قصدها كتاجر محترم، وذلك في ١٩ سبتمبر ١٦١٥م. استأجر بروكه منزلاً ترك فيه ثلاثة رجال مع القليل من البضائع والنقود، وكان من جملة مهامهم تعلم اللغة العربية، وهكذا شيد فيها وكالة هولندية(٦٧).

والجدير بالذكر أن بروكه سجل وصفًا لميناء الشحر، ذكر فيه بدقة الموقع، وعرضه بالنسبة لخط الاستواء، والمرسى والقلعة الحصينة التي تمثل درعًا بارزًا في مقاومة أي هجوم والتي لا فائدة منها في حالة قصف الميناء بقنابل المدافع. وذكر أن ميناء الشحر هو ميناء حضرموت الرئيس، وأن مكان إقامة السلطان هو مدينة الشحر، أما عن السكان فقد قال إنهم ذوو استقامة ولطف يحبون مصادقة غيرهم، متواضعون ذوو طبيعة هادئة ومؤمنون إيمانًا ثابتًا برسالة النبي محمد. وفي سنة ١٠٢٥هـ/ الموافق ١٦ يوليو ١٦١٦م استقبل السلطان عبدالله بن عمر الكثيري (فن دن بروكه) استقبالاً شخصيًا في قلعة الشحر(٦٨).

المبحث الثاني:

المظاهر الحضارية

التوسع العمراني والحياة العلمية والاقتصادية:

كانت الشحر هي المدينة الأولى في ساحل حضرموت من حيث اتساع رقعتها وكثرة سكانها ومركزها التجاري والسياسي، لكونها أهم الموانئ التي تصدر منها وترد إليها حاصلات البلاد وواردتها، ولأن الحكومات الحضرمية التي تستقل بشئون الساحل تتخذ الشحر عاصمة لها، والحكومة التي تتخذ عاصمتها في الداخل ويمتد سلطانها إلى الشواطئ الجنوبية تجعل من الشحر العاصمة الثانية لحكومتها، فعظم بذلك شأن المدينة، وأقبل التجار والعلماء والأدباء على الإقامة بها والتردد إليها، فلم تستطع لذلك أية مدينة ساحلية أن تنافسها أو تبرز معها في مضمار(٦٩).

ويذكر باحسن بأن «هذه المدينة المباركة قد اشتملت في آخر الزمان على سبع حارات قائمة المباني، عامرة بالأهالي، فأولها حارة القرية وكانت العمارة بها سابقًا، وبها سوق الخان القديم، ثم حارة المجرف، ثم حارة الرملة، وهؤلاء الثلاث أقدم ما كان بها، ثم حارة أبي عوين، ثم حارة أبي غريب، ثم حارة الحوطة، ثم حارة الخور»(٧٠).

ومدينة الشحر مقسمة إلى أحياء أو حارات، يفصل بعضها عن بعض مساحات واسعة(٧١). والشحر احتفظت بأسماء أحيائها القديمة إلى وقتنا الحاضر(٧٢).

تمثل حارة (حي) القرية تاريخيًا النواة الأولى للمدينة؛ حيث يؤكد بامطرف أن قبيلة كهلان (كندة) التي نزحت إليها من شرق الجزيرة العربية في رحلتها التاريخية المعروفة في القرن السادس الميلادي هي التي وضعت خطة هذا الحي والسكن والاستيطان به(٧٣). ويحتل مخطط حارة القرية مكانًا متميزًا على شاطئ البحر الجنوبي للمدينة، وعلى ضفاف مسيال وادي سمعون الشرقي، الذي تصب مياه سيوله في البحر. أما حدودها الشرقية فتتمثل في منخفض يشكل ممرًا لمياه الأمطار إلى ساحل البحر، يقع بينها وبين ما يعرف اليوم بـ(حي المجرف). أما حدودها الشمالية فشارع ممتد من مسيال وادي سمعون الشرقي إلى مقبرة مسجد عمرو، يعرف هذا الشارع باسم (مطراق حنين)(٧٤).

أما بامطرف فيقسم حارات المدينة إلى إحدى عشرة حارة شاملة لأسواقها، وأماكن أربطة الخيل، ومحط القوافل، وتحدث عن مكوناتها السكانية التي استوطنت تلك الحارات «بأن المدينة تتكون من عدة أحياء متفرقة تفصلها عن بعضها ساحات واسعة»(٧٥).

نشطت الحركة العمرانية في مدينة الشحر خلال تلك الحقبة، وهذا ما يؤكده وصف القبطان الهولندي (فن دن بروكه) في ٢٩ ديسمبر ١٦١٤م «إن المدينة كبيرة المساحة، ومعظم هذه البيوت مشيدة من اللبن والطين، وخارجها من الجير، وسقوفها مسطحة على مثال البيوت في عدن. كما تقع هنا قلعة من الطين واللبن لها تحصينات بارزة مستديرة، ويقيم فيها الملك عادة، وبالقرب من الشاطئ يوجد مركز الجمرك. كما يوجد هنالك ٣ مساجد كبيرة وصغيرة»(٧٦). كما يفيد وصفه للحركة التجارية في المدينة إلى تنوع جنسيات سكانها حيث قال: «وينتج القسم الأكبر من دخل المدينة عن التجارة الناشطة التي تمارسها الشعوب الأجنبية الموجودة هنا والآتية من جميع الأقطار، ويحتل البانيانون المكان الرئيس»(٧٧).

ولا شك أن القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي شهد نموًا عمرانيًا، وذلك لما امتاز به من استقرار أمني نعم المواطنون فيه برخاء العيش، واكتظاظ المدينة بالتجار والعلماء وزوايا العلم والمساجد. فقد أقيمت عدد من المساجد في أواخر القرن العاشر ومطلع القرن الحادي عشر، ومنها في الترتيب شرقًا أقيم مسجد عيديد يليه مسجد أحمد بن الشيخ أبوبكر، وغربًا مسجد ابن أحمد،

ثم يليه مسجد عبدالله بن شيخ العيدروس، ثم يليه مسجد بن قضيمتي، ثم مسجد باهارون، وفي الجنوب الغربي منه وعلى الضفة الغربية لوادي سمعون أقيم مسجد ابن إسماعيل يليه باتجاه الجنوب الغربي للمدينة أقيم مسجد بافقيه، وجنوبًا مسجد الحداد(٧٨).

وقد شهدت الشحر خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي نبوغ الكثير من الفقهاء والعلماء، منهم:

القاضي محمد بن عبدالله باعمرو (كان حيًا سنة ١٠١٦هـ):

هو العلامة الفقيه القاضي أبوبكر محمد بن عبدالله بن محمد بن علي باعمرو الشحري الحضرمي، كان قاضيًا في الشحر.

وهذا الفقيه اشتهر بكنيته (أبي بكر) وجعلها بعضهم اسمه، بينما جاء اسمه عند الأستاذ الحبشي في مصادره (ص٥٠٩): أبوبكر محمد، وهو الأرجح، وكان أخوه وابنه فقيهَيْن أيضًا، مما يدل على المشاركة العلمية في هذا البيت.

شيوخه: درس على أخيه أحمد بن محمد باعمرو، ثم سار إلى مكة المكرمة وأدرك الإمام ابن حجر، فشارك أخاه في الأخذ عنه. وأخذ بزبيد عن الشيخ عبدالرحمن بن زياد (ت ٩٧٥هـ) مفتي زبيد واليمن، وعن الشيخ عبدالرحمن البجلي، والشريف القاضي محمد بن حسن باعلوي التريمي (ت ٩٧٣هـ)، والشيخ العارف الحسين بن الفقيه عبدالله بلحاج بافضل (ت ٩٧٩هـ)، والعلامة محمد بن أحمد ابن الطيب الزبيدي(٧٩).

القاضي عبدالرحمن بامطرف (كان حيًا سنة ١٠١٦هـ):

هو الشيخ الفقيه القاضي عبدالرحمن بامطرف، القنزلي الكندي، الشحري الحضرمي، كان متوليًا قضاء الشحر، وعزل عنه في رمضان سنة ١٠٠٥هـ، وعين مكانه الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن سراج باجمال (ت ١٠٣٣هـ)، واستمر على القضاء إلى سنة ١٠١٦هـ. وخلفه في منتصف ذلك العام أخوه الفقيه القاضي محمد (ت ١٠١٩هـ)(٨٠).

الفقيه أحمد بن عبدالرحمن سراج الدين باجمال (ت ١٠١٨هـ):

هو العلامة الفقيه المحقق الشيخ أحمد بن عبدالرحمن بن سراج الدين باجمال الكندي، الغرفي الحضرمي، مولده ببلدة الغرفة، ونشأ في حجر أبيه وحفظ القرآن الكريم. أخذ عنه جماعة، أجلهم الفقيه المؤرخ أحمد بن محمد مؤذن باجمال الشهير بالصبحي أو الأصبحي (ت ١٠٧٠هـ) نسبة إلى بلدة ذي أصبح بحضرموت، وابنه الفقيه العلامة عبدالله بن أحمد سراج الدين باجمال وغيرهما(٨١).

الفقيه محمد بن عبدالرحمن سراج الدين باجمال (ت ١٠١٩هـ):

هو العلامة الفقيه المحقق الشيخ محمد بن عبدالرحمن سراج الدين باجمال، أخو الشيخ أحمد، ونشأ في حجر أبيه العالم الصالح. ارتحل إلى الشحر وأخذ عن شيخ أبيه الشيخ الفقيه علي بايزيد (ت ٩٩٦هـ) ولازمه. وتصدر للتدريس والفتوى، وتولى القضاء في: تريم، والشحر، وشبام، والغرفة، وله رحلات علمية إلى دوعن والمشقاص، وكان زاهدًا كريماً، تخرج به جماعة، وانتهت له رياسة الفقه في جهته، وكانت ولايته قضاء الشحر في منتصف عام ١٠١٦هـ خلفًا لأخيه القاضي عبدالله بن عبدالرحمن بن سراج(٨٢).

الحياة الاقتصادية:

كانت الشحر وميناؤها تعد من أكبر المراكز التجارية، وقد أضفى ميناء الشحر على المدينة أهمية كبرى وجعلها تزدهر اقتصاديًا، حيث ربط سواحل حضرموت وداخلها بالعالم الخارجي. فكانت السفن المحملة بالبضائع من شرق أفريقيا ومصر والهند وغيرها ترسو في هذا الميناء، وفي المقابل كانت المنتجات الحضرمية تجمع في ميناء الشحر التي كانت سوقًا تتم عن طريقها عملية التبادل التجارية في البيع والشراء، وبذلك أصبح الميناء

مجال جذب للتجار، كما أصبح مطمعًا لكثير من القوى السياسية الداخلية والخارجية، وبخاصة البرتغاليين والعثمانيين، ومن بعدهم الهولنديين والإنجليز وغيرهم. نظرًا لأهمية مردوده المالي الناتج من الرسوم والضرائب والمكوس المفروضة على تجارة الصادرات والواردات، والتي استفادت منه السلطنة الكثيرية آنذاك في تصريف أمورها المالية.

ومما يدلنا على الأهمية الاقتصادية لمدينة الشحر وميناءها، أنه كان يطلق على من يحكم ميناءها لقب (قابض الحنجور)؛ لأنه يستطيع بالسيطرة على الشحر أن يخنق التجارة أو أي نشاط خارجي(٨٣).

ويصف لنا قائد البعثة الهولندية (فن دن بروكه) ما دوّنه في تقريره عن مدينة الشحر «يقع المركز التجاري (الشحر) المشهور في العربية السعيدة، على ارتفاع ١٤ درجة و٥٠ دقيقة من العرض الشمالي، و١٧ درجة انحراف متزايد تجاه الشمال الغربي على الجانب البحري في مكان ذي أرض قاحلة، وتقف السفن هناك على الشاطئ قريبًا من البحر. والمسافة إلى المدينة تقارب طلقة مدفع».

كما يفيد وصفه للحركة التجارية في المدينة إلى تنوع جنسيات سكانها حيث قال: «وينتج القسم الأكبر من دخل هذه المدينة عن التجارة الناشطة التي تمارسها الشعوب الأجنبية الموجودة هنا والآتية من جميع الأقطار. ومن جميع هذه الشعوب يحتل البانيانون المكان الرئيس. الذي يصفهم أنهم أشد الناس مكرًا. وفي الأشهر فبراير ومارس وأبريل نجد هنا سفنًا من الساحل الهندي أي من غوا وكمبايا وسورات وديو ودامان و(نخينا) و(برومينس) وجوجة. مشحونة بالأقطان وأقمشة (الدوتيا) الكثيرة والـ(الكنكن) والبفتة بالإضافة إلى العمائم والنيلة، ولكن هذه الأخيرة قليلة؛ لأن معظمها يرسل إلى القاهرة»(٨٤). بينما يرسل أهالي قشن والشحر جلبات عديدة إلى جزر القمر ومدغشقر وإلى ساحل مالندة، وتحمل هذه السفن عند العودة المواد التالية: الأرز، والدخن، والزنوج(٨٥)، والعنبر الأبيض.

ومن الساحل المقابل، والمسمى (زيلع)، يأتي الكثير من الماشية، مثل الثيران، والخراف ذي الذنب، والدجاج، وأنواع أخرى مشابهة من الحيوانات اللذيذة. ومن قرية (دُردُرة) الواقعة مقابل الشحر تمامًا تأتي سنويًا كميات كبيرة من سلال التمر والحصر الأخرى التي تباع وتطلب في كل أنحاء الجزيرة العربية(٨٦).

وفي الشحر تصنع النيلة أيضًا، ومن (حضرموت) تأتي هنا سنويًا كميات كبيرة من الأفيون، ومن الجبال الكثير من العقاقير الغالية الثمن وغير المعروفة، كما يقام السوق الرئيس هنا في الصباح وفي المساء المتأخر وذلك بسبب الحرارة الشديدة في أثناء النهار.

قائمة المكوس والأوزان وأنواع العملة وأسعار السلع السارية في الشحر والسفن التي وصلت إليها، حررها (فن دن بروك) عام ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م

في بداية مارس يصل إلى الشحر تجار كثيرون ذوو شأن مع سفنهم الآتية من حلب، والإسكندرية، وجدة، والسويس، ويحضرون معهم البضائع التي سيتبع ذكرها، بالإضافة إلى كمية كبيرة من النقود التي يقال إنها تزيد على (٣٠٠,٠٠٠) قطعة الثمانية ريالات نقدًا، و(١٦,٠٠٠) بندقي ذهبي أو دوقاتية مجرية، هذا بغض النظر عن النقود التي ليس لكتبة الجمرك علم بأمرها.

ومن ثم: الزعفران، والأقمشة البركانية، والأقمشة المحلية، والأقمشة الهرمزية، والدمسقات، والأقمشة الصوفية الإيطالية، والخيوط الذهبية، والخيوط الحريرية للخياطة، والكثير من منتجات نورنبرغ، مثل السكاكين، والأجراس، والنظارات، والمقاص الصغيرة، والمرايا، والسيوف التركية، بالإضافة إلى متنوعات من البضائع

الصغيرة. ويتم مقايضة كل هذه البضائع والنقود المذكورة مقابل التوابل التي تكون جاهزة في الوقت الذي تنزل فيه السفينة المسماة (المنصوري) من قناة السويس، والتي تصل إلى الشحر دائماً في شهر سبتمبر بالضبط، وذلك لإرجاعها محملة بالتوابل، يملك هذه السفينة سلطان القسطنطينية الكبير، ولا يحق لأية سفينة أخرى القيام بهذه الرحلة.

مكوس مدينة الشحر ورسومها الجمركية

- أولاً يجب أن يدفع من قيمة كل البضائع ٥ بالمائة.
- وتحسب قيمة البضائع دائماً ١١٠ بالمائة مما يؤدي إلى نسبة مئوية كلية مكونة من ٥ ½ بالمائة.
- ثم رسم جركي آخر يسمونه أجرة السمسرة ١ بالمائة.
- ثم للمستأجر للزنة في الميزان عند بيع البضائع ١ بالمائة.
- ثم رسم جركي للملك(٨٧) كهدية ١ بالمائة.
- ثم رسم جركي آخر ١ بالألف.
- ثم للميزان في الجمرك ١ ½ بالألف.
- ثم لكتاب الملك ٢ بالألف.
- ثم للكتاب في مركز المكوس ½ بالمائة.
- ومن ثم للعمال الذين يحملون البضائع من على ظهر السفينة إلى داخل الجمرك، ومن هناك إلى داخل المستودع ½ بالمائة.

وفي الخلاصة يبلغ مجموع قيمة المكوس والرسوم الجمركية والتكاليف في هذا المكان ٩ ½ بالمائة. ولكنه يوجد دواء جيد لتفادي هذا كما نصحني وعلمني به الكثير من الأصدقاء المقربين(٨٨).

الأوزان في الشحر

يختلف وزن الشحر عن بهار الصين(٨٩)؛ لكونه أخف منه بـ٩٠ بونت(٩٠).

- البهار الشحري الواحد يساوي ١٥ فراسلة.
- الفراسلة الواحدة تساوي ٢٠ بونت(٩١).
- البونت الواحد يساوي رطلاً واحداً، أي ١٤ أونسية و٩ (إنغليسيه)(٩٢).

سعر الخزف الصيني في الشحر

- الصحاف الكبيرة رقم ٢(٩٣) مقابل (١ إلى ١ ¼ ريال) للقطعة الواحدة.
- صحاف أصغر منها رقم ٣ مقابل (١ ريال) للقطعة الواحدة.
- صحاف الزبدة مقابل (٢ إلى ٢ ¼ ريال) للكورجة الواحدة.
- فناجين الشاي مقابل (٢ ¼ إلى ٣ ريالات) للكورجة الواحدة.
- أنواع مختلفة من الخزف الصيني، سعرها نسبي، ولكن يفضل الناس الخزف الكبير الحجم.

أسعار البضائع في الشحر

- الفلفل مقابل (٤٧ ¼ ريالاً) للبهار الواحد.
- القرفة من سيلان (١٥ ريالاً) للبهار الواحد.
- القطن مقابل (١٦ إلى ٣٠ ريالاً) للبهار الواحد.
- الحديد مقابل (١٠ إلى ١٢ ريالاً) للبهار الواحد.
- القرنفل الفراسلة الواحدة مقابل (١٣ ريالاً).
- سيقان القرنفل مقابل (١٠ ريالات).
- السكر للفراسلة الواحدة مقابل (١ إلى ٣ ريالات).
- الأقمشة المخملية مقابل (١٥ إلى ١٨ ريالاً) للقطة الواحدة.
- الأقمشة الأطلسية مقابل (١٤ إلى ١٦ ريالاً) للقطة الواحدة.
- الدمسقات مقابل (١٠ إلى ١١ ريالاً) للقطة الواحدة.
- الأكمار الباتانية مقابل (١ ¼ إلى ٢ ريالين).
- الأقمشة الهرمزية المزدوجة مقابل (٤ إلى ٥ ريالات) للقطعة الواحدة.
- الأقمشة الهرمزية المفردة مقابل (٣ ريالات) للقطعة الواحدة.
- كاتي (catij) واحد من الحرير الصيني مقابل (٥ إلى ٦ ريالات) للواحد.

لقد نشطت حركة التجارة والسفن بين موانئ السلطنة الكثيرية وموانئ الدول المجاورة من الخليج والهند وشرق أفريقيا ومصر والشام، كما حرص سلاطين آل كثير على ازدهار التجارة، بل إن بعضًا من السلاطين مارس التجارة، فقاموا بتأمين السبل وحماية الأرواح والأموال،

وبالجملة فقد اتسع نطاق التجارة بين مدن السلطنة، في ساحل حضرموت وداخلها.

وخلاصة القول إن قيام السلطنة الكثيرية ليس بالأمر اليسير، فقد اصطدمت تحركات آل كثير الطموحة بمقاومة القوى القبلية والكيانات السياسية الصغيرة القائمة وقتذاك، وتطلب تغيير الوضع السياسي في حضرموت لصالحهم جهوداً مضنية واستغرق وقتًا طويلاً. كما تتبعنا في هذا البحث المحاولات الأولى لنشأة السلطنة الكثيرية، ثم المراحل والمنعطفات السياسية التي خاضها السلاطين والأمراء الكثيريون في سبيل تثبيت سلطتهم والمخاطر والتحديات التي واجهتها السلطنة، وازدياد الصراع الأسري الكثيري على الحكم وما نتج عنه من تدخل القوى الخارجية، مثل الدولة القاسمية في شمال اليمن، والقبائل اليافعية التي أدت إلى إضعاف السلطنة الكثيرية تدريجيًا ثم انهيارها.

كما تطرقنا في هذه الدراسة لعلاقات السلطنة الكثيرية بالقوى الدولية والإقليمية حينذاك مع كل من البرتغاليين والدولة العثمانية، إضافة إلى الدولة القاسمية في شمال اليمن، وأخيراً مع الهولنديين.

وفي المظاهر الحضارية حاولنا تتبع بعض تلك المظاهر، التي شملت التوسع العمراني لمدينة الشحر في تلك الحقبة، إضافة إلى النواحي العلمية وكذا الجانب الاقتصادي، وما تميزت به السلطنة الكثيرية من استقرار سياسي في تلك الحقبة ألقى بظلاله على ازدهار التجارة وانتعاشها في ميناء الشحر. وخير دليل على ذلك ما وصلنا من معلومات مفيدة من وثائق التجار الهولنديين، التي تعود إلى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وأول من بدأ هذا العمل هو (فن دن بروك) الذي بدأها في ٣٠ مايو ١٦١٣م/ ١٠٢٢هـ، وسجل وصفًا دقيقًا لميناء الشحر ونشاطه التجاري، وقائمة المكوس، والأوزان، وأنواع العملة، وأسعار السلع السارية في الشحر، والسفن التي وصلت إليها.

الخاتمة وأهم النتائج:

إن قيام السلطنة الكثيرية ليس بالأمر اليسير، فقد اصطدمت تحركات آل كثير الطموحة بمقاومة القوى القبلية والكيانات السياسية الصغيرة القائمة وقتذاك، وتطلب تغيير الوضع السياسي في حضرموت لصالحهم جهوداً مضنية واستغرق وقتًا طويلاً.

تكمن الأهمية التاريخية للسلطنة الكثيرية في أنها تمكنت من توحيد أجزاء واسعة من حضرموت تحت سلطة واحدة، كما ربطت مناطق الساحل الحضرمي بداخله.

تأرجحت علاقات السلطنة الكثيرية بالقوى الدولية، وكذا بالقوى الرئيسة في اليمن، واتسمت في كثير من الأحيان بالتبعية الاسمية، ومثلت حضرموت لتلك القوى منطقة غنية، استفادوا من الضرائب التي يجنونها منها. وقد حافظت السلطنة في أثناء تعاملها مع تلك القوى على كيانها السياسي.

كانت الشحر وميناؤها تعد من أكبر المراكز التجارية، وقد أضفى ميناء الشحر على المدينة أهمية كبرى وجعلها تزدهر اقتصاديًا، حيث ربط سواحل حضرموت وداخلها بالعالم الخارجي.

أصبحت مدينة الشحر مطمعًا لكثير من القوى السياسية الداخلية والخارجية وبخاصة البرتغاليين والعثمانيين، ومن بعدهم الهولنديين والإنجليز وغيرهم؛ نظراً لأهمية الميناء وما يجنيه من عائدات الرسوم والضرائب والمكوس المفروضة على تجارة الصادرات والواردات، والتي استفادت منها السلطنة الكثيرية آنذاك في تصريف أمورها المالية.

شهدت مدينة الشحر نمواً عمرانيًا خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وذلك لما امتاز به من استقرار أمني نعم به المواطنون برخاء العيش، واكتظاظ المدينة بالتجار والعلماء وزوايا العلم والمساجد.

الهوامش:

* جامعة حضرموت– كلية الآداب – قسم التاريخ.

١) باوزير، سعيد عوض، صفحـات من التاريخ الحضرمي، ط١، (القـاهرة: المطبعة السلفية، ١٩٥٧م)، ص١٧٣.

٢) المركز الوطني للمعلومات، الجمهورية اليمنية، التقسـيم الإداري لمحافظة حضرموت، مديرية الشحر، ٢٠١٠م.

٣) عكاشة، محمد عبدالكريم، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاسـتعماري في حضرموت، ط٢، (الأردن: دار ابن رشد للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م)، ص٣٢.

٤) الحامد، صالح بن علي، تاريخ حضرموت، ط١، (جدة: مكتبـة الإرشـاد، ١٩٧٦م)، ج١، ٢، ص٥٥٧.

٥) السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله، معجم بلدان حـضرموت، المسـمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق: إبراهيم المقحفي وعبدالرحمن حسـن السقاف، ط١، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص٢٢٧.

٦) بامخرمة، أبي محمد عبدالله الطيب، تاريخ ثغر عدن مع نخب من تواريخ ابـن المجاور والجندي والأهدل، ط٢، (القـاهرة: مكتبـة مدبـولي ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ج٢، ص٦٦.

٧) Serjent R .B the ports of Aden and Shihr (medieval Period) 1981 ,p.45

٨) Serjent R. the ports of Aden and shihr (medieval Period) B1981p,207-224

٩) الجعيدي، عبدالله سعيد، (دكتور): السلطنة الكثيرية الأولى في حـضرموت (٨١٤– ١١٤٣هـ/ ١٤١١– ١٧٣٠م)، ط١، تريم للدارسات والنشـر، تريم، حضرموت، ٢٠١٤م، ص١٩.

١٠) بامطرف، محمد عبدالقادر، الشهداء السبعة، ط٢، دار الهمداني للطبـاعة والنشر، عدن، ١٩٨٣م، ص٢٩. عكاشة، محمد عبدالكريم، المرجع السابق، ص٣٠.

١١) بامطرف، محمد عبدالقادر، المرجع السابق، ص٣٣، ٣٤.

١٢) شنبل، أحمد بن عبدالله بن علوي، تاريخ حضرموت، المسمى تاريخ شنبل، ط٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٤م.

١٣) الحامد، صالح علي، المرجع السابق، ص٥٣٧.

١٤) السلطان جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر الكثيري. كان تاجرًا في ظفار ثم شـجعه الشيخ عمر المحضار على تولي سلطنة بور. وفي سنة ٩١٠هـ/ ١٤٩٥م انتزع الشحر من آل بادجاجة، وقتل في بور سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م، وهو والد عبـدالله بـن جعفر الذي سميت باسمه دولة آل عبدالله الكثيرية. بامطرف، المرجع السابق، الحاشية ٧، ص١٢٣.

١٥) تبالة: قرية تبعد حوالي سبعة أميال إلى الشمال من الشحر.

١٦) باقفيه، الطيب محمد بن عمر، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبدالله محمد الحبشـي، ط١، مكتبـة الإرشـاد، صنعاء، ١٩٩٩م، ص١٥. عكاشة، محمد عبـدالكريم، المرجع السابـق، ص٣٠، ٣١. بـامطرف، محمد عبدالقادر، المرجع نفسه، ص٣٤، ٣٧.

١٧) الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور): المرجع السابق، ص٣٧.

١٨) باوزير، سعيد عوض، المرجع نفسه، ص٩٦. عكاشة، محمد عبـدالكريم، المرجع نفسه، ص٣١.

١٩) بن هاشم، محمد، تاريخ الدولة الكثيرية، قام بالإشراف على طبـاعته محمد علي الجفري، القاهرة، ١٩٤٨م، ص٢٠. الجعيدي، عبدالله سـعيد (دكتور)، المرجع نفسه، ص٣٧.

٢٠) باوزير، سعيد عوض، المرجع السابق، ص٩٦. الجعيدي، عبدالله سـعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص٤٠.

٢١) الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص٤٠– ٤١.

٢٢) شنبل، أحمد بن عبدالله، المرجع السابق، ص١٧٩. الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع نفسه، ص٤١.

٢٣) باقفيه، محمد بن عمر الطيب، المرجع السابق، ص١٩. الجعيدي، عبـدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص٤١– ٤٢.

٢٤) الكندي، سالم بن محمد بن حميد، تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة في تاريخ قديمة وحديثة، تحقيق: عبدالله بن محمد الحبشي، ط١، مكتبـة الإرشـاد، صنعاء، ١٩٩١م، ص١٥٦. بامطرف، المرجع السابق، الحاشية ٧، ص١٢٣. الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص٤٢، ٤٤.

٢٥) شنبل، أحمد عبدالله، المرجع السابق، ص١٧٠.

٢٦) الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص٤٢، ٤٤.

٢٧) باقفيه، محمد بن عمر الطيب، المرجع السابق، ص٨٧. الجعيدي، عبـدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص٦١.

٢٨) بامطرف، محمد عبدالقادر، المختصر في تاريخ حضرموت العام، ص٤٣.

٢٩) الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص٧٢.

٣٠) بامطرف، محمد عبدالقادر، المختصر، ص٨٣.

٣١) صلاح، البكري، المرجع السابق، ص١٢١. الجعيدي، عبـدالله سـعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص١٦٠.

٣٢) البكري، صلاح، المرجع السابق، ج٢، ص٩٣.

٣٣) باحنان، محمد علي، جواهر تاريخ الأحقاف، ج٢، القـاهرة، ١٩٦٢م، ص٢٠٢. الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص١٦١.

٣٤) بن هاشم، محمد، المرجع السابق، ص٨٦.

٣٥) بن هاشم، محمد، المرجع السابق، ص٨٨. باوزير، سـعيد عوض، المرجع السابق، ص١٣٣. البكري، صلاح، المرجع السابق، ج٢، ص١٠١. باحنان، محمد علي، المرجع نفسه، ص٢٠٣. الجعيدي، عبدالله سعيد، المرجع نفسه، ص١٦٣.

٣٦) الشلي، محمد بن أبي بكر بن عبـدالله (ت ١٠٩٣هـ): عقـد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق: إبراهيم المقحفي، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، الجمهورية اليمنية، مكتبة الإرشاد ومكتبة تريم، ص٢٤٢.

٣٧) باقفيه، محمد بن عمر، المرجع السابق، ص٤٤٦. الكندي، سالم بـن حميد، المرجع السابق.

٣٨) الجعيدي، عبدالله سعيد، المرجع نفسه، ص١٦٣.

٣٩) النقعة: قرية تقع بالقرب من غيل باوزير، وإلى الشمال الغربي من مدينة الشحر.

٤٠) الجعيدي، عبدالله سعيد، المرجع نفسه، ص١٦٥.

٤١) الشلي، محمد بن أبي بكر باعلوي، عقد الجواهر والدرر في أخبار القـرن الحادي عشر، ص١٣٣، ١٣٤.

٤٢) صلاح، البكري، المرجع السابق، ج٢، ص١٢٠.

٤٣) الشلي، محمد بن أبي بكر باعلوي، المرجع نفسه، ص٢٦٤.

٤٤) الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص١٦٥.

٤٥) الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص ١٤٦

٤٦) بن هاشم، محمد، المرجع السابق، ص٩٣. الجعيدي، عبدالله سـعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص١٦٦. الشلي، محمد بن أبي بكر باعلوي، المرجع نفسه، ص٢٤٢.

٤٧) بن هاشم، محمد، المرجع السابق، ص٦٩. باوزير، سعيد عوض، المرجع السابق، ص١٦١. الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص١٦٦، ١٦٧.

٤٨) الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص١٦٨.

٤٩) الشلي، محمد أبوبكر، المرجع السابق، ص٢٦٤. الكندي، سالم بن حميد، المرجع السابق، ص٢٣٩.

٥٠) الشلي، محمد أبوبكر، المرجع السابق، ص٣٤٨. الوزير، عبدالله بـن علي، تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع شر الميلادي، تحقيق: محمد عبدالرحـيم جازم، ط١، (صنعاء: مركز الدراسـات، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص١٦٣. الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص١٧٦.

٥١) الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص١٧٩.

٥٢) بن هاشم، محمد، المرجع السابق، ص١٠٠.

٥٣) بن هاشم، محمد، المرجع السابق، ص١١٢.

٥٤) الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص١٨٠.

٥٥) الوزير، عبدالله بن علي، المرجع السابق، ص٢٢٨.

٥٦) الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص١٨١.

٥٧) باحنان، محمد علي، المرجع السابق، ص٢١٠.

٥٨) بن هاشم، محمد، المرجع السابق، ص٨٨.
٥٩) الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص١٨٢. بن هاشم، محمد، المرجع نفسه، ص٨٨.
٦٠) بن هاشم، محمد، المرجع السابق، ص٤٣.
٦١) الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص١٤٦.
٦٢) عكاشة، محمد عبدالكريم، المرجع السابق، ص٣٤.
٦٣) الوزير، عبدالله بن علي، المرجع السابق، ص٢٢٨.
٦٤) الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور)، المرجع السابق، ص١٤٨.
٦٥) الحبيشي، حسين علي، اليمن والبحر الأحمر، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢٠.
٦٦) فن دن بروكه: رحالة هولندي مندوب عن شركة الهند الشرقية الهولندية قام برحلة إلى اليمن سنة (١٦١٤م) بتكليف من الحاكم الهولندي لمقاطعة الأورانج الهولندية بجنوب إفريقيا بمهمة استطلاع الإمكانات التجارية لليمن. زار عدة موانئ منها: عدن – الشحر – قشن، والمخا. وسجل وصفًا دقيقًا لميناء الشحر ونشاطه التجاري.
٦٧) براور، ك. خ وكبلانيان، المرجع السابق، ص٢٢.
٦٨) براور، ك. خ وكبلانيان، المرجع نفسه، ص٥٥.
٦٩) باوزير، سعيد عوض، المرجع السابق، ص١٧٣.
٧٠) باحسن، المصدر السابق، ورقة: ٥.
٧١) براور، ك. خ وكبلانيان، المرجع السابق، ص٥٤.
٧٢) Serjeant, R.B. The ports of Aden and Shihr (medieval Period) "p130
٧٣) بامطرف، محمد عبدالقادر، المرجع السابق، ص٢٥– ٢٦.
٧٤) الملاحي، عبدالرحمن عبدالكريم، المرجع السابق، ص٢.
٧٥) بامطرف، المرجع نفسه، ص٣٩– ٤٢.
٧٦) براور، ك. خ وكبلانيان، المرجع السابق، ص٥٤، ٥٥.
٧٧) براور، ك. خ وكبلانيان، المرجع نفسه، ص٥٨.
٧٨) الملاحي، عبدالرحمن عبدالكريم، المرجع نفسه، ص٨.
٧٩) باذيب، محمد أبوبكر، جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، ط١، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٥٨٦.
٨٠) باذيب، محمد أبوبكر، المرجع السابق، ص٥٨٨.
٨١) الشلي، محمد، عقد الجواهر والدرر، ص١١٩. باذيب، محمد أبوبكر، المرجع نفسه، ص٥٨٩.
٨٢) الشلي، محمد، نفسه، ص١٢٣. باذيب، محمد أبوبكر، نفسه، ص٥٩١.
٨٣) سارجنت، آر. بي، مصادر التاريخ الحضرمي، ترجمة: سعيد عبدالخير النوبان، الكويت، جامعة الكويت، ١٩٩٠م، ص١٣١.
٨٤) براور، ك. خ وكبلانيان، المرجع السابق، ص٥٨.
٨٥) يعد (فن دن بروكه) وكذلك سائر مستخدمي شركة الهند الشرقية، الزنوج بضائع، ولذلك فهو يذكرهم مع المنتجات المختلفة الأخرى.
٨٦) براور، ك. خ وكبلانيان، نفسه، ص٥٤، ٥٥.
٨٧) أي سلطان الشحر الكثيري.
٨٨) للأسف لا يزيد الحجر هنا شيئًا على هذه الملاحظة اللافتة للنظر، ولكن أورد (فن دن بروك) في صفحة ٩٢ "أنه من الممكن تفادي هذا كما حذرني منه بعض الأتراك المهمين، اللذين هم أصدقائي المقربون، وذلك بدفع رشوة بسيطة". (قارن ص٩٢) (وهـ ٣).
٨٩) بهار الصين: هو وحدة وزن تساوي ٣ (بيكول) picol وكانت تعادل في الوثائق الهولندية أثناء المدة المعينة ٣٧٥ (بونت) pond هولندي، أي ١٨٥٢٨٤ غرام.
٩٠) من المحتمل أن يقصد هنا الـ(بونت) الهولندي. ولكن مقارنة الموازين هذه ليست دقيقة تمامًا، إذ وزن بهار الشحر، يبلغ ٢٧١ بونت هولندي، أي أنه أخف من البهار الصيني بـ ١٠٤ بونت.
٩١) المقصود هنا الـ(البونت) المحلي أي الشحري.
٩٢) الانغلس: وحدة وزن هولندية تعادل ١،٥٤غم.
٩٣) يشير الرقم هنا إلى سعة الصحاف وكبرها، ويميز بين الصحاف (الكاملة) و(النصفية) و(الثلثية) و(الربعية).

المصادر والمراجع العربية والأجنبية:

– باحسن، عبدالله بن محمد: النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم، مجموعة الكاف رقم (٢٢٠١).
– باحنان، محمد علي، جواهر تاريخ الأحقاف، ج٢، القاهرة: مطبعة الفجالة الجديدة، ١٩٦٢م.
– باذيب، محمد أبوبكر، جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، ط١، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
– بافقيه، الطيب محمد بن عمر، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٩م.
– بامخرمة، أبي محمد عبدالله الطيب، تاريخ ثغر عدن مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندي والأهدل، ط٢، مكتبة مدبولي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
– بامطرف، محمد عبدالقادر، الشهداء السبعة ضد الغزو البرتغالي على مدينة الشحر، ط٢، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م.
– بامطرف، محمد عبدالقادر، المختصر في تاريخ حضرموت العام.
– باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، ط١، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٥٧م.
– براور، ك. خ وكبلانيان: اليمن في أوائل القرن السابع عشر الميلادي، مقتطفات من الوثائق الهولندية المتعلقة بالتاريخ الاقتصادي لجنوب الجزيرة العربية ١٦١٤– ١٦٣٠م، ط٣، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء.
– بن هاشم، محمد، تاريخ الدولة الكثيرية، قام بالإشراف على طباعته محمد علي الجفري، القاهرة، ١٩٤٨م.
– الجعيدي، عبدالله سعيد (دكتور): السلطنة الكثيرية الأولى في حضرموت ٨١٤– ١١٤٣هـ/ ١٤١١– ١٧٣٠م، ط١، تريم للدراسات والنشر، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
– الحامد، صالح بن علي، تاريخ حضرموت، ط١، جدة: مكتبة الإرشاد، ١٩٧٦م.
– الحبيشي، حسين علي، اليمن والبحر الأحمر، بيروت، ١٩٩٢م.
– سارجنت، آر. بي، مصادر التاريخ الحضرمي، ترجمة سعيد عبدالخير النوبان، الكويت، جامعة الكويت، ١٩٩٠م.
– السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله، معجم بلدان حضرموت، المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق: إبراهيم المقحفي وعبدالرحمن حسن السقاف، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
– الشاطري، محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، ط٢، عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٣م.
– الشلي، محمد بن أبي بكر بن عبدالله (ت ١٠٩٣هـ): عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق: إبراهيم المقحفي، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، الجمهورية اليمنية، مكتبة الإرشاد ومكتبة تريم.
– شنبل، أحمد بن عبدالله، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق: عبدالله الحبشي، ط١، ١٩٩٤م.
– صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، ط١، مطبعة البابي، القاهرة، ١٩٣٦م.
– عكاشة، محمد عبدالكريم، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت، ط٢، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٨٥م.
– الكندي، سالم محمد بن حميد، تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة في تواريخ قديمة وحديثة، تحقيق: عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩١م.
– المركز الوطني للمعلومات، التقسيم الإداري لمحافظة حضرموت، مديرية الشحر، ٢٠١٠م.
– الملاحي، عبدالرحمن عبدالكريم: ملامح التوسع العماني لمدينة الشحر، أوراق مخطوطة، مكتبة المؤلف، الشحر، ٢٠٠٦م.
– الوزير، عبدالله بن علي، تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، تحقيق: محمد عبدالرحيم جازم، ط١، (صنعاء: مركز الدراسات، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

المراجع الأجنبية:

- Serjeant, R.B. the ports of Aden and shihr (medieval Period), studies in Arabia History and Civilization. London, 1981.

54
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

علماء حضرموت ودورهم الحضاري خلال القرن الحادي عشر الهجري

علماء تريم أنموذجًا





علي سالم علي باهادي

المقدمة:

شـهدت حـضرموت خلال القـرن العاشر الهجري استقـراراً نسبيًا في أوضاعها، بـعد التحـركات والجهود التي قـام بها السـلطان بـدر أبـو طويرق ومحاولته توحـيد الجغرافيا الحضرمية في دولة مركزية واحدة.

لكن ذلك الاستقرار لم يدم طويلاً إذ شهدت حضرموت خلال القـرن الحادي عشر الهجري العديد من الحوادث التي أربـكت المشـهد العام في حـضرموت، كان أبـرزها تصاعد وتيرة النزاع الداخلي في الأسرة الكثيرية، ووصول قوات الدولة القاسـمية إلى حـضرموت وفرض سـلطتها عليها، وقـد أدت تلك الحوادث إلى تحلل السـلطة الحضرمية الهشة أمام القوى الأجنبـية، كما أحـدثت تغيراً ديمغرافيًا في المنطقة.

البحـث يحاول تتبـع حـركة العلماء الحضارم داخل المجتمع خلال تلك المرحلة الصعبة في تاريخ حضرموت، ورصد أدوارهم الحضارية وإسـهاماتهم التي حـاولوا بها إصلاح ذلك المجتمع وحـل مشـاكله استشـعاراً منهم بـخطورة المهمة الملقـاة عليهم، ودينهم الذي يحتم عليهم بذل النصح والإرشاد.

وقد قسمت الدراسة إلى تمهيد تناول تحليل المصادر التي اعتمد عليه البحـث، ثم مبحـثين، وخاتمة احـتوت على مجمل ما خلص إليه الباحث حول الموضوع.

التمهيد

تحليل مصادر الدراسة:

استوت هذه الدراسة بعد أن اعتمدت على مجموعة من المصادر، وكانت كتب التراجم، وكتب الرقائق والتصوف عمودها الفقري التي استندت إليه، من أهمها:

١- مؤلفات المؤرخ محمد بن أبي بكر الشلي، المتوفى سنة ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م التاريخية والتراجمية، وهي:

أ- المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل بني علوي، وهو في التاريخ المحلي لحضرموت، ويقع في جزئين، تضمنت ذكر حضرموت ومدنها وبالأخص تريم وتراجم أكثر من ٢٥٠ شيخًا من علماء بني علوي بن عبيدالله المهاجر، ويقدم هذا الكتاب مادة تراجمية جيدة لعلماء هذه الأسرة، رغم ما شاب بعض تلك المعلومات من أخطاء يعذر فيها مؤلفه لبعده عن تريم، فقد وضع كتابه في مكة.

ب- عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، ويرصد أبرز أحداث ذلك القرن من وفيات الأعلام والأمراء، والحوادث الاجتماعية، والكوارث الطبيعية، وقد اختصت حضرموت بنصيب جيد منها.

٢- شرح العينية للعلامة أحمد بن زين الحبشي، وهو شرح لقصيدة شيخه الإمام عبدالله بن علوي الحداد المسماة بالعينية التي أورد فيها عددًا كبيرًا من الأعلام.

٣- بهجة الزمان وسلوة الأحزان في ذكر طائفة من الأعيان، للسيد محمد بن زين بن علوي بن سميط، وهو في الأصل الجزء الثالث من كتابه التراجمي (غاية القصد والمراد في ترجمة الإمام الحداد)، وقد جعل الجزء الثالث منه ترجمة لأصحاب الإمام الحداد وأقرانه، وقد اعتمدنا على الأعيان الذين عاشوا في القرن الحادي عشر الهجري.

٤- صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل، وهو سيرة ذاتية لأسرة آل أبي فضل الأسرة العلمية العريقة بتريم.

قدمت مصادر الدراسة مادة تراجمية جيدة عن أعلام حضرموت، وحظي القرن الحادي عشر بنصيب وافر منها، لكن مما يؤخذ على المؤلفين الإطراء والثناء المبالغ فيه على المترجمين، والانصراف إلى عبارات السجع المتكلف فيه، والاهتمام بذكر كرامتهم وخوارق عاداتهم دون الالتفات -في بعض الأحيان- إلى نتاجهم العلمي ومساهمتهم الحضارية في الحقب التي عاشوا فيها، وكان ذلك النوع من الكتابة التاريخية قد ساد تلك الأزمان وأصبح المؤرخ رهين ذلك النوع من الأسلوب حتى ظهر الجيل الجديد من المؤرخين الحضارم في القرون الهجرية الأخيرة، ومع ذلك فتلك المصادر تصور لنا الحياة العلمية في حضرموت خلال تراجم أولئك العلماء، وتقدم مادة تاريخية جيدة للباحث الذي يسبر أغوارها، وقد حظي القرن الحادي عشر بتراجم عدد من العلماء التريميين الذين اختص البحث بدراستهم.

منهج الدراسة:

اتبعت هذه الدراسة منهج البحث التاريخي من خلال تتبع أولئك الأعلام في بطون كتب الطبقات والتراجم وغيرها من كتب التاريخ، وما أنتجوه من تراث معرفي إنساني. ثم منهج التحليل والوصف والمقارنة، وقد أدرجت في الدراسة علماء كانت وفياتهم في العقود الأولى من القرن الثاني عشر، وذلك لأن الكثير من جهودهم كانت في القرن الحادي عشر الهجري، وحاولنا بقدر ما سمحت لنا به المصادر أن نضع أمام كل عالم يذكر سنة وفاته وإلا فهو من علماء ذلك القرن.

المبحث الأول:

تريم التسمية والجغرافيا وأوضاعها خلال القرن الحادي عشر الهجري

١- تسمية تريم وجغرافيتها:

لمدينة تريم إرث حضاري وتاريخ كبير وشهرة تعدت محيطها الجغرافي، ومع ذلك فقد اختلف المؤرخون حول تسمية تريم بهذا الاسم، فيذكر ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) بأن تريم إحدى مدينتي حضرموت؛ لأن حضرموت اسم للناحية بجملتها ومدينتاها شبام وتريم، وهما قبيلتان سميت المدينتان باسميهما(١)، بينما يذكر مرتضى الزبيدي في كتابه (تاج العروس) بأن تريم سميت باسم بانيها تريم بن حضرموت(٢)، وأقدم ذكر لمدينة تريم في النقوش المسندية التي تعد المصدر الأول والأهم في تاريخ اليمن القديم هو ما جاء في النقش الموسوم بـ(إرياني ٣١- ٣٢)، والنقشان يعودان إلى نهاية القرن الثالث بداية القرن الرابع الميلادي في حقبة ضم حضرموت إلى إطار الدولة المركزية الحميرية(٣)، ومن المرجح أن تكون تريم تعود نشأتها قبل ذلك التاريخ بأزمان بعيدة.

وتعد تريم من كبريات مدن حضرموت، وتقع في الشمال الشرقي من مدينة شبام، على بعد مسافة (٤٢ كم)، وتبعد عن سيئون -عاصمة وادي حضرموت اليوم- مسافة (٣٢ كم) في الشمال الشرقي منها.

وتريم من أنشط مدن حضرموت من الناحية العلمية؛ حيث حظيت بشهرة علمية لا تضاهيها أية مدينة أخرى، فضلاً عن شهرتها الدينية خلال تاريخها الإسلامي، جعلت أهلها وساكنيها لا يفضلون غيرها بعد مكة والمدينة وبيت المقدس، واشتهرت بكثرة مساجدها مقارنة بسكانها ومساحتها، وما ذلك إلا ناتج عن شهرتها العلمية وكبرها واتساعها، وهي عامرة بالعلم والعلماء، ومراكز التعليم والمكتبات(٤).

٢. الوضع السياسي في القرن الحادي عشر:

شهدت حضرموت في مطلع القرن التاسع الهجري قيام السلطنة الكثيرية الأولى (٨١٣هـ)، واستطاعت تلك السلطنة بعد اتساعها من إزاحة الكثير من الدويلات والقوى المحلية في حضرموت عن المشهد السياسي.

وكانت تريم في مطلع القرن العاشر الهجري تحت سيطرة آل يماني، الذين جعلوا المدينة حاضرة لدولتهم، وتعد السيطرة على تريم معضلة سياسية واجهت آل كثير منذ أن نشأت دولتهم، وقد تطلع للسيطرة عليها أكثر سلاطينهم لما لتريم من مكانة مهمة وبُعد روحي عميق لدى الحضارم، ولهذا فبعد اعتلاء السلطان بدر بن عبدالله المكنى أبو طويرق سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م السلطنة تطلع للسيطرة عليها مستفيداً من تغير موازين القوى لصالحه في شبام، فتقدم نحوها وحاصرها عشرين يومًا اضطر بعدها سلاطين آل يماني تسليمها ومغادرتها، وبذلك تنتهي سلطتهم عليها، وتبدأ تريم مرحلة جديدة في تاريخها تحت لواء الدولة الكثيرية، وقد حرص سلاطينها على إبقاء تريم مدينة بعيدة عن الصراع السياسي، وكان لعلماء تريم مكانة مهمة لدى سلاطين آل كثير؛ فقد حرص أبو طويرق على الجلوس مع الإمام علوي باجحدب نقيب العلويين في زمانه والاستماع لنصائحه، وحذا حذوه من أتى من بعده من السلاطين.

وقد تعاقب على السلطنة بعد إقالة أبي طويرق ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م ابنه عبدالله إلى وفاته سنة ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م، ليخلفه ابنه جعفر إلى سنة ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م، ومن ثم

عمر بن السلطان بدر أبو طويرق إلى سنة ١٠٢١هـ/ ١٦١٢م، الذي كثر اتصاله بعلماء عصره كالشيخ أبي بكر بن سالم العلوي، ثم تولى بعده ابنه عبدالله بن عمر بن بدر، وقد اعتزل الحكم بعد لقائه بالحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي في عينات وتصوف على يديه، بعدها قصد مكة وأقام بها إلى أن توفي، وتولى بعده أخوه بدر بن عمر بن بدر، الذي تولى السلطنة بإشارة السيد الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي سنة ١٠٢٤هـ، وكان السلطان بدر قد أقام للشرع الشريف بحضرموت محاكم عدَّة، وبنى مساجد عدَّة، منها مسجد السلطان الواقع شمالي حصن الرناد بتريم، وأوقف أوقافًا كافية له(٥).

وكانت السلطنة الكثيرية خلال كل تلك الحقب لا تسلم من النزاعات الأسرية داخل البيت الكثيري حتى أصبحت سمة سائدة مع كل من تولى السلطنة أن يقف في وجهه إخوته أو أبناء عمومته متنازعين على سيادة حضرموت مستعينين بأي قوة لتحقيق مصلحتهم، وقد أدى ذلك في نهاية الأمر إلى إضعاف سلطة آل كثير، وتقلص نفوذهم في حضرموت، وتزايد الأطماع الخارجية عليها.

في العام ١٠٥٨هـ وثب بدر بن عبدالله بن عمر على عمه بدر بن عمر وابنه محمد وتم إرسالهما إلى حصن مريمة مكبلين، بعد أن تم اتهامهم بموالاة أئمة اليمن ومكاتبتهم، بل أشيع عنه اعتناقه المذهب الشيعي، وتعد تلك الحادثة بداية دخول الأئمة الزيديين إلى حضرموت؛ إذ ابتدأت بمراسلات الإمام مع السلطان بدر بن عبدالله لإطلاق سراح عمه وابنه اللذين تم سجنهما بسبب صلاتهما به.

وبعد أن تم إطلاق سراحهما استمرت الأوضاع تسير نحو الأسوأ حتى أعلن الإمام الزيدي النفير إلى حضرموت من غير تأخير، وجمعت الجيوش وقام الخطباء والدعاة في صنعاء ودعوا إلى الجهاد وكان ذلك سنة ١٠٦٩هـ، وسار الإمام نحو حضرموت ومعه السلطان بدر بن عمر، وكان وصولهم حضرموت آخر شهر رجب ١٠٧٠هـ، وحاولت بعض القبائل الوقوف ضد تلك الجموع المتدفقة لكنها انهزمت وانهزم جيش السلطان بدر بن عبدالله وفر بنفسه هاربًا، وسلمت الحصون والمصانع بحضرموت لقائد جيش الإمام.

امتد النفوذ الزيدي خلال تلك المدة إلى حضرموت، التي أصبحت تحت لواء دولته، وقد حاول الزيديون فرض بعض تفاصيل مذهبهم على أهل حضرموت الشوافع، حيث منعت الزيدية راتب الإمام الحداد، ونودي بأن يزاد في الأذان (حي على خير العمل)، ولم يقدر أحد على المخالفة إلا عبدالله بن عمر بارضوان بافضل المؤذن في مسجد باعلوي في تريم فقد رفض تلك الإضافة، واستمر على الأذان المعتاد من أول خلافة الزيدي إلى آخرها، وكان كلما هددوه بأنهم سيفعلون ويفعلون به سكت ولم يجب على أحد وسلمه الله من معاقبتهم.

وكان لعلماء حضرموت وتريم دور بارز في محاولة إيقاف ذلك الصراع بحضرموت؛ فقد نصح الإمام عمر بن عبدالرحمن العطاس السلطان الكثيري بعدم الوقوف في وجه الجيش الزيدي ومحاولة حل المسألة سلميًا لما علم من تخاذل قومه عنه، وبعد أن وقعت مصانع حضرموت في قبضة الزيديين وفر السلطان هاربًا، كتب الإمام العطاس كتابًا إلى الإمام أوفده مع ولديه حسين وسالم فقابلهما بكل تبجيل. وقال لهما أرى عليكما سيماء الخلافة ومخائل النجابة، وقرأ في كتاب العطاس قوله: انظر إلى أهل حضرموت بعين الرحمة ينظر الله بها إليك، قال لما نظرت هذا طرح الله الرحمة العامة في قلبي لأهل حضرموت(٦).

أما الإمام الحداد فقد سعى بوصفه مصلحًا اجتماعيًا وعالمًا وفقيهًا إلى محاولة إيقاف تلك الفوضى بالكلمة الصادقة، والنصيحة المخلصة، والموقف الثابت، ففي مكاتباته للسلطان بدر بن عبدالله ركز على الزكاة وضرورة التقيد بطريقة جمعها وتوزيعها وفقًا للمذهب الشافعي، وعلى ما هو معتاد في حضرموت من قيام الأفراد بتوزيعها بأنفسهم دون تسليمها للحاكم، وكانت الدولة القاسمية قد فرضت مبلغًا سنويًا من الزكاة والضرائب على حضرموت، وكان الإمام الحداد يدرك حجم تلك الصعوبات التي تواجه السلطان الكثيري من قبل الأئمة الزيديين، فأمره بمداراتهم عند خوف الشر بما لا يضر الدين كذكر إمامهم في الخطبة، وإضافة ما طلبوه في الأذان، وحمل شيء من المال إليهم دون الزكاة(٧). وبذلك حاول الإمام الحداد مشاركة السلطة بالنصيحة والرأي والكلمة الصادقة.

وبدخول جيش الإمام إلى حضرموت انتهت السلطنة الكثيرية، وأصبح السلطان عديم القوة، واستبدت يافع بالإدارة، واستولت على أملاك الدولة وقسمتها بين عشائرها، وبدأ النفوذ الكثيري في الانحسار(٨).

٣. ملامح الأوضاع العلمية في تريم:

حافظت تريم خلال العصور الوسطى والحديثة على مركزها بوصفها عاصمة حضرموت الدينية، وقد اشتهرت تريم بكثرة مساجدها وكانت المساجد والزوايا والبيوت هي مكان التعليم الأساسي؛ حيث يلتقي طالب العلم مباشرة بشيخه، ويتطور الطالب أو (المريد) في تلقي العلوم الدينية ابتداء من القراءة وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، إلى التفسير، والحديث، والأصول، والفقه، والتصوف، والمنطق، والفرائض، والفلك، والنحو، وتعطى الإجازة في هذه العلوم من الشيخ للمريد مباشرة أو عن طريق المراسلة، وتوضح تراجم أعلام ذلك القرن -الحادي عشر الهجري- الكتب التي كانت تدرس في مختلف الفنون والعلوم وطبيعة الحياة العلمية بشكل عام.

وكانت تريم مقصدًا للعلماء وطلاب العلم من حضرموت وخارجها، وكانت مجالسها العلمية تعقد في أوقات مختلفة، يتم فيها مناقشة المسائل والإشكالات العلمية، وتصل إلى علمائها الرسائل من مناطق شتى تستفتيهم أو تطلب منهم النصح والمشورة، وكانت تريم لا تضاهيها في حضرموت أي مدينة من حيث الأهمية الدينية والعلمية، ولهذا مثلت تريم المرجعية لمن أشكلت عليه مسألة أو أراد الرأي والنصيحة(٩).

المبحث الثاني:

الدور الحضاري لعلماء تريم في القرن الحادي عشر الهجري

أولًا: دور العلماء في تولي المناصب ومناصحة الحاكم:

١- تولي منصب القضاء والإفتاء والنقابة:

تميز علماء حضرموت بكرههم للشهرة والابتعاد عنها، وإيثارهم للتواضع، وقد سار علماء تريم على هذا الخلق الديني، وعرف عن بعضهم التواضع والعزلة(١٠)، ورغم ذلك اقتضى الواقع أن يتولى بعض منهم المناصب كالقضاء، وكانوا لا يقبلونه إلا بعد شدة مطالبتهم بذلك، وقلما نجد من يعرض نفسه لتلك المناصب، وقد تولى مجموعة من العلماء منصب القضاء في تريم خلال ذلك القرن، كان أبرزهم:

- القاضي عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن (توفي بتريم ١٠١٤هـ)، حيث تولى الإفتاء والقضاء(١١).

وتولى المؤرخ محمد باجمال (توفي في الغرفة ١٠١٩هـ) قضاء تريم(١٢).

وممن عين في قضاء تريم أحمد المشهور بن عبدالرحمن بلفقيه (توفي بتريم ١٠٤٨ هـ)(١٣).

حسين بن محمد بن علي بن أحمد مولى عيديد، الذي اشتهر بالإصلاح بين الناس، فسعى السيد زين العابدين العيدروس لترشيحه لتولي منصب قضاء تريم(١٤).

وكانت لشهرة تريم العلمية ومكانة علمائها لدى الحضارم وغيرهم دور في أن يتولى بعض علماء تريم منصب القضاء خارج مدينتهم، مثل القاضي علوي بن عبدالله بن محمد جمل الليل الذي تولى قضاء الشحر، وبها توفي سنة ١١١٧هـ(١٥).

- المناصب الدينية، مثل الإفتاء، فقد أوردت المصادر مجموعة ممن تولى الإفتاء في تريم خلال تلك الحقبة، مثل: العلامة محمد الهادي بن عبدالرحمن بن أحمد شهاب الدين (١٠٤٠ هـ)، وابنه أحمد بن محمد (١٠٤٥ هـ)، والعلامة أحمد المشهور بن عبدالرحمن بلفقيه (١٠٤٨ هـ).

- وكذلك المناصب الاجتماعية، مثل النقابة(١٦)، فقد تولاها السيد عبدالله بن شيخ بن عبدالله العيدروس (١٠١٩ هـ)، والسيد زين العابدين عبدالله بن شيخ العيدروس (١٠٤١ هـ)(١٧).

وظيفة المنصب، وهي وظيفة دينية اجتماعية، يقوم بها كبير أفراد القبيلة في حضرموت، فقد تولى منصبة آل عيدروس في عدن أحمد بن عمر العيدروس، الذي رحل من حضرموت واستقر بعدن(١٨).

٢- مناصحة الحاكم وتقديم المشورة:

نظرًا لعدم وجود تطلعات لعلماء تريم في السلطة، فقد اتجه لهم سلاطين الدولة الكثيرية، وطلبوا مجالستهم وآراءهم السياسية والاقتصادية، فقد ذكرت المصادر الحضرمية حرص السلطان بدر أبي طويرق عند دخوله تريم على مقابلة الإمام أحمد باجحدب العلوي الذي كان يتهرب من ملاقاته، وعندما وصل السلطان إلى بيت باجحدب وأصبح لا عذر له من ملاقاة السلطان، الذي قدم له الهدايا والأموال، إلا أن الشيخ باجحدب لم يقبل شيئًا من تلك الهدايا والأموال لشدة ورعه، وقال له موصيًا وناصحًا: الله الله في العدل، فقد كان والدك طيبًا مع الناس، وأنت الله الله فيهم، ولما رجع السلطان بدر قال لجماعته: الحمد لله الذي جعل في ولايتي مثل هذا الإمام، وصار يفتخر به(١٩).

وكان الإمام زين العابدين بن عبدالله بن شيخ العيدروس (نقيب العلويين) ذا رأي، خبيرًا بأمور كثيرة كالزراعة والطب، وكان السلطان عبدالله بن عمر الكثيري يعتمد عليه في أمور البلاد، وكثيرًا ما يلتقي به ليستشيره في أمور الدولة، وكان النقيب العيدروس حريصًا على الدفاع عن دولة آل كثير بالرأي والتدبير والمكاتبات إلى زعماء القبائل، ولما استولى الإمام الحسين بن القاسم على اليمن كتب لسلطان حضرموت وأعيانها كتبًا يدعوهم لطاعته، فكان العيدروس ممن أجاب خطاب الإمام وحاول فيه مداراته(٢٠)، وقد يكون السلطان الكثيري هو من دعاه لإجابته لكي لا يظهر عند الإمام الحسين ابن القاسم بأنه الرافض لدعوته.

ولمكانة النقيب زين العابدين العيدروس في بلاط الدولة الكثيرية، وعند السلطان عبدالله بن عمر الكثيري، فقد حضر جنازته في تريم عندما توفي في سنة ١٠٤١ هـ.

وبالنظر إلى مكاتبات الإمام الحداد نجد مادة تاريخية جيدة في المكاتبات التي أرسلها للسلاطين الكثيريين، وتبرز فيه أيضًا حرص الداعية الحضرمي على تقديم النصيحة والمشورة للسلطان قيامًا بحق العلم، وكان قد تعاقب على حكم السلطنة الكثيرية في حياة الإمام الحداد

ثمانية من السلاطين الكثيريين ابتداء من السلطان بدر بن عمر الكثيري وانتهاء بالسلطان عمر بن جعفر، وكان الإمام الحداد يبتدي بمكاتبتهم استشعاراً بخطورة المهمة الملقاة على العلماء وشفقة على الأهالي، وكان في رسائله يقدم النصيحة العامة، ويحثهم على تفقد أمور الرعية.

وعند امتداد نفوذ سلطة الدولة القاسمية إلى حضرموت برزت مشكلة جمع الزكاة، وقد احتلت هذه المسألة نصيباً كبيراً من مادة مكاتبات الإمام الحداد مع السلاطين، حيث بين لهم ضرورة التقيد بطريقة جمع الزكاة وفقًا للمذهب الشافعي، وعلى ما هو معتاد في حضرموت من قيام الأفراد بتوزيعها بأنفسهم دون تسليمها للحاكم، وكان الإمام الحداد مستشعراً التهديد الزيدي على السلاطين الكثيريين، فلم ينسَ تقديم المشورة لهم بلغة دبلوماسية، فيقول: نعم لا بأس من مداراتهم عند خوف الشر بما لا يضر الدين كذكر إمامهم في الخطبة وحمل شيء من المال إليهم، وقد أتى ذلك في رسالة بعثها إلى السلطان بدر بن عبدالله(٢١).

وكان الإمام الحداد ملامسًا للوضع الاقتصادي بحضرموت، ويدرك الصعوبة التي تواجه السكان في فترات الجفاف التي تنتج عن غياب الأمطار لمواسم طويلة، وقدم رأيه في ضرورة أن تبقى الزكاة بيد الأفراد وتوزع وفق قواعد المذهب الشافعي إلى المستحقين من أهل البلد الذين هم أولى بها.

فظل يقدم النصح والمشورة حول إعادة النظر في مسألة تسليم الزكاة للحاكم، وقد راسل السلطان بدر بن عمر، وعبر عن تمسكه برأيه السابق في إبقاء الزكاة بيد الأفراد، وخاطبه بنوع من المرونة.

وراسل الحداد كذلك السلطان محمد بن بدر بن عمر وحثه على تغيير تلك البدعة، وربط بأن حلول مشاكل السلطنة في ترك تلك الطريقة غير المعهودة في جمع الزكاة.

وقد توسم الإمام الحداد في السلطان محمد بن بدر خيراً، فسعى إلى إحداث تغيير من داخل السلطنة وفي أعلى مناصبها، لهذا كتب إلى السلطان محمد بن بدر رسالة في أثناء غياب والده للحج يمكن وصفها بالخطيرة، شجعه فيها على إجراء تغيير في سياسة والده الموالية للقاسميين، وطلب منه الإشارة ووعده بالدعم، وتكمن أهمية هذه المكاتبة التاريخية في كونها أول مكاتبة تشجع على التمرد على الدولة القاسمية، وقد دلت تلك المكاتبات على الرؤية العميقة عند الحداد، حتى جعله السلطان عمر بن جعفر الكثيري مستشاراً له في بعض الأمور، فكان يقدم له النصح والمشورة وبلهجة حادة أحيانًا عندما يرى الحداد أن الأوضاع بدأت تخرج عن السيطرة.

واستمرت مكاتبات الحداد تلاحق الأحداث، وتحاول تقديم النصيحة المخلصة بهدف الحفاظ على تماسك المجتمع، ووضع حد للفوضى الضاربة بأطنابها، ولكن التطورات وواقع الحال كانت أكبر من أن تلملمها هذه النصائح(٢٢).

وتعد تلك النصائح مواقف وطنية تحسب للإمام الحداد في الدفاع عن حضرموت وعقائدها خاصة وقوفه ضد تدخلات الدولة القاسمية في حضرموت، ومحاولة فرض تعاليم المذهب الزيدي داخل النطاق الحضرمي الشافعي، بالرغم من علائق النسب بين العلويين والقاسميين، وبالرغم من المغريات التي قد يحصل عليها لو أبدى رغبته في الميلان لصالح الدولة القاسمية.

بقي الإمام الحداد لهم بالمرصاد بمراسلاته للسلاطين الكثيريين وبوقوفه ضد علمائهم، فيذكر صاحب كتاب (بجهة الزمان) أنه لما خرجت طائفة الزيدية إلى حضرموت وكان فيهم المباحثون في علم العقائد والسير كان الإمام

الحداد وهو في سن الشباب يباحثهم ويسألونه فيفضحهم في الجواب ويأتيهم بفصل الخطاب وينطقه الله بالصواب، وقد استشعر معاصروه ذلك الجهد، فقال (العلامة الأديب عبدالله أبوبكر الخطيب) «لولا عبدالله الحداد بين ظهرانينا لافتضحنا»(٢٣).

ويتسع جهد العلماء التريميين وعلاقتهم الشوروية في أروقة الحكم ليصل إلى مواطن المهجر الحضرمي، فكان للعلماء القبول لدى بعض سلاطين الهند، وسلاطين جزر الأرخبيل الإندونيسي، وسواحل الشرق الأفريقي. بل وتزوج أعداد منهم ببنات الأمراء والوزراء بعد أن نالوا إعجاب أولئك المسئولين، فضلاً عن بقية شرائح المجتمع، وقد ساعدتهم تلك الزيجات والصلات الاجتماعية على التعمق داخل مجتمعات المهجر، واستطاعوا التحرك في أكبر مساحة لنشر الإسلام وتعاليمه، أيضًا لم يغفلوا توظيف تلك العلاقات في مشاريعهم التجارية في تلك النواحي.

فقد ذكر المؤرخون بأن زين العابدين بن مصطفى العيدروس (ت ١١٢٧ هـ)، الذي ولد بتريم وتلقى تعليمه بها، رحل إلى الهند وتزوج بنت أمير البلاد، وكان له القبول في النصح والإرشاد(٢٤).

وتزوج كذلك العلامة محمد بن أحمد الشلي (عم مؤلف المشرع) بابنة أحد الوزراء بعد أن رحل إلى الهند وذاع صيته العلمي، فقد اشتهر بعلم الحديث، والفقه، والعربية، والفرائض، وعلم الميقات(٢٥). وعندما وصل عبدالله بن حسين بن محمد مولى عيديد إلى الهند كان الوزير صاحب كنور عبدالوهاب يكرمه، وزوجه ابنته، وأجلسه في صدارة مجالسه، وكان عالمًا بالكيمياء، وفارسًا، له تأليف، وأشعار حسنة(٢٦).

وكذلك كان أبوبكر بن أحمد بن حسين بن عبدالله بن شيخ العيدروس (ت ١٠٤٨ هـ)، قد رحل إلى الهند، واستقر بدولة أباد، وكان السلطان شاهجهان متصلاً به مقربًا له في بلاطه(٢٧).

وكان شيخ بن عبدالله بن شيخ العيدروس (ت ١٠٤١ هـ)، قد اتصل بالوزير عنبر والسلطان برهان نظام شاه والسلطان عاد شاه.

واتصل محمد بن عبدالله بن شيخ العيدروس (ت ١٠٣١ هـ) بسلطان سورت(٢٨).

وكان جعفر الصادق بن علي زين العابدين العيدروس (ت ١٠٦٤ هـ)، يعد أحد ناشري العلم في الدكن، وكانت قصته مع الدكن الهندية قد بدأت بمباحثة مع علمائها بحضور حاكم الدكن، فأجاب عن تساؤلاتهم بالجواب الشافي، فأعجب به العلماء والحاكم الذي قربه من بلاطه، وأصبح مستشارًا له، وبخاصة أنه كان شاعرًا، ومؤلفًا، ونابغًا في العلوم الدينية والعربية، والحساب والفلك(٢٩).

وكان أحمد بن أبوبكر بن أحمد الشلي (شقيق مؤلف المشرع)، عالمًا أديبًا، قد رحل إلى الهند واتصل به الملك عنبر، وتقرب إليه ملوك آخرون، وثم رحل إلى الحرمين، ثم إلى تريم وبها توفي سنة (١٠٥٧ هـ)(٣٠).

ويبدو أن سمعة العلماء الحضارم كانت تسابقهم قبل وصولهم تلك المناطق، فعند وصول علوي بن عمر بن عقيل جمل الليل إلى الهند استقبله بعض وزراء السلطان ريحان، وأكرمه السلطان فيما بعد(٣١).

أما الإمام الحداد فقد ضل الداعية المصلح الاجتماعي المتفرد المهتم بالإنسان الحضرمي حيثما حل أو ارتحل، فقد راسل أحد أمراء الهند ويدعى (ياقوت خان)، وفي رسالته التي بعث بها من تريم إلى الأمير الهندي طلب منه الرفق برعاياه الحضارم، فإنهم مقلون لا يحملهم على السفر والتغرب من أوطانهم وأولادهم إلا ذلك(٣٢).

ثانيًا: دور العلماء في بناء المساجد:

تميزت مدينة تريم بكثرة المساجد فيها مقارنة بمساحتها وعدد سكانها، وكان الأثرياء والميسورون يتسابقون إلى تشييد المساجد وعمارتها إيمانًا منهم بأهمية المسجد ودوره في المجتمع، وكان لعلماء القرن الحادي عشر نصيب بارز في عمارة بيوت الله وتشييدها، فبعد مسح المصادر المتاحة استطعنا أن نوثق عددًا من المساجد التي بنيت في ذلك القرن بجهود من العلماء:

١. مسجد أحمد بعيديد، الذي بناه الإمام أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن علي مولي عيديد (ت ١٠٤٧ هـ).

٢. مسجد الأبرار بالسحيل للإمام عبدالله بن شيخ العيدروس (توفي ساجدًا في صلاة العصر، سنة ١٠١٩ هـ)، وله أيضًا مسجد النور بالتربة، وبنى قرب مسجد النور سبيلاً لإرواء المارين، وغرس نخيلاً.

٣. المساجد التي بناها الإمام عبدالله بن علوي الحداد (ت ١١٣٢ هـ): مسجد الفتح (الحداد) بالحاوي، بُني سنة (١٠٨٣ هـ)، ومسجد الأوابين في النويدرة، بُني سنة (١١٠٤ هـ)، ومسجد الحداد (الحد) في منطقة السبير، بناه في المكان الذي ولده فيه.

٤. مسجد الحصاة بالسوق، وهو أحد المساجد القديمة، يعود تأسيسه إلى القرن الثامن الهجري، أسسه السلطان عبدالله بن يماني، ثم جدد عمارته العلامة أحمد بن حسين بلفقيه (ت ١٠٤٨ هـ).

٥. مسجد السلطان الثاني، الذي بناه السلطان بدر بن عمر الكثيري (ت ١٠٧٣ هـ)[٣٣]، ويبدو أنه بناه بتوجيه من علماء تريم الذين كانت صلاتهم به قوية.

٦. مسجد بايعقوب بالمجف، الذي بناه الشيخ عبدالرحمن بن محمد بايعقوب.

٧. مسجد بلفقيه، ويقع في منطقة الرضيمة، مؤسسه العلامة أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بلفقيه (ت ١١٠٣ هـ)، وبناه بمساعدة بعض المهندسين الهنود، ولم يستخدم العود فيه إلا بالأبواب فقط، كما بنى ذلك الإمام قبة نبي الله هود[٣٤].

٨. مسجد خرد بالخليف، ومؤسسه زين عمر بن عبدالله بن علوي خرد في مطلع القرن الحادي عشر.

٩. مسجد دحمان بالنويدرة، أسسه العلامة عبدالرحمن بن محمد بن عمر بلفقيه الشهير بدحمان المدني (ت ١١١١ هـ)[٣٥].

١٠. مسجد شجعنة (فضل بامقاصير)، وهو مسجد قديم أسسه السلطان شجعنة بن راشد، سنة ٥٧١ هـ، ثم جدده الشيخ فضل بن سالم بافضل سنة ٩١٨ هـ، ثم عمّره العلامة علي بن صالح المحجوب السقاف (ت ١٠٥١ هـ)[٣٦].

١١. مسجد شهاب الدين بالفجير، أسسه القاضي عبدالرحمن بن أحمد بن شهاب الدين (ت ١٠١٤ هـ).

١٢. مسجد شيخ عيديد بالنويدرة، أسسه العارف بالله شيخ بن عبدالرحمن بن شيخ عيديد (ت ١٠٦٨ هـ)[٣٧].

١٣. مسجد علوي بثبي، أسسه العلامة علوي بن عبدالله بن أحمد بن حسين العيدروس (ت ١٠٥٥ هـ).

١٤. مسجد مديجج بالسوق، أسسه العلامة محمد بن عقيل بن شيخ الشهير بمديجج (ت ١٠٠٥ هـ).

١٥. وقد أسهم علماء ذلك القرن في تجديد جامع تريم أشهر مساجدها وأقدمها، والذي تم تجديده مرات عدة، فقد قام الشيخ مكي بن أحمد بافضل بتعمير الجامع وشاركه الشيخ محمد بن أحمد بامصباح باحسنان[٣٨]، ويذكر المؤرخ محمد بن عبدالله الخطيب في مخطوطه (البرد النعيم) أنه في ذلك التجديد للجامع تم العثور على قبر موجه للقبلة العيسوية[٣٩].

وأسهم العلماء في مواطن المهجر بتشييد المساجد، فقد بنى أحمد بن عيدروس بن عبدالله بن شهاب الدين مسجدًا بالحبشة في منطقة أوسه(٤٠).

رابعًا: الإسهامات والدور العلمي:

١- دور العلماء في التدريس والتعليم وإرشاد العامة وتوجيههم:

تعد وظيفة التعليم من أجل وظائف العلماء والدعاة، حيث يحرص العلماء على إقامة الدروس العامة والخاصة اقتداء بالمعلم الأول محمد صلى الله عليه وسلم، ويمكن تقسيم العلماء والمدرسين على قسمين:

١- المؤدبين ومعلمي الصبيان.

٢- الشيوخ والمعلمين في المراحل العليا.

أولًا: المؤدبون ومعلمو الصبيان:

وهم الذين يتولون تعليم الطالب في بيته أو في المعلامات والكتاتيب، حيث يتلقى فيها الطالب المبادئ الأساسية للعلوم العربية، وقواعد القراءة والكتابة، وأساسيات الدين كالوضوء والصلاة، وغالبًا ما يكون المعلمون من أسر المشايخ، الذين اشتهر الكثير منهم بالصلاح والاستقامة، ويتقاضى المؤدبون أجرًا على ما يقومون به من وظيفة التأديب والتعليم، وقد حفظت لنا المصادر الحضرمية في تراجم الأعلام الحضارم ذكر بعض أولئك الذين تولوا تربيتهم وتدريسهم في الصغر، مثل: المعلم عبدالله بن عمر باغريب(٤١)، والمعلم عمر بن عبدالله الخطيب، والمعلم محمد باعيشة(٤٢)، والمعلم عبدالله باجمعان، والفقيه محمد بن أحمد باجبير، والفقيه عبدالله بن أبوبكر الخطيب(٤٣)، والإمام عبدالرحمن بن عمر بارقبة(٤٤)، والشيخ أبوبكر الجوهري بافضل، والشيخ سالم بن أحمد بن عمر بافضل(٤٥)، ويبدو أن ذكر أولئك الأعلام على هامش التراجم قد أسقط أسماء الكثير منهم، على الرغم من الدور المهم الذي قاموا به في المجتمع.

ثانيًا: الشيوخ والمعلمون في المراحل العليا:

وهم الصنف الذين يطلق عليهم العلماء، الذين تمتعوا بمكانة في المجتمع نظرًا لتأثيرهم ودورهم الفاعل فيه، واختلف العلماء في النشاط العلمي فمنهم المقلون في التدريس المؤثرون الخلوة والانعزال، ومنهم الذين أفنوا حياتهم في التدريس رافضين أي عمل يعرض عليهم خوف التقصير في عملهم العلمي، فتنقلوا من مكان إلى آخر، ومن مسجد إلى زاوية، ومن حلقة إلى مجلس، فكثر لديهم المريدون والطلاب، ومن هؤلاء العلماء:

عبدالرحمن بن محمد السقاف (ت ١٠١٢ هـ) الذي كان يجلس للتدريس العام في مسجد باعلوي بعد العشاء، والقاضي عبدالرحمن بن شهاب الدين (ت ١٠١٤ هـ)، الذي مارس التدريس والتعليم إلى جانب القضاء والإفتاء، والإمام عبدالله بن شيخ العيدروس (توفي ساجدًا في صلاة العصر ١٠١٩ هـ)، الذي جلس للتدريس في مسجده بسحيل تريم، وأخذ عنه عدد من المريدين(٤٦)، والعلامة زين الدين بن حسين بافضل (ت ١٠٢٦ هـ)، الذي كان شيخ وقته وأوانه، وانتصب للإقراء والتدريس والنفع العام، وبرع في العلوم، وطارت شهرته، ورحل إليه الناس للأخذ عنه، وأثنى عليه فضلاء عصره، وكان من العقل بالمنزل الأعلى يستشار في المعضلات، ويعول عليه في المشكلات، والمسائل العلمية(٤٧)، وأحمد بن محمد بن عبدالرحمن شهاب الدين الذي كان له درس خاص في (إحياء علوم الدين)، وكان الشيخ أحمد بن علي بن عبدالرحمن باقشير (ت ١٠٧٥ هـ)، قد اشتهر بالتجويد والقراءات، فأخذ عنه الناس من تلك العلوم، وكذلك

اشتهر بالتجويد عبدالله بن سعيد باقشير (ت ١٠٧٦ هـ)، الذي جلس للتدريس في مكة وانتفع بـه الكثير من أهل مكة واليمن والشام والعراق(٤٨).

وقد اشتهر محمد بن محمد بارضوان بافضل بتدريس الفرائض، والميقات، والحساب، وممن أخذ عنه الشلي وذكره في المشرع (توفي في النصف الثاني من القرن الحادي عشر)(٤٩).

وقد جلس للتدريس في المسجد الحرام بإجازة شيوخه المؤرخ محمد أبوبكر الشلي (ت ١٠٩٣ هـ)، وبعد أن عجز قام بالتدريس في بيته(٥٠)، أما والده أبو بكر الشلي (ت ١٠٥٣ هـ)، فقد جلس للدرس العام في مسجد آل أبي علوي بتريم بعد وفاة شيخه أبي بكر بن علي المعلم(٥١).

وكان الشيخ سالم بن أحمد بن عمر بافضل ذا ذكاء وحفظ وإتقان للعلم، خصوصًا الفقه والنحو والقراءات، حتى إن الإمام الحداد كان يثني عليه ويجيل عليه ويقول: (إنه بقية القراء من آل أبي فضل)، وكان مستغرق أوقاته في التعليم، حتى عندما كبر في آخر عمره كان ما يزال يقرأ عليه في الإحياء والعوارف للسهروردي، توفي في صنعاء، وهو في طريقه إلى الحج(٥٢).

واشتهر عقيل بن عبدالرحمن بن عقيل باهتمامه بعلوم القوم وتحقيق اصطلاحات الصوفية، وكان عبدالله بن أحمد بن عبدالرحمن الأسقع باعلوي، قد رحل إلى الهند والحرمين وأخذ عن شيوخها، ثم عاد إلى تريم ليتفرغ لتدريس العلوم وانتفع به كثير من الناس(٥٣).

وكان عبدالله بن أحمد بن حسين العيدروس الصليبية (ت ١٠٥٣ هـ)، قد اشتهر بعلم الأنساب، وكان مشاركًا في العلوم العقلية، أما علي بن عبدالرحمن بن محمد الحبشي (ت ١٠١٢ هـ)، قد اشتهر برواية الشعر والأدب(٥٤).

واشتهر بالتدريس أبوبكر بن عبدالرحمن شهاب الدين (١٠٦١ هـ) حيث كان محدثًا منفردًا في عصره بعلو الإسناد، وعندما بنى السيد محمد بن عمر بافقيه مدرسة بتريم فوض إليه التدريس بها من تلاميذه الحداد والشلي(٥٥).

أما الإمام عبدالله بن علوي الحداد الذي برز منذ النصف الثاني للقرن الحادي عشر الهجري، فقد كان وحيد زمانه متفردًا على أقرانه، قصده طلاب العلم من نواحي حضرموت واليمن والحجاز وبلاد المغرب العربي، تتلمذ على يديه بعض منهم أسن منه، ومن هم في طبقته، وقد أثر الإمام الحداد على الأمة تأثيرًا بالغًا بكلامه وقلمه وقدوته وتلاميذه، أما بكلامه فبدروسه ووعظه وإرشاده التي كان يعقدها في تريم وفي أثناء سفرياته إلى أنحاء حضرموت واليمن والحجاز حين سفره للحج، أما قلمه فمؤلفاته الشهيرة التي ترجم بعضها إلى لغات أجنبية، أما كونه قدوة يقتدى به فقد كان مثالاً للسلوك المحمدي، أما تلاميذه فقد ذكر صاحب كتاب (بهجة الزمان وسلوة الأحزان)، منهم ما يقارب المائة والخمسين من العلماء والصالحين(٥٦)، ويبدو أن ذلك العدد من التلاميذ هم خواصهم الذين كثرت صلاتهم به، وتوجد أعداد كثيرة التقى بهم خلال أسفاره، أو قصدوه لأوقات قليلة.

٢- نتاجهم العلمي ودورهم في التأليف:

يعطي النتاج العلمي صورة عن الحياة العلمية وسيرها في المجتمع، وعن أهم العلوم المتداولة في ذلك العصر واستخدامها، ومن خلال حصر ما أمكن حصره من المصادر المتاحة، نجد علومًا لم نعثر لها على نتاج علمي على الرغم من بروز علماء لهم اهتمام في تلك العلوم. ومن خلال النظر في النتاج العلمي نجد أن التزكية والتصوف هما أكثر العلوم المسيطرة على التأليف والنتاج العلمي لعلماء ذلك القرن، وذلك يعطي لنا صورة عن الحياة العامة في

تريم خلال تلك الحقبة وسيادة التصوف والاهتمام بتزكية النفوس ومحاسبتها، وربما تكون الأوضاع المضطربة التي عاشتها حضرموت في تلك الحقبة سببًا في اتجاه العلماء للكتابة عن تهذيب النفوس وكبح جماح شهواتها، رغبة ومساهمة منهم في إصلاح المجتمع.

أ) العلوم الشرعية: وهي العلوم المتصلة بالكتاب والسنة من حيث التدوين والشرح والتحليل، ومن أمثلتها كتاب (الدر الثمين في بيان المهم من الدين) لأبي بكر بن عبدالقادر العيدروس (ت ١٠٣٨ هـ)(٥٧). ويذكر ابن سميط في كتابه (بهجة الزمان) أن للإمام عبدالله بن أحمد الأسقع باعلوي تصانيف عجيبة في العقائد، وله نظم رائق، وكان أحمد بن زين الحبشي هو السبب في تأليفها(٥٨).

وفي مجال المنظومات نظم أحمد بن علي باقشير (ت ١٠٧٥ هـ) أرجوزة في علم الفرائض وشرحها، وألف عبدالله بن سعيد باقشير (ت ١٠٧٦ هـ) شرح الإرشاد، واختصر نظم عقيدة اللقاني، وشرح نظمه، واختصر بريق الزنجاني نظماً وشرحه، ونظم الحكم وشرحه، ونظم آداب الأكل وشرحه(٥٩).

ولأبي بكر الشلي (ت ١٠٥٣ هـ) كتاب في فضل رمضان والصيام(٦٠).

وألف أحمد بن أبي بكر بن عبدالهادي باشعبان بافضل (توفي أواخر القرن الحادي عشر الهجري)، كتاب (المنتقى)، الذي يحتوي على بيان المهمات الدينية، والآداب المرضية، وقد فرغ من تأليفه سنة ١٠٧٩ هـ، وله رسائل مهمة مع الإمام الحداد يسأل فيها عن بعض المسائل(٦١).

وللإمام الحداد عدد من الكتب ألفها في شبابه، مثل كتاب رسالة (المعاونة والمؤازرة في الراغبين في سلوك طريق الآخرة)، ورسالة (المذاكرة) ألفهما سنة ١٠٦٧ هـ، وسنه إذ ذاك ست وعشرون سنة، وكتاب (النصائح الدينية والوصايا الإيمانية) فرغ من تأليفه سنة ١٠٧٩ هـ.

ب) العلوم العربية: فقد صنف أحمد بن عبدالله بافضل (ت ١٠٤٤ هـ)، حاشية على القصيدة الطرائفية، وله ديوان ونظمه كثير حسن، لذلك سموه بالسودي تشبيهًا بالشيخ عبدالهادي السودي الشهير، وله كذلك مراسلات بديعة مع علماء عصره(٦٢). وألف أحمد بن حسين بن محمد مولى عيديد (ت ١٠٥٢ هـ)، كتابًا شرح فيه الآجرومية، وشرح الملحة ومختصرها، وله أشعار حسنة غريبة(٦٣). ولأبي بكر الشلي (ت ١٠٥٣ هـ)، كتاب في غريب اللغة(٦٤).

ج) علم التصوف والتزكية: مثل كتاب (الفتوحات القدسية في الخرقة العيدروسية) لأبي بكر بن عبدالقادر العيدروس (ت ١٠٣٨ هـ)، وله أيضًا أبيات في السلوك وشرحها وسماه (غاية الضرب في شرح نهاية الطلب)، وله شرح على قصيدة العيدروس التي مطلعها (كل من لم يمنع نفسه)(٦٥)، وألف أحمد بن عبدالله بن أحمد العيدروس شرحًا على قصيدة أبي بكر العيدروس:

هات يا حادي فقد آن السلو
وتجلى عن سما قلبي الصداء(٦٦)

وللشيخ محمد بن عبدالله بن سلمان الخطيب (توفي بعد ١٠٢٥ هـ)، عدد من المؤلفات في التزكية والتصوف، مثل الحكم الرئيسة والذخائر النفيسة والواردات الربانية والاستغاثات الإلهية، والوصايا الفتحية والنصائح الإحسانية، و(محجة الأنبياء وحجة الأولياء)(٦٧).

وألف محمد بن عبدالله بن شيخ العيدروس (ت ١٠٣١ هـ) كتاب (إيضاح أسرار علوم المقربين)، الذي طبع مرات عدة في مصر، والهند(٦٨).

د) التراجم والتاريخ والسير: من نماذجها كتاب (الحدائق الخضرة في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم- وأصحابه العشرة)، وكتاب (إتحاف الحضرة العزيزة بعيون السيرة الوجيزة) لأبي بكر بن عبدالقادر العيدروس (ت ١٠٣٨ هـ)(٦٩)، وألف شيخ بن عبدالله بن شيخ العيدروس (ت ١٠٤١ هـ) كتاب السلسلة العيدروسية، وتحتوي على تراجم أعلام تلك الأسرة(٧٠).

وكان محمد أبو بكر الشلي (ت ١٠٩٣ هـ) وحيد عصره في علم التاريخ والتراجم وعلى الرغم من استقراره في مكة فإنه تريمي الأصل؛ إذ بها ولد ونشأ وتلقى تعليمه الأولي فيها، وتعد مؤلفاته التاريخية مصدراً مهماً لمن أراد الكتابة عن تلك الحقبة، وأشهر مؤلفاته هي (السناء الباهر في التذييل على النور السافر في أخبار القرن العاشر)، و(عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر)، و(المشرع الروي في مناقب السادة آل أبي علوي)(٧١). وذكر الشلي في (المشرع) أن هناك مجموعًا في التاريخ جمعه والده أبوبكر الشلي في تاريخ أهل عصره وزمانه ومجريات دهره وأوانه، لكنه لم يكمله، فأخذ منه الابن بعض تراجم من وجده على شرط كتاب (المشرع)، ويذكر أيضًا أن والده اختصر كتاب (الغرر) لمحمد بن علي خرد(٧٢).

وقد تميز الشيخ محمد بن عبدالله بن سليمان الخطيب (توفي بعد ١٠٢٥ هـ) بمؤلفاته التاريخية، أهمها (البرد النعيم في نسب الأنصار خطباء تريم)، و(التاج الكريم في نسب الأنصار خطباء تريم) وهو نظم، و(الدر البيان الأشرف العظيم شرح التاج الكريم)، و(الدوحة القديم في نسب الأنصار خطباء تريم)، و(البرق اللامع والمهند القاطع) ومائتا حكاية(٧٣).

هـ) العلوم التطبيقية: ألف الإمام محمد بن أبي بكر الشلي رسالة في الميقات في علم المجيب وشرحها، وذكر أنه انتفع بها الكثير من الطلاب في الحرمين واليمن والهند ومصر، وألف رسالتين في علم الميقات بلا آلة، ورسالة في معرفة ظل الزوال كل يوم لعرض مكة المكرمة، ورسالة في معرفة اتفاق المطالع واختلافها، ورسالة في المقنطر، ورسالة في الإسطرلاب، وله رسالة في شرح رسالة الإمام السنوسي في المنطق(٧٤).

ونظم أحمد بن علي باقشير (ت ١٠٧٥ هـ) أرجوزة في علم الحساب وشرحها. وأوردت المصادر ذكر عبدالله بن عمر بامصباح (ت ١٠٣٩ هـ)، وذكرت اهتمامه بعلم الهندسة، وأنه أسهم في تعمير عدد من سواقي السيول وفق قواعد علمية متقنة لكنها لم تشر إلى شيء من مؤلفاته في تلك العلوم(٧٥).

وسجل علماء ذلك القرن حضوراً في مجال الترجمة من خلال الترجمة التي قام بها الإمام جعفر الصادق بن علي زين العابدين العيدروس (ت ١٠٦٤ هـ)، لكتاب جده (العقد النبوي) إلى اللغة الفارسية التي تعلمها وأجادها، واشتهر بناشر العلم في الدكن(٧٦).

٣- دورهم في اقتناء الكتب ونسخها وبناء المكتبات ووقفها:

من أجل استمرار عملية التعليم وبخاصة في المراحل العليا يتطلب الأمر وجود مكتبات، وكانت عملية الحصول على الكتاب عملية مجهدة وشاقة وبخاصة للطلاب الذين ينتمون لأسر غير ميسورة. فحرص عدد من العلماء على اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات الخاصة وتزويدها بالكتب عبر طلبها من المهجر أو اقتنائها في أثناء الأسفار وبخاصة في موسم الحج، ولاهتمامهم بطلاب العلم أوقف البعض

تلك المكتبات لهم، وأوردت المصادر التي وقفنا عليها مجموعة من العلماء الذين أسهموا في هذا الجانب، أبرزهم:

العلامة أحمد بن عمر الهندوان (ت ١١٢٢ هـ) الذي رحل إلى الهند ومكة، وجلب معه إلى تريم عددًا من الكتب القيمة، حتى إن الإمام الحداد لما وقف عليها ورأى كثرتها وجمعها لفنون العلم من الفقه والسير والتصوف وغيرها أنشد:

جزى اللّه خيرًا سيدًا وابن سيد
وعلامة من آل طه الأطايب
على جمعه كتبًا يعز اجتماعها
لنفع عباد اللّه من كل طالب(٧٧)

والقاضي عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن (ت ١٠١٤ هـ)، كانت له مكتبة كبيرة أوقفها على طلبة العلم(٧٨). وكذلك أوقف العلامة علي بن حسين بن عمر بن حسن بن شهاب (ت ١٠٦٩ هـ) كتبًا كثيرة على طلاب العلم، وكان عقيل بن عبدالله بن عقيل (ت ١٠٢٢ هـ) له مكتبة نفيسة(٧٩).

واشتهر جماعة من العلماء بنسخ الكتب وبخطوطهم الحسنة، مثل: علي بن أبي بكر الجنيد (ت ١٠٧٠ هـ) الذي اشتهر بنسخ الكتب(٨٠)، وعلوي بن عمر بن عقيل جمل الليل (ت ١٠٥٤ هـ) الذي كان مولعًا بنسخ الكتب بخطه الجميل(٨١). كما اشتهر أحمد بن أبي بكر الشلي (ت ١٠٥٧ هـ) بخطه الجميل الذي صار معروفًا لدى أهل جهته(٨٢).

دورهم في بناء مؤسسات التعليم:

اشتهرت تريم بالإضافة إلى كثرة مساجدها بمعلاماتها وزواياها العلمية، مثل زاوية الشيخ سالم بافضل التي بنيت في القرن السادس الهجري، ومعلامة باغريب، ومعلامة أبي مريم المتخصصة في حفظ القرآن الكريم، وتخرج في تلك الزوايا الكثير من علماء تريم، والطلاب الوافدون إليها الذين بلغت شهرتهم أقاصي المعمورة، ومن أشهر تلك الأبنية التعليمية التي شيدت في القرن الحادي عشر الهجري في تريم:

- قبة مسجد الأبرار بالسحيل التي بناها الإمام عبدالله بن شيخ العيدروس (توفي ساجدًا في صلاة العصر سنة ١٠١٩ هـ)(٨٣) إلى جوار مسجده وبيته لتشكل مجمعًا دينيًا وتعليميًا قصده الناس من نواحٍ شتى، ودرست فيها العلوم المختلفة.

وبنى السيد محمد بن عمر بافقيه مدرسة بتريم، وفوض عملية التدريس فيها إلى أبي بكر بن عبدالرحمن شهاب الدين (ت ١٠٦١ هـ)، حيث كان محدثًا منفردًا في عصره تميز بعلو الإسناد، ومن أشهر تلاميذه الحداد والشلي(٨٤).

وقام القاضي عبدالرحمن بن شهاب الدين (ت ١٠١٤ هـ) بتعمير زاوية الشيخ علي(٨٥) إحدى أقدم الزوايا العلمية بتريم والتي ما زال نشاطها العلمي مستمرًا إلى اليوم.

خامسًا: الدور الاجتماعي للعلماء:

الإنفاق على الفقراء واستقبال الضيوف وإكرامهم:

نظرًا للوضع الاقتصادي العام في حضرموت وجدت شريحة من المساكين والفقراء وذوي الحاجة، فأخذ العلماء على أنفسهم الإنفاق عليهم، ذلك الإنفاق لم يكن من العلماء الأغنياء فقط، بل شاركهم فيه المتوسطون في المعيشة، ويحرص العلماء على إخفاء صدقاتهم وأعمال الخير رجاء الثواب الكامل من الله تعالى، لذلك لم تدون الكثير من تلك الأعمال في المصادر المتاحة، من أمثلة ذلك:

الإمام زين بن عبدالله باحسن الذي اشتهر بإطعام الفقراء والإنفاق عليهم حتى كثرت عليه الديون، وبعد سدادها يعود مرة أخرى للإنفاق والصدقة(٨٦)، وكان منزل محمد بن أبي بكر بن محمد بن علي بن عقيل (ت ١٠٦٢ هـ) منتدى ومقصدًا للزائرين والمحتاجين والضيوف، وكذلك أبوبكر بن أحمد بن حسين بن شيخ العيدروس (ت ١٠٤٠ هـ) كان مأوى للغرباء والوافدين منفقًا على المحتاجين(٨٧).

واشتهر زين العابدين بن مصطفى العيدروس (ت ١١٢٧هـ) بكثرة أعمال البر، فهو الذي شيّد المساجد والسقايات المسبلة، وأوقف عليها نخلاً، وأعتق الأرقاء والإماء، وأوقف لهم أوقافًا تكفيهم مدى الحياة(٨٨).

وكان الإمام عبدالله الحداد مقصدًا للغرباء والطلاب، وكان يخرج كل سنة إلى وادي دمون والغبرة على سبيل التنزه والتروح ويأخذ معه الأولاد والأصحاب وطلاب العلم(٨٩)، وقام بعده ابنه الحسن لإيناس القاصدين وإيواء الغرباء والمساكين، وإطعام الفقراء والجائعين(٩٠).

وكان للإمام محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بافضل نخل في منطقة القوز شرقي تريم وأجّر ناسًا لسقيه، وفي إحدى المرات التي ذهب لزيارة نخله وجدهم يسقونه بدواب أناس آخرين، فعاتبهم وأوقف ذلك النخل وتصدق به(٩١).

دورهم في خدمة المجتمع:

العلماء لم يكونوا بمعزل عن المجتمع الذي يعيشون فيه، بل كانوا مخالطين للناس معايشين لهم مشاركين لهم في أفراحهم وأحزانهم، فقد اشتهر الشيخ عبدالله بن عمر بامصيباح العدل (ت ١٠٣٩هـ) بخبرته في الهندسة وإصلاح سواقي السيول، وكان يقوم بتجهيز الموتى من غسل وغيره، ويكون عند المصيبة بمثابة صاحب البيت(٩٢).

ومن أعمال البر التي قام بها العلماء تجاه مجتمعهم توفير الماء من خلال حفر الآبار، فقد قام الإمام أحمد شهاب الدين الأصغر (ت ١٠٣٣هـ) بحفر ثلاثة آبار وجعلها مسبلة للناس، منها بئر السعادة بالنويدرة وقد أتى بعد عقود أحد أحفاده وبنى بجوارها مسجد شهاب الدين(٩٣).

الخاتمة:

شهد القرن الحادي عشر الهجري بداية تخلخل النظام السياسي في حضرموت، وذلك بعد الصراعات الدامية التي شهدها البيت الكثيري الحاكم، الأمر الذي أغرى عددًا من القوى المحلية والخارجية ببسط نفوذها على حضرموت والإجهاز على السلطنة الكثيرية الهشة التي أنهكها الصراع الداخلي.

انعكست الأوضاع السياسية على بقية الأوضاع العامة في حضرموت، ولم تكن تريم بمعزل عن بقية أرجاء المنطقة، فقد شهد ذلك القرن اشتداد موجة هجرة علماء تريم إلى عدد من المراكز العلمية في اليمن كالشحر وعدن، والمراكز الإسلامية في الحجاز، واكتظت بهم مدن الساحل الهندي، لكن عددًا آخر من العلماء قرروا البقاء في وطنهم محاولين تغيير تلك الأوضاع بأقصى جهودهم.

كان لأولئك العلماء إسهامات وأدوار بارزة في مجتمعهم في الجانب السياسي بمناصحة الحاكم وتقديم المشورة له، وفي الجانب العلمي عبر التدريس وبناء المؤسسات العلمية، وبناء المساجد؛ حيث تم رصد أكثر من عشرين مسجدًا، وثلاث مؤسسات تعليمية أسهم في تشييدها أو ترميمها علماء ذلك القرن.

أما عن النتاج العلمي فمن خلال النظرة العامة إليه نجد أن التزكية والتصوف هما أكثر العلوم المسيطرة على التأليف لعلماء ذلك القرن، وذلك يعطي لنا صورة عن الحياة العامة في تريم خلال تلك الحقبة وسيادة التصوف والاهتمام بتزكية النفوس ومحاسبتها، وربما تكون الأوضاع المضطربة التي عاشتها حضرموت في تلك الحقبة سببًا في اتجاه العلماء للكتابة عن تهذيب النفوس وكبح جماح شهواتها، رغبة ومساهمة منهم في إصلاح المجتمع.

وتبقى صفحات العلماء مضيئة في سفر التاريخ الحضرمي، وهذه الدراسة جهد متواضع لإبراز جهودهم وعرفانًا بفضلهم على مجتمعاتهم التي عاشوا فيها.

الهوامش:

١) الحموي ياقوت، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج٢، ص٢٨.

٢) الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس، منشورات مكتبة الحياة، مصر، ١٣٠٦هـ ج١، ص٧٦٣١.

٣) الرباكي أحمد صالح، الجديد في تاريخ تريم القديم، ص١٢٧.

٤) عبدالنور محمد يسلم، الحياة العلمية في حضرموت في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص٤٨.

٥) بن هاشم محمد، تاريخ الدولة الكثيرية، ص٦٩.

٦) بن هاشم، مصدر سابق، ص٧٣.

٧) الجعيدي عبدالله سعيد، مجتمع تريم في مكاتبات السيد عبدالله بن علوي الحداد، ص١٠٩.

٨) لمزيد من تفاصيل تلك الأحداث السياسية ينظر: تاريخ الدولة الكثيرية لمحمد بن هاشم، السلطنة الكثيرية الأولى في حضرموت للدكتور عبدالله الجعيدي.

٩) الجعيدي عبدالله سعيد، مجتمع تريم في مكاتبات السيد عبدالله بن علوي الحداد، ص١٠٧.

١٠) ومن أمثلة أولئك العلماء عبدالرحمن بن علوي بن أحمد بافقيه (ت ١٠٤٧هـ)، عرض عليه القضاء مراراً فامتنع.

١١) الشلي عقد الجواهر، ص ١١٠. المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص١٣٧.

١٢) الشلي، عقد الجواهر، ص٩٠.

١٣) المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص٣٩٧.

١٤) المشهور، شمس الظهيرة، ج٢، ص٥٤١.

١٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٩١.

١٦) النقابة: تنظيم اجتماعي قائم على وحدة النسب، وقد أحدثها في حضرموت آل أبي علوي بهدف التعاون والتآزر ونصرة المظلوم. عبدالنور (الحياة العلمية في حضرموت في القرنين السابع والثامن الهجريين)، ص٣٢٥.

١٧) المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص١٠٧-١٠٣.

١٨) الشلي، عقد الجواهر، ص١٥٣.

١٩) بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، ص٧٧.

٢٠) المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص١٠٧.

٢١) الجعيدي عبدالله سعيد، مجتمع تريم في مكاتبات السيد عبدالله بن علوي الحداد، ص١٠٩.

٢٢) الجعيدي عبدالله سعيد، مجتمع تريم في مكاتبات السيد عبدالله بن علوي الحداد، ص١٠٩.

٢٣) بن سميط محمد بن زين، بهجة الزمان وسلوة الأحزان، ص٧٧.

٢٤) المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص١٠٧.

٢٥) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٥.

٢٦) المشهور، شمس الظهيرة، ج٢، ص٥٤١.

٢٧) الشلي، المشرع الروي، ج٢، ص٢٤. المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص١١٤.

٢٨) المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص١٠٦.

٢٩) المصدر نفسه، ج١، ص١١٧.

٣٠) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٧.

٣١) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٩١.

٣٢) الجعيدي عبدالله سعيد، مجتمع تريم، ص١٠٧.

٣٣) بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، ص٩٥.

٣٤) باغوث خالد، الدرر الثمينة في تاريخ مساجد تريم، ص١٤٨.

٣٥) المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص٣٩٧.

٣٦) باغوث خالد، الدرر الثمينة في تاريخ مساجد تريم، ص١٦٤.

٣٧) بن سميط، بهجة الزمان، ص٦.

٣٨) باغوث، الدرر الثمينة، ص٦٨.

٣٩) الخطيب، البرد النعيم، ص.

٤٠) المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص١٨٣.

٤١) الشلي، المشرع الروي، ج٢، ص١٧. ذكر الشلي بأنه قد ختم القرآن عنده حفظاً وهو ابن عشر سنين.

٤٢) المصدر السابق، ص٢٠، ٤٦.

٤٣) بن سميط، بهجة الزمان، ص٣٩، ٧٧.

٤٤) الشلي، عقد الجواهر، ص٧٤.

٤٥) بافضل، صلة الأهل، ص٢٥١.

٤٦) الشلي، عقد الجواهر، ص٨٧- ١١٠.

٤٧) الشلي، عقد الجواهر، ص١٤٦. بافضل، صل الأهل، ص٢٢٤.

٤٨) الشلي، عقد الجواهر، ص٣١٨.

٤٩) بافضل، صلة الأهل، ص٢٣٢.

٥٠) الشلي، المشرع الروي، ج٢، ص١٩. المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص٣٤٦.

٥١) الشلي، المشرع الروي، ج٢، ص٢١.

٥٢) بافضل، صلة الأهل، ص٢٥٠.

٥٣) بن سميط، بهجة الزمان، ص٣٧.

٥٤) المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص١٠١.

٥٥) المصدر نفسه، ص١٣٨.

٥٦) البدوي مصطفى حسن، الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر، دار الحاوي، ط١، ص٦.

٥٧) الشلي، عقد الجواهر، ص٢٠٢.

٥٨) بن سميط، بهجة الزمان، ص٣٧.
٥٩) الشلي، عقد الجواهر، ص٣١٨.
٦٠) الشلي، المشرع الروي، ج٢، ص٢٢.
٦١) بافضل، صلة الأهل، ص٢٤٦.
٦٢) الشلي، عقد الجواهر، ص٢٣٣.
٦٣) المشهور، شمس الظهيرة، ج٢، ص٥٤١.
٦٤) الشلي، المشرع الروي، ج٢، ص٢٢.
٦٥) الشلي، عقد الجواهر، ص٢٠٢.
٦٦) بن سميط، بهجة الزمان، ص٤٥.
٦٧) الخطيب، محمد بن عبدالله، البرد النعيم (مخطوط)، ص٨٨. الخطيب محمد بن عبدالله، محجة الأنبياء وحجة الأولياء، دراسة المحقق د. عبدالنور، ص١٠.
٦٨) المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص١٠٥.
٦٩) الشلي، عقد الجواهر، ص٢٠٢.
٧٠) المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص١٠٥.
٧١) الشلي، المشرع الروي، ج١، ص١٩.
٧٢) الشلي، المشرع الروي، ج١، ص٢٢.
٧٣) الخطيب، محمد بن عبدالله، البرد النعيم، (مخطوط)، ص٨٦.
٧٤) الشلي، المشرع الروي، ج١، ص١٩.
٧٥) الشلي، عقد الجواهر، ص٢٠٦.
٧٦) المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص١١٧.
٧٧) بن سميط، بهجة الزمان، ص٣٨.
٧٨) المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص١٣٧.
٧٩) المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص١٨٣، ٣٦٩.
٨٠) الجنيد، العقود العسجدية، ص٢١.
٨١) المشهور، شمس الظهيرة، ج٢، ص٤٩١.
٨٢) الشلي، المشرع الروي، ج٢، ص٤٦.
٨٣) الشلي، عقد الجواهر، ص١٢٩. المشهور، شمس الظهيرة، ج٢، ص١٠٣.
٨٤) المشهور، شمس الظهيرة، ج١ ص١٣٨.
٨٥) الشلي، المشرع الروي، ج٢، ص١٦٩.
٨٦) المشهور، شمس الظهيرة، ج٢، ص٤٨٦.
٨٧) الشلي، المشرع الروي، ج٢، ص٢٤.
٨٨) المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص١٠٩.
٨٩) بافضل، صلة الأهل، ص٢٥١.
٩٠) بن سميط، بهجة الزمان، ص١٣٥.
٩١) بافضل، صل الأهل، ص٢٥١.
٩٢) الشلي، عقد الجواهر، ص٢٠٨.
٩٣) باغوث، الدرر الثمينة، ص١٦٧.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

١- الحموي ياقوت، معجم البلدان (نسخة الكترونية).
٢- الزبيدي مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس (نسخة الكترونية).
٣- الحبشي، أحمد بن زين، شرح العينية، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، سنغافورة.

- الخطيب، محمد بن عبدالله بن سليمان:

٤- البرد النعيم في نسب الأنصار خطباء تريم، (مخطوط).
٥- محجة الأنبياء وحجة الأولياء، تحقيق: د. محمد يسلم عبدالنور، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، تريم للدراسات والنشر.

- بن سيمط، محمد بن زين بن علوي:

٦- غاية القصد والمراد في ترجمة الإمام الحداد.
٧- بهجة الزمان وسلوة الأحزان في ذكر طائفة من الأعيان، عني بطبعه علي بن عيسى الحداد، د. ت.

- الشلي محمد بن أبي بكر:

٨- عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق: إبراهيم المقحفي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
٩- المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي، الطبعة الأولى، ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، المطبعة العامرة الشرفية، مصر.

ثانيًا: المراجع والدراسات الحديثة:

١٠- بن هاشم، محمد، تاريخ الدولة الكثيرية، أشرف على طبعه محمد علي الجفري، ١٩٤٨م.
١١- باغوث، خالد سعيد محمد، الدرر الثمينة في تاريخ مساجد تريم ومعالمها القديمة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، مكتبة دار الفقيه، تريم.
١٢- الجعيدي، عبدالله سعيد (الدكتور)، مجتمع تريم في مكاتبات السيد عبدالله بن علوي الحداد، ضمن أبحاث ودراسات فعاليات ملتقى تريم الثقافي، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، المكلا.
١٣- الجنيد عبدالقادر بن عبدالرحمن، العقود العسجدية في نشر بعض مناقب أفراد الأسرة الجنيدية، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، سنغافورة.
١٤- الرباكي، أحمد صالح، الجديد في تاريخ تريم القديم، ضمن أبحاث ودراسات فعاليات ملتقى تريم الثقافي، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، المكلا.
عبدالنور، محمد يسلم (الدكتور):
١٥- الحياة العلمية في حضرموت في القرنين السابع والثامن للهجرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
١٦- الحياة العلمية في تريم في القرن العاشر الهجري، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، تريم للدراسات والنشر.
١٧- المشهور، عبدالرحمن بن محمد، شمس الظهيرة في نسب أهل البيت، تحقيق: محمد ضياء شهاب، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، عالم المعرفة، جدة.
١٨- الندوي، مصطفى حسن، الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، دار الحاوي.

71
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

الأسماك والأحياء البحرية في بحر العرب ساحل حضرموت (أنموذجًا)

الحلقة الثانية





أ. عمر خميس بامتيرف

فصائل الأسماك والأحياء البحرية

من خصوصية بحر العرب (ساحل حضرموت أنموذجًا) امتلاكه مساحة واسعة يصل إلى الرف القاري البحري، وشريطًا ساحليًا طويلاً (من الشرق إلى الغرب) يستقبل من خلاله أودية رئيسة وسلايل وشحر مصحوبة بتربة خصبة تصب مدة وصول مياه السيول، ويتميز ببيئات متعددة تنطلق من السواحل الرملية والشواطئ الصخرية الحاضنة لعدد من فصائل الأسماك والأحياء البحرية المتوافر من عمق ١ باع إلى عمق ٣ أبواع بحرية بما تعادل (١ - ٥ أمتار تقريبًا)، تشمل عددًا من الكائنات الرخوية (من الأصداف، القواقع، المحار)، والقشريات (الشروخ، الربيان، أبو مقص، السرطانات). وعلى الأعشاب اللويسك (السيلك)، القطمر (القرمط) المستوطنة بين حموة الصخور الرملية والطينية بما يسمى بالطحالب (السبخة) النباتية بما فيها الأحواض البرية الخور (العيق)، وتنشأ عليها عدد من عوائل فصائل الأسماك والأحياء البحرية التي تتكيف مع معدل نسبة حرارة المياه وبرودتها في كل المواسم، ومع ملوحة المياه مدة اختلاطها بالمياه الحلوة والتربة الطينية الخصبة (الطفل)، وما بعدها تأتي بيئات أخرى من الشعاب والأشجار المرجانية والحفر الرملية العميقة والهضاب المنفصلة والصخور القاعية من عمق ٣- ٧٠ باعًا بحريًا (٥- ١٢٠ مترًا تقريبًا)، وهي المواقع الحاضنة لأغلب الفصائل والعوائل البحرية لتشكل أكبر مخزون من الأسماك والأحياء البحرية المتداولة في الأسواق، ومن بعدها تأتي بيئات خاصة ولأنواع خاصة من فصائل الأسماك المميزة بزرقة وتوسع العينان، وعلى بعض الأحياء البحرية العملاقة من على بعد مسافة ٥ أميال بحرية إلى أكثر من ٤٠ ميلاً بحريًا المرتبطة بالأعماق الباردة المظلة المعروفة بالجبال البركانية الحاضنة لفصيلة الحيتان البحرية الولودة.

(تعريف الأسماك والأحياء البحرية الصنون من الأسماك والأحياء البحرية الأذون)

الصنون: وتعني أي مخلوق في البر والبحر بغير أذنين (مسامع)، كما هو الحال في الأسماك والأحياء البحرية، فالأنثى منها حاملة البيض، والذكر حامل الرحل (البروتين).

الأذون: وتعني أي مخلوق في البر والبحر له أذنان، وهذا ينطبق على عوائل من فصيلتين بحريتين وهي الحيتان الولودة.

النوع الأول: هي الحيتان التي تمتلك سلسلة فقرية، ومشيمتين تخصب بيضها في بطنها حتى تلد بصغارها حامل المح (الحبل السري/ الصر)، مثل عائلة حوت القرش.

النوع الثاني: وهي عائلتان، ومنها الحيتان التي تمتلك مشيمة واحدة ولها سلسلة فقرية وترضع صغارها، مثل الدولفين، العائلة الثانية هي الحيتان التي تمتلك مشيمة واحدة ولها حوض (ورك) وترضع صغارها وترافقها مدة حضانتها لمدة عامين، مثل حوت العنبر، والحوت الأزرق (سلطان البحر).

الأسماك البحرية وتنقسم على ست فصائل

الفصيلة الأولى صنون: وتضم عوائل الأسماك العظمية الشوكية وهي نوعان:



صبو سليلاه



شارح المغن شمام



سبسيب (أبو دروف)

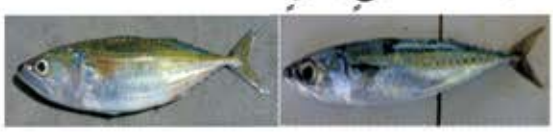
النوع الأول: يتم اصطيادها بوساطة شبك الغدف، وهي: سمكة الصبو، سمكة باجوف، سمكة ضبيك، سمكة شارح المغن التي تتوافر من عمق ١ - ٣ أبواع، وأما سمكة العيدة، سمكة المنتوج (الأنشوس)، سمكة الشيظي، سمكة العرعرة، سمكة الشفر، سمكة البربير، وتتوافر من عمق ٣- ٧٠ باعًا بحريًا.

النوع الثاني: يتم اصطياده بالسنارة (الوتر/ العدة)، وهي: سمكة أبوسيف، سمكة سبسيب، سمكة شمام، سمكة عتان، سمكة قوب، سمكة سليلاه، وتتوافر من عمق ٣- ٧٠ باعًا بحريًا، ويتم اصطياده بوساطة شباك الجر السطحية والقاعية.

الفصيلة الثانية صنون: عوائل أسماك التونة العظمية (ذو اللحم الأسود)، وهي: نوعان:

النوع الأول: أسماك التونة لحمها أحمر ضارب للسواد، وهي: سمكة الثمد المهاجر، سمكة حقيبة، سمكة الزينوب، سمكة الشروي، سمكة التبانة، وتجهز تونة، مالح، وحنيذها أفضل يستثنى الشروي لكونه لا يعلب ولا يصنع حنيذًا، ويتم اصطيادها بوساطة شباك المدود والعائمة والتشويط، وتتوافر من عمق ٢٠ باعًا إلى أكثر من ١٨٠ باعًا بحريًا، وأفضلها بالسنارة.

النوع الثاني: لحمها أحمر ضارب للبياض، وهي: سمكة الجدب، زمار، طبوب، غبير، بوغة، ويتم اصطيادها بوساطة شبك المغوير، وشباك الجر السطحية والقاعية، أو بالسنارة (الوتر/ العدة) مقاس ٢٥- ٣٠، وتتوافر من عمق ٢٠- ٢٠٠ باعٍ بحري.



طبوب بوغة

الفصيلة الثالثة صنون: عوائل الأسماك العظمية المتنقلة بين الصخور (ذو اللحم الأبيض)، وهي نوعان:

النوع الأول: يتم اصطيادها بوساطة التشويط وشباك التحليق، وهي: عائلة أسماك الطرناك (الديرك)، الكمُل، الغودة (سخلة)، سوملي (مركي)، الطمكري (قصعر وحزلق وباغريغرة وباعقيربة)، السهي، الغلس، بُكسة، حراب، خُمخمة، طُسمة، صنوفة (مظراس)، صليل، الرابعة، زرُب، الشرام، صُفدم، صولي، ظبية، رغي، كلاّب، الصعباري، بالعيلع، باعكيم، الصعُوبان

(عنفلوس)، عَنّدق، غَريض، الصُعفي، مطليل، وتتوافر من عمق ٢٠ باعًا إلى أكثر من ١٠٠ باعٍ، وأفضل طريقة لاصطيادها بالسنارة.



النوع الثاني عوائل الأسماك العظمية القاعية الثابتة في مواقعها الصخور:



سمكة حنان



باقشيفور (أبو تمرة)



باقشيفور (أبو شوكة)



سمكة صعمر عيق



صعمر أعماق صخري



صعمر موانئ

يتم اصطيادها بوساطة السنارة، وأقفاص القرش (السخاوي)، ومن بين هذه الأسماك بعضها عندما تغيب عنها الشمس ويخيم عليها الليل سرعان ما تختفي وتلجأ إلى مراقدها، وتسكن داخل الجحور الصخرية (القشار)، حتى بداية طلوع نهار اليوم الثاني تظهر، مثل سمكة القربيب المتوافر من عمق ٣- ٣٠ باعًا، القيمود المتوافر في عمق ٣ أبواع، من بين هذه الأسماك أنواع أخرى عندما تغيب عنها الشمس ويدخل عليها الليل تظهر حتى دخول وقت نهار اليوم الثاني وتختفي لتعود إلى مكانها المُظلم ليلاً، مثل سمكة الحنان المتوافر من عمق ٣- ٧ أبواع، ونوعان من سمكة الباقشيفور المتوافر من عمق ٣- ٧ أبواع، ونوع من سمك الدهام المتوافر من عمق ١- ٣ أبواع، ونوع من سمكة الريدو المتوافر من عمق ١- ٣ أبواع، ونوعان من سمك المحليل المتوافر من عمق ٧- ٢٠ باعًا، وسمك القطميم المتوافر من عمق ٣- ٧ أبواع، وسمك النساعة التي يتم اصطيادها ليلاً، وتتوافر من ٢٠ باعًا إلى أكثر من ١٢٠ باعًا بحريًا.



دقنة



خلخل خدية (هامور)

وأما أغلب أنواع الأسماك الأخرى تظل موجودة في أوقات الليل والنهار، مثل: سمكة الخُلخُل (الهامور)، ومنها (خدية، غنمة، عيقر، حذر، حبشية، ضَيون، تامة، طيمة)، المتوافرة من عمق ٣٠- ٧٠ باعًا، الخوضر (الجحش) ومنها (معسف، لهو، كُتُّب، بهارة، صبربار)، المتوافرة من عمق ٢٠- ٧٠ باعًا، الدقنة، ومنها (ذرة)، الزرية، ومنها (سليب)، المتوافرة من عمق ٧- ٢٠ باعًا، باليفة، قاص، ناقم، الضيضار، ومنه (مقرقر، وضرير)، زوكي، ويتوافر من عمق ٣- ١٧ باعًا، نفر، ومنه (شطف، باحصاة، هداس، هرية)، شيبح، ويتوافر من ٣- ٢٠ باعًا، كل أنواع النسار، ويتبعه (بامطحنة)، ويتوافر من عمق ٣- ١٧ باعًا، طيمة ويتوافر من عمق ١٧- ٥٠ باعًا، بهارة، مهليل، بنت الحاج، مدية، بابوصي، باتمرة، شكعة، أبوكدريد جمل، كوبل، ويتوافر من عمق ٣- ١٧ باعًا، خطفة، كوانة، ويتوافر من عمق ٧- ٢٠ باعًا، مرجانة، بُشت، ومنه (حيلوس، عروس، أبو ديك، يرعيش)، ويتوافر من عمق ٣- ١٧ باعًا، تلبيس، باعسيمود، ويتوافر من عمق ٧- ٢٠ باعًا، شُقيب، ويتوافر من ١٧- ٧٠ باعًا، صعّمر، ويتوافر من عمق ٣- ١٧ باعًا،

حميرة، ومنها (حصيحصة)، وتتوافر من عمق ١٧ - ٢٠ باعًا، المرّية، يتوافر من ٣- ٧ باعًا، الثمان، ومنه (لمية، تلبة، ثماد)، ويتوافر من ٣- ١٧ باعًا، مشط، ويتوافر من عمق ٧- ١٧ باعًا، بقرة، قِراف، ويتوافر من عمق ٢٠- ٥٠ باعًا، عنوب، ومنها (باروبس، حمش، أم الصعفة، وأكبرها القضابر)، ويتوافر من ٣- ٧ أبواع، الرقشة (حومة)، ومنها (الربح)، ديك، ويتوافر من عمق ٣- ٣٠ باعًا، وطرق اصطيادها متعددة الوسائل.

الفصيلة الرابعة صنون:

الصنف الأول عوائل الأسماك العظمية (ذو اللحم البيني) هي نوعان:

النوع الأول: ويتم اصطيادها بوساطة خيوط المدود والشباك العائمة، وهي الأسماك التي يكون لحمها وعظمها ضاربًا في الاخضرار، مثل: خال الطرناك (جردة)، خال العندق، قناط، عقام، سناكة، ويتوافر من عمق ٢٠- ٥٠ باعًا، طكية، سبسيب من ٧- ١٧ باعًا، شرمطة، قطميم، ويتوافر من ٣- ١٧ باعًا، وجميعها لها عدة طرق في اصطيادها.



قناط / قد

النوع الثاني: وهي الأسماك التي لحمها برتقالي ضارب في الاحمرار، مثل: فرس أبو شراع، خال الفرس، بارهي، ويتوافر من عمق ٢٠- ١٠٠ باع، ويتم اصطيادها بوساطة شباك المدود الخيشومية، والشكات، والسنارة.

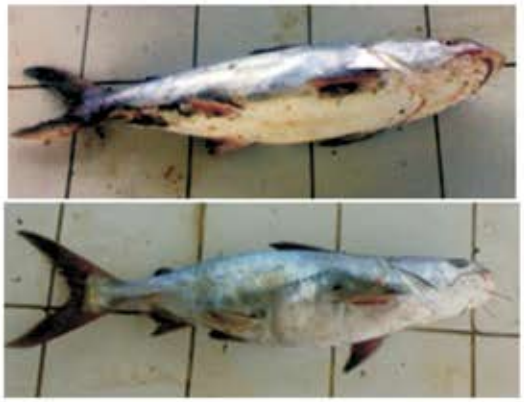


سمكة الفرس

الصنف الثاني عوائل الأسماك العظمية بدون قشور (ملساء)، وهي ثلاثة أنواع:



زرية - صافية　　نساعة



كمل (مغسم)

وهي أسماك عظمية مجردة من القشور جلدها (أملس)، وتوجد ثابتة بين شقوق الصخور.

النوع الأول: رقشه، ربح، ويتم اصطيادها بوساطة شباك الجر القاعية، والسنارة.



رقشة - ربح - عرف - شاقة
من مارينة فندق رمادا بالمكلا الشاب عبدالله حسن باظافر الحامدي يقف وبيده ربح البحر يتجاوز طوله ١٢٥سم

النوع الثاني: نساعة، شقيب، حار، أبو خرقين، الفيل، ويتم اصطيادها بالسنارة، وشباك الجر.



جزل قاضم gazell

النوع الثالث: عوائل أسماك عظمية رابضة، وهي الأسماك العظمية التي ترمد نفسها بالرمل، وجلدتها ملساء، وقشورها دقيقة جدًا، وتوجد في أعماق متوسطة والمواقع القريبة من السواحل الرملية، وهي: الحذاء (مدس، لبديت)، تتوافر من عمق ١ - ٣٠ باعًا، ويتم اصطيادها بوساطة شباك الجر القاعية.



حذاء أعماق حذاء ساحلي

الفصيلة الخامسة أذون:
عوائل الحيتان العظمية:

الحيتان العظمية الولودة، وتنقسم إلى عائلتين، وتتميز العائلة الأولى من العائلة الثانية (بالحوض)، والأنثى منها تلد حوتًا واحدًا، ويرضع بسرعة، ويسبح بجوار أمه التي تضخ له الحليب لتساعده على الرضاعة في الماء، وفي أثناء الولادة تقوم أنثى أخرى ومنهم من يقول الذكر بحراسة الحوت مدة الولادة لحمايته من حوت القرش، وهي ثلاثة أنواع: النوع الأول: بدون حوض وهي حيتان موجودة بين المياه الشاطئية والساحلية، مثل: أنواع الدولفين (حمار البحر)، يديمة، وهي أنواع عدة ومنها الأليفة.



الشاب إبراهيم عمر بامتيرف واثبًا جوار حوت الدولفين (حمار البحر) مرمي على ساحل روكب سنة ٢٠٠٩م، طوله ١٥٠ سم

النوع الثاني: بدون حوض، وهي الحيتان التي توجد بين المياه المتوسطة والأعماق مدة برودة البحر، الواصل من المحيط، مثل حوت بانعجة، الغبر، الرقام، صيون، الحيك، الفيوم، وتُعد من عائلة الدولفين.

العائلة الثانية: وهي الحيتان المميزة بحوض، وتوجد في قعر المحيطات، مثل حوت العنبر، وحوت الحدبور الضخم (سلطان البحر)، وأكبرها وله زعنفة ظهرية متوسطة، وأذنان طويلان، ويبلغ طوله أكثر من ٣٠ مترًا تقريبًا.



حوت سلطان البحر (حدبور)



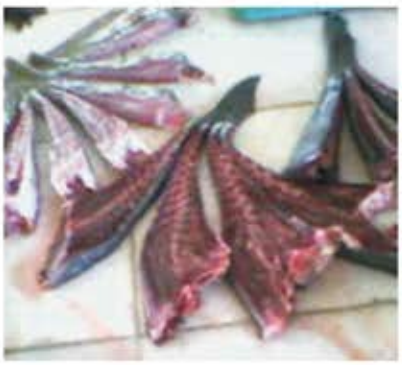
حوت بانعجة

الفصيلة السادسة أذون:

الأسماك الغضروفية، وهي أربعة أصناف:

الصنف الأول: عوائل الحيتان الغضروفية، وهي أنواع عدة:

تتميز الأنثى منها بتخصيب بيضها في بطنها عبر غرفة رحمية (مشيمتان)، ثم تلد، خلال فترات متفاوتة لمواسم معينة، والسمك الغضروفي أكثر من ٣٠ شكلاً، وتظهر قيمة حوت القرش (اللخم) في الزعانف، ولحم بعضها من الآخر، إضافة للمجففة وأنواع القديد منها.



قاطية - مهيت



طيف - بو محابس قديد اللخم

الصنف الأول: نوعان:

النوع الأول: القربعيات (أبوسفن)، وهي الحيتان الغضروفية العائمة، مثل: صعمورة، قاطية، لرقش، يعس، قطف، تُبع، قفين، جيبر، رينق، نياك، طيف، وتتوافر من عمق ٧- ٤٠ باعًا، ويتم اصطيادها بوساطة شباك الجر، وشباك المدود.

النوع الثاني: حوت لخم كهربائي: هو حوت (الفترة)؛ التي تتميز بخلايا وشحنات كهربائية تصل قوتها ١٤٠ فولت وأكثر تغطي جسمها كاملاً.



حوت القرش الكهربائي (فترة)

الصنف الثاني: أربعة أنواع:

النوع الأول: حوت لخم (القرش) المتعدد الأنواع والأشكال المميزة بطول الجسم، ولها خمسة خياشيم، وبعضها ستة وأخرى بدون، وبالقيمة التجارية التي تحظى بها زعانفها وأذناها، وتسوق عالميًا، مثل: شغصة، شرت، قريني، هلكة، سلهوب، حفية، جند، زفي، كلب، حنك، دوغة (نكة) سقبة، عور وير، وأخرى تقل أهميتها مثل: نيمراني، شويط، لفخ، باعديلة، خنيث، وتتوافر من عمق ٧- ١٠٠ باع.

طريقة تجفيف حوت القرش (اللخم)



حوت لخم جند



النوع الثاني: يتميز بقصر رأسه، وله ستة خياشيم، وزعنفة ظهرية واحدة.

النوع الثالث: حوت لخم صاروخي، مثل: قطقطة، قرقور، حيم، وتتوافر من عمق ٧- ٣٠ باعًا، وهذه العائلة يتم اصطيادها بوساطة شباك الجر القاعية، والمدود، والشكات.



النوع الرابع: عوائل الفيلة: الحيتان الغضروفية القاعية الثابتة، مثل: عائلة الفيل، وهي: أبو غرنوف، أبو سنقوف، أبو سلة، وتتوافر من عمق ٣٠- ١٠٠ باع.

77
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م



حوت قرش (لخم) أو سنقوف

عائلة أسماك التونة في بحر العرب



سمكة الزينوب تم اصطيادها من أعماق ٥ أميال بحرية

تتميز عائلة أسماك التونة بالأوعية الدموية التي تضخ الدم من تحت الجلد إلى داخل العضلات والخلايا مما يكسب السمكة مقاومة شدة برودة المياه، ولسمكة الثمد حالة التكيف بحركة التنقل لمسافات بعيدة ما بين المحيطات، وتختلط أسماك الثمد في سيول مع حيتان الدولفين على شكل قطعان، ولا يوجد لسمكة الثمد وحوت الدولفين موسم معين بقدر ما هي متوافرة على مدار السنة، ومواسم للتكاثر، وعادة لسمكة الثمد وحوت الدولفين قائد السرب (المجموعة) يسير عبر قائد استطلاع الماء بالوقوف عرضيًا في الماء أو يرمي نفسه على جانبه سابحًا على الجنب عندما يصل استطلاعه بالقرب من سطح الماء، إلا أن الدولفين يرتقي بانتظام التنفس بوساطة المنخرة، لكن عندما يكون في حالة صيد فرائسه فإنه قد يغطس ويبقى غاطسًا لأكثر من ٥ دقائق.



ثمد باطوطة



ثمد تيلم

والمرحلة الأولى يسمى ثمد (باطوطة)، يبدأ وزنه من ١ – ٣ كيلو غرام تقريبًا، وينمو قليلاً حتى يصل وزنه ٥ – ١٠ كم، ويسمى في روكب والمكلا ثمد (تيلم)، طوله يزيد ٨٠ سم، وفي الشحر يسمى ثمد (يحدر)، وفي الحامي يسمى ثمد (جيدر)، ويستمر في النمو حتى يتجاوز طوله ١٠٠ سم تقريبًا.



سمك ثمد باطوطة وزن ١- ٣ كيلو

ويستمر في النمو حتى يصل طوله ١٢٠ سم، وكل أنواع ثمد صيد الماء توجد في مواقع تتجمع فيها الربيان (القفيعة)، وأسماك التبانة والقربيب وصغار الحبار لتقتات عليها، وهي التي لا يصطحب بالدولفين (سول

الغبر، وهو نوع من أنواع الدلفين)، بعد ذلك يظهر الثمد المكرع، ويسمى ثمد أبو فمعة، وموسم أسماك الثمد في فصل الشتاء وفصل الربيع المعروف بالزعنفة الصفراء المتوافر بكميات كبيرة في بحر العرب من شقرة وحضرموت والمهرة حتى سلطنة عُمان، ويتجه نحو الرف القاري وبخاصة القرن الأفريقي (الصومال) إذا ما تعرضت مجاريه للتقطع، أو الجرف من قبل البواخر في المياه السيادية لقطاع الصيادين التقليديين.



ثمد أبو فمعة

سمكة الثمد (أبو فمعة) المكرع، ويتميز بكبر وضخامة جسمه الأسطواني، وقد أطلق عليه أبو فمعة نظراً لكبر حجم العظم القريب من الذيل، إضافة إلى كبر الزعنفة الاحتياطية المرتبطة بالجزء الخلفي باتجاه الذيل، ويصل إلى النمو وعمره قد تجاوز ٧ سنوات ١٥٠ سم، ومن بعد ٩ سنوات يتجاوز طوله ١٨٠ سم تقريباً.

ولسمكة الثمد نكهة خاصة في ذوقه المتميز ومتانة لحمه، وقيمة اقتصادية عالية، ومنافس في الأسواق المحلية والعالمية، وموسمه في فصل الشتاء والربيع، ويتوفر أحياناً على مدار العام، ولسمك الثمد جولة مستديرة ما بين بحر العرب والقرن الأفريقي والمحيط الهندي ويرافقها دائماً الدولفينات.



ثمد أبو خنجر فترة توافر غذائه

سمكة الثمد أبو خنجر ويتميز بحجمه الكبير، وطول الزعنفتين الظهرية والشرجية تصل أطرافها إلى عند الذيل الشبيهة بالخنجر، ويصل طوله حوالي ٢٥٠ سم، ويبلغ عمره إلى ١٥ سنة تقريباً.

علماً بأن أغلب أنواع أسماك الثمد أبو الزعنفة الصفراء يتم اصطيادها من بعد السنة إلى الست سنوات من مقاس ٣٠ سم إلى ١٨٠ سم، ويفضل نضجه بالفحم عبر التنور، أو كبسة مع الفلافل، أو تجهيزه حنيذاً، ويفضل تناول لحمه مرتين في الأسبوع، وما يحتويه من قيمة غذائية خاصةً للأطفال وكبار السن وللنساء الحوامل، والذين يعانون من الاضطرابات النفسية.



خال الثمد طوله ١٥٠ سم بمعدل مقاس ٣ بلاط الواحدة ٥٠ سم

سمكة خال الثمد أبو الزعنفة الزرقاء، وهذا النوع نادر وجوده في بحر العرب؛ لكونه يفضل العيش في مياه المحيطات الباردة، وقد تم اصطياد هذه السمكة عبر الصياد الماهر صلاح جمعان بن شباء من أبناء روكب الذي أكد بأن هذه السمكة غريبة (منكورة) علينا، وتم اصطياد سمكة أخرى شبيهة لها قبل مدة قريبة من مسافة ٣٥ ميلاً بحرياً في أثناء برودة مياه البحر في فصل الخريف، طولها حوالي ٢٠٠ سم، وجسمها مستطيل على شكل أسطواني، وظهرها أزرق غامق، وباقي جسمها قاتم، وعيناها واسعتان، والزعنفة الصدرية طويلة، والزعنفتان الظهرية والبطنية والشرجية قصيرة ولونها أزرق، والذيل قصيرة وعريضة لونها داكن ضارب للسواد، وله زعانف احتياطية صغيرة لونها أزرق وأطرافها صفراء، ولحمها أحمر ناشف، وعند الطهي يتحول إلى اللون الأبيض،

ويفضل تصنيعه حنيذًا، ونادر وجوده في بحر العرب إلا قليلاً منه يختلط أحيانًا وبالصدفة مع أنواع سول الثمد ذي الزعنفة الصفراء المهاجرة في أثناء موسم برودة مياه البحر في فصل الخريف، وطوله يتجاوز ٣٠٠ سم تقريبًا، ويتم اصطيادها بالسنارة وشباك الجرف، وأن ما يميز سمك التونة في بحر العرب الجودة في الذوق وفي صناعة التونة.



زينوب zainoop



شروي shiriway

سمكة الزينوب طولها لا يزيد عن ١٣٠ سم، وأصغرها يسمى أم المسامع أو سويدة طولها لا يزيد عن ٦٠ سم، لون الظهر أزرق غامق، والجوانب فاتحة، والبطن رصاصية قاتمة، وزعانفها الاحتياطية صفراء، ويتميز الزينوب بطول الزعنفة الصدرية، وجسمها عليه قشور صغيرة، ولها أسنان دقيقة تمتد على الفكين في صف واحد، ولحمها أحمر، ويتم اصطيادها بوساطة شباك المدود والتحليق.

سمكة الشروي طولها لا يزيد عن ١٠٠ سم، وأصغرها يسمى (يحدر)، وفي الشحر يسمى (تيلم)، وفي دول الخليج يسمى (تبان)، طولها لا يزيد عن ٥٠ سم، ظهرها أزرق داكن وعليه أسهم مرصوصة حتى قرب الذيل، وجوانبها وبطنها فضية ملساء عليها بقع دائرية سوداء، وزعانفها الصدرية قصيرة، ولحمها أحمر غامق ضارب للسواد، وعادة ما يتعرض للتلف ولا يتحمل التبريد، وكلها لها زعانف احتياطية صغيرة تمتد من بعد الزعنفة الظهرية والزعنفة الشرجية إلى عند الذيل، وموسمه فصل الشتاء ويفضل نضجه بالفحم عبر التنور، ويتم اصطيادها بالشباك والتحليق.



تبانة أم القلم

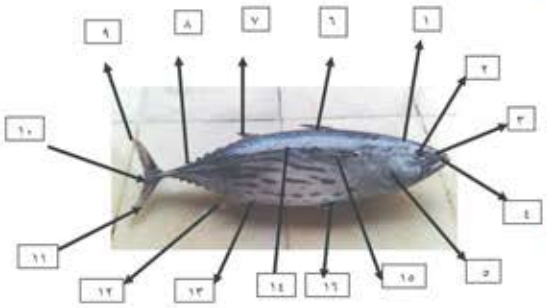


تبانة tabainae

سمكة التبانة طولها لا يزيد عن ٦٠ سم، وأصغرها أم القلم طولها لا يزيد عن ٣٠ سم، ظهرها أزرق داكن مع تقطعات تمتد على الجزء العلوي من الجسم، وجوانبها والبطن فضية ضاربة للرمادي، جسمها أملس مستدير، وزعانفها قصيرة، ولها زعانف احتياطية صغيرة تمتد من بعد الزعنفة الظهرية والزعنفة الشرجية إلى عند الذيل، علماً بأن هذه العائلة توجد على مدار فصول السنة، ويتم اصطيادها بالسنارة.

ومن خلالها أود توضيح محتويات الأسماك العظمية التي تشمل:

١ - الرأس، ٢ - العين، ٣ - الأنف، ٤ - الفم، ٥ - غطاء الخيشوم، ٦ - الزعنفة الظهرية الأولى، ٧ - الزعنفة الظهرية الثانية، ٨ - الزعانف القريبة من الذيل، ٩ - الطرف العلوي من الذيل، ١٠ - زعنفة الذيل ١١ - الطرف الأسفل من الذيل، ١٢ - الزعنفة الشرجية، ١٣ - فتحة الشرج، ١٤ - الخط الجانبي الحسي، ١٥ - الزعنفة الصدرية، ١٦ - الزعنفة البطنية.



سمكة حقيبة hakipa

سمكة الحقيبة طولها لا يزيد عن ١١٠ سم من الأسماك المتوافرة في الأعماق، وموسمها في منتصف فصل الشتاء والربيع كله، وجسمها أملس مستدير ومكبوس، وعليه خطوط طولية، ومن الأعلى داكنة زرقاء، والبطن فضية، ولحمها أحمر ضارب للسواد، وفي تجويف البطن عروق (طفيل) مكيسة شبيهة بالديدان في مرحلة التكيس، وتظل حية حتى تخترق لحمها بعد موتها، ولها زعانف احتياطية صغيرة تمتد من بعد الزعنفة الظهرية والزعنفة الشرجية إلى عند الذيل، ويفضل نضجها بالفحم عبر دهرة التنور، أو غليها بالماء لغرض تجفيفها حنيذًا، ويتم اصطيادها بشبك الحوي، والسنارة.

عائلة أسماك البطابط

غبير، باغة، زمار، جدب، طبوب، ويفضل نضجها بالفحم عبر دهرة التنور، أو تعلب تونة، غير أن هذه العائلة معرضة للتهجير من بحر حضرموت.



غيبر agieber

الغبر طوله لا يزيد عن ٣٥ سم جسمه العلوي أزرق غامق، والجوانب فضية ذات لمعة ذهبية، ويوجد خط يمتد من بداية الظهر، ويرتبط بقشرة متعرجة غليظة متراصة وقوية تنتهي عند الذيل، الجزء الأسفل عليه قليل من القشور الدقيقة، والبطن بيضاء ورقيقة ملساء، ويتم اصطيادها بشبك الغدف، والسنارة.



بوغة مرخ bagha / ariha.



بوغة سهيلي bagha / sahieley

البوغة الصغيرة تسمى (مرخ)، طولها لا يزيد عن ١٥ سم، الجزء العلوي من جسمها أخضر فاتح، والجوانب والبطن بيضاء. البوغة الكبيرة تسمى (سهيلي)، طولها لا يزيد عن ٣٥ سم، وقشرتها ملساء ورقيقة، وعليها قليل من القشور الدقيقة، وظهرها أزرق ضارب للاخضرار وعليه خطوط سهمية، ولحمها له نكهة وذوقه متميز، ولها زعانف احتياطية صغيرة تمتد إلى عند الذيل، ويتم اصطيادها بوساطة شبك الغدف والحوي، ويتوافر من عمق ٢٠- ٤٠ باعًا بحريًا.



زمار zamaira زمار صومالي

سمكة الزمار نوعان: النوع الأول زمار طوله لا يزيد عن ٢٥ سم، وجسمه العلوي أزرق، وأسفله فضي، جسمه عريض مكبوس أسطواني الشكل، وزعانفه شفافة مائلة للاصفرار، وعليه خط رقيق ينتهي بالذيل. النوع الثاني زمار صومالي جسمه مستدير، طوله لا يزيد عن ٣٥ سم، وعليه خط رقيق ينتهي عند الذيل، وزعانفه صفراء، ويتم اصطياده بوساطة شبك الغدف، ويتوافر من عمق ٢٠- ٥٠ باعًا بحريًا.



طبوب taboob /

سمكة الطبوب طوله لا يزيد عن ٢٥ سم، وجسمه أملس، وظهره أزرق داكن، وعليه بقع عدة منتشرة، وخطوط سهمية في كل جسمه الأسطواني، والبطن بيضاء، وله زعانف احتياطية صغيرة تمتد إلى عند الذيل، وموسمه فصلي الربيع ومنتصف الصيف، ويتم اصطياده بوساطة شبك الحوي والغدف، ويتوافر من عمق ٢٠-١٥٠ باعًا بحريًا.



جدب حنصيل gaddob



جدب برحيbarhi



جدب باعضيم ba adhem

سمكة الجدب ثلاثة أنواع، وبداية تكوينه يسمى نفنوف، الأول: يسمى حنصيل (حنصيب)، طوله لا يزيد عن ٥ سم، وأكبره برحي، طوله لا يزيد عن ٨ سم، جسمه العلوي مائل للزرقة الفاتحة، الجوانب فضية، وعليها طهوة صفراء، البطن بيضاء بدون قشور. والنوع الثاني: يسمى باعضيم، طوله لا يزيد عن ١٢ سم، وجسمه العلوي أزرق غامق، الجوانب فضية، وعليه طهوة صفراء، البطن بيضاء وملساء، ويتم اصطياده بوساطة شبك الغدف والسنارة، ويتوافر من عمق ٣-٧ أبواع بحرية. النوع الثالث: يسمى باعيون، طوله لا يزيد عن ٢٠ سم، وجسمه العلوي أزرق غامق، وباقي جسمه فضي، وعليه طهوه ذهبية، وخط رقيق يمتد من عند الخيشوم حتى زعنفة الذيل، الجزء العلوي من الرأس ومقدمة الفم أسود، والبطن بيضاء ملساء، ويفضل نضجه بالفحم عبر دهرة التنور أو مطفيًا، ويتم اصطياده بوساطة شبك الغدف والسنارة، ويتوافر من عمق ٧-١٧ باعًا بحريًا.



جدب باعيون gadob- ba auoona

فوائد عوائل الأسماك العظمية ذوات اللحم الأسود الضارب للاحمرار (التونة والبطابط)، وهي:

الثمد، والزينوب، والحقيبة، والشروي، والبطابط، (التبانة، والباغة، والغبير، والزمار، والجدب) لاحتوائها على كثير من المواد المفيدة، وتتفاوت نسبة الفوائد كل حسب موسمه، ويكثر فيها مادة اليود والبروتين الدهني المركز المساعد على علاج الاضطرابات النفسية، ولكن يتطلب الحذر من الإفراط في أكل المشموس (الحسوس)؛ لأنه يقلل من نسبة الفائدة التي اكتسبها الجسم مما تسبب إلى تلف مخزون المواد المفيدة التي تحتويها أسماك التونة لتتفاعل كلما تعرضت للشمس لساعات عدة لتظهر عليها علامات سائلة في لحمها الداخلي، وجسمها الخارجي، بسبب سوء طريقة حفظها مما تؤدي (تسبب) إلى ضعف السمع وفقدان الذاكرة، وربما حالات من الحساسية المؤذية أو التسمم الخطير، ويفضل نضجها بالفحم عبر التنور، وبعضها صيادية، أو حنيذ، وتعلب تونة، باستثناء سمك الشروي يفضل أكله طازجًا ولا يحتمل التخزين أكثر من ٧٢ ساعة.

82
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

ترجمة مختصرة لشيخ شيوخنا العلامة

الشيخ مُبارك الصَّدَفي الجُوهي

-رحمه الله تعالى-

اسمه ونسبته:

هو: العلامة مُبارك بن سالم بن محمد بن سالم بن علي الصَّدَفي الجوهي.

والصَّدَفي نسبة لقبيلة عَرَيقة تقطن حضرموت، فمن المؤرخين من ينسبهم لكِندة، ومنهم لحِمْيَرَ، ومنهم لحضرموت.

عُرف بالجوهي؛ لأنه لمّا قدم لطلب العلم برباط تريم، سألوه عن بلاده، فقال لهم: ريدة الجُوهيين، وكان بعض الطلاب يدرس من البلدة نفسها، فقالوا له: أنت من جماعة الجوهي، فالتصق اسم الجوهي به.

وُلِد في بلدة رَيْدة الجُوهيين من قُرى حضرموت عام ١٣١٨هـ.

طلبه للعلم وشيوخه وجهوده:



د. زين محمد العيدروس

طلب العلم ابتداءً بتريم العلم، وكان رباط تريم زاخرًا بالعلم والعلماء، فتلقى العلم عند شيخ الرباط العلامة عبدالله بن عمر الشاطري -رحمه الله-، ومَنْ كان موجودًا من الشيوخ بالرباط، وسافر إلى مكّة المُكرّمة للاستزادة من العلم، والأخذ عن شيوخ مكّة المُكرّمة تحقيقًا وتطبيقًا للرِّحلة في طلب العلم النافع، كالنّحلة تترد في البساتين؛ لتخرج لنا عسلاً مُصفّى، فتلقى العلم على يد العلامة علوي بن عباس المالكي، والشيخ عمر محيمدان -رحمهما الله-، وغيرهما ممن كان في عصرهما

بـمكّة، ثم عاد إلى المكلا داعيًا ومعلماً ومرشـدًا ومربـيًا، فاشتغل بـالتدريس في مدارس الفلاح بـالمكلا، وكانت بقرب مُستشفى باشراحيل -المكلا حـاليًا-، ثم انتقـل إمامًا لمسجد بازرعة بالمكلا لسنوات عدَّة، ثم عمِل إمامًا بمسجد بايعشوت بالمكلا، ثم انتقل لإمامة مسجد النّور بالمكلا بـعد وفاة إمام المسـجد الشـيخ عوض بَلَّقـدي -رحمه الله-، واسـتمرَّ في إمامته للمسـجد نحـو ٣٥ عامًا حـتى وفاته -رحمه الله تعالى-، وكان إمامًا ومرشـدًا لطلاب العلم وعامة الناس.

وكان الشـيخ الجوهي آية في الجدِّ والاجتهاد، ونفع الخلق، والقـيام بإحـياء بـيوت الله تعالى بـالصلوات، والدعوة إلى الله تعالى مع شـظف العيش، وقـلة مَتاع الدّنيا، وكان يُوصف بالورع والزهد في الدنيا.

ومن ورع العلامة مبـارك الصدفي الجوهي -رحمه الله- أنه لمّا كان إمامًا بمسجد النور بالمكلا، سافر لبلده لمدة عشرة أيام، وأناب تلميذه الشيخ سـعيد الربـاكي -رحمه الله-، فلمّا جاء من بـلاده واسـتلم إعانته -راتبًا مقابـل إمامته بالمسـجد- من الأوقـاف أخرجَ منها أجرة عشرة أيام، وأعطاها الشيخ الرباكي، فقال له: لا أريدها؛ فقد أنبـتُ عنك الصلاة بالمسجد لما بيني وبينك من الود والاحترام، فقـال العلامة الجوهي: خُذها أو سـأرجعها للأوقـاف؛ لأنني لا أستحقها لغيابي هذه المدة!

وقـد درّس العلامة الجوهي وأفاض على طلابـه ما اسـتفاده من شـيوخه بحـضرموت ومكة المكرمة علومًا كسبيَّة، وعلومًا وهبيّة، ظهرت ثمارها على طلابـه ممّن عرفناهم من أمثال شيخنا العلامة سـعيد بـاوزير، وممّن سـمِعنا عنهم من أمثال الشـيخ سـعيد الربـاكي، وابـنه



الشيخ مُبارك الصَّدَفي الجُوهي
-رحمه اللّه تعالى-

الشيخ أحمد بـن مبـارك الصدفي الجوهي، وقـد درّس في التفسير والحديث والفقه والنحو وغيرها.

ومن أشهر المنتفعين به وتخرّج عليه على سبـيل الذكر لا الحصر: ١) ابنه الشيخ أحمد بن مبـارك الصدفي الجوهي، ٢) الشيخ سعيد بن عبدالله الرّباكي، ٣) وشيخنا الشيخ سعيد بن عمر بن عوض بـن طاهر بـاوزير، ٤) والسـيد محسن السقـاف آل بـن شـيخان، ٥) وشقيقـه محمد، ٦) والسـيد محمد بـن سـعيد مديحج، ٧) والشـيخ عمر بـن حاج بـاقُمري، ٨) والشـيخ سـالم بـن سـعيد بـن دحمان الصيغ، وكان إمام مسجد النور -رحمه الله-، وغيرهم.

وقائع أحوال عن الشيخ مُبارك (رحمه الله):

١) شكوتُ لشيخي الشيخ سـعيد بـاوزير -رحمه الله- حـال السـلفيّة المتطرّفين وأذيتهم، فقـال: كُنّا نعاني من

الاشتراكية، وشكونا الشيخ مبارك الجوهي، فقال: الاشتراكية سَيُولّون، وهم بمثابة زامل أو شبواني يمرُّ في الشارع، فمن الناس من يزمِّل مثلهم، وسيذهبون، وسيأتي بعدهم جماعة، وهكذا وسيُولّون، وصدق الله العظيم في قوله: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

٢) قال أحد الحاضرين للشيخ مبارك الجوهي -رحمه الله-: يا شيخ مبارك با قلّد، فقال الشيخ مبارك: «ومَنْ سيفتح لك؟»، ويقصد السائل تقليد العلماء في مسألة من مسائل الفقه، فأجابه الشيخ على سبيل الطُّرفة: مَنْ سيفتح لك الباب؟ كأن السائل يسأل عن إغلاق باب، وعلى كلٍ فتقليد العلماء أيضًا يحتاج اختيار عالمٍ ورعٍ مُطلعٍ، وليس التقليد لمن هبَّ ودبَّ، وقد صدَق الإمام سفيان الثوري -رحمه الله- إذْ يقول: «إنما العلم عندنا الرُّخص عن الثقة فأمّا التشديد فكُل إنسانٍ يُحسِنُهُ». (رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٦٧).

٣) كان الشيخ سعيد باوزير يحدّثنا عن دراسته عند الشيخ الجوهي -رحمهما الله-، ويقول: كُنّا في درسٍ عند الشيخ مبارك الجوهي، ومعنا كتب نقرأ فيها، فأُحضر طعام، فقال الشيخ مبارك: «إذا حضرت الأذواق لفُّوا الأوراق».

٤) قال شخص للشيخ مبارك الجوهي -رحمه الله-: يا شيخ مُبارك: الصلاة رياضة! فقال الشيخ مبارك مباشرة: «الصلاة رياضة غير مقصودة»، أي: ليس مقصودها اللّعب، وهي رياضة جسديّة وروحيّة.

وفاته:

توفي الشيخ مبارك الجوهي -رحمه الله- يوم الجمعة ٢٨ صفر الخير ١٣٧٤هـ/ الموافق ٢٢ مارس ١٩٧٤م بمدينة الخُبر بالسعودية.

فما مات من ترك أبناء بررة كابنه الشيخ أحمد، وقد طلب العلم برباط تريم، وهو حافظ لكتاب الله تعالى، وله صوت شجي وقراءة متقنة -أطال الله عمره في طاعة الله-، وقد استفدتُ هذه الترجمة منه، وكذا من شيخي الشيخ سعيد باوزير، كما أن تلاميذه لهم فضل في التعليم والإرشاد ونفع الناس، ولا شكَّ أن مَنْ دعا لخير كشيخ شيوخنا الجوهي ينال أجر من علّمهم وأرشدهم وأوصل لهم الخير والعلم والأدب، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من دَعَا إلى هُدى كان له من الأجر مِثلُ أُجُورِ من تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذلك من أُجُورِهِمْ شيئًا وَمَنْ دَعَا إلى ضَلَالَةٍ كان عليه من الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ من تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذلك من آثَامِهِمْ شيئًا». (أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم ٢٦٧٤).

أسأل الله تعالى أن يعلي قدر شيخ شيوخنا الشيخ مبارك الجوهي، وأن يبارك في ذريته، وأن يجزيه وتلامذته شيوخنا خير الجزاء، وأن يجمعنا بهم في مستقر رحمته، مع النبيين والصديقين والشُّهَدَاء والصَّالحين وحَسُن أُولَئك رفيقًا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

85
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

النقوش العربية الجنوبية القديمة المكتوبة على الخشب



رياض باكرموم*

خلال عمل البعثة السوفيتية العلمية المجمعية المشتركة في مواسم التنقيب عن الآثار في حضرموت (١٩٨٣ - ١٩٩١م)، عثرت على نقوش حضرمية مكتوبة على عسيب النخيل، وبلغ إجمالي عدد النقوش المكتشفة (٢٢ نقشًا خشبيًا) خلال مواسم التنقيب في الأعوام (١٩٨٦م، ١٩٨٧م و١٩٨٩م) من موقع ريبون الواقع أسفل وادي دوعن (Frantsouzoff ١٩٩٩: ٥٥)، وهي أول نقوش خشبية يتم العثور عليها في أعمال تنقيب علمية ورسمية، ومن وجهة نظر بيستون (A. F. L. Beeston) فإن اكتشاف النقوش الخشبية يعود لحقبة أبكر؛ حيث تم اكتشاف أعواد خشبية من منطقة السوداء بالجوف شمال اليمن (نشان قديماً) حوالي ١٠٠ كم شمال شرق صنعاء سنة ١٩٧٠م (١٥ :١٩٨٩) منها ٢٥ قطعة وصلت إلى يد عالم الآثار اليمني يوسف عبدالله (عبدالله ١٩٨٦أ: ٢٢)، ووصلت إلى عالم النقوش الأردني محمود الغول -رحمه الله- منها عودان خشبيان؛ الكبير منهما طوله ١٦ سم، وقطره ٢ سم، أما الصغير فطوله ١٣ سم فقط (ريكمانز ١٩٩٤: ١٢- ١٤)، ووصلت إلى قسم الآثار بجامعة صنعاء مجموعة من النقوش الخشبية من خرائب الجوف عددها ١٨ قطعة عام ١٩٨٤م (عبدالله ١٩٨٦أ: ٢٣).

بدأت بعدها النقوش الخشبية تظهر بين أوساط الباحثين، وظهرت بعض الدراسات المختصة في النقوش العربية الجنوبية المكتوبة على الخشب، منها بحث ليوسف عبدالله سنة ١٩٨٦م، ودراسة لبيستون سنة ١٩٨٩م، وجاءت أول دراسة مكتملة لمجموعة نقوش خشبية في عمل مشترك بين كل من جاك ريكمانز، والتر مولر ويوسف عبدالله سنة ١٩٩٤م، ووصلت مجموعة كبيرة من النقوش الخشبية -بطريقة ما- إلى مكتبة بافاريا الألمانية نشر منها (٢٠٥ نقش) الدكتور بيتر شتاين من جامعة بينا الألمانية في كتابه (النقوش العربية الجنوبية القديمة المنقوشة على الخشب من مكتبة ولاية بافاريا في مونيخ)، سنة ٢٠١٠م (هياجنة ٢٠١٣: ١٠٩).



نموذج للنقوش العربية الجنوبية القديمة المنقوشة على الخشب (Bron ٢٠٠٥)

وفي عام ٢٠٠٧م عُثر على مجموعة كبيرة من النقوش الخشبية بالصدفة عند حفر بئر في منطقة مقولة بسنحان جنوب صنعاء (الصلوي ٢٠٠٨: ٦٣)، وفي العام ٢٠١٨م تم العثور عن طريق الصدفة أيضًا في هضبة دوعن بحضرموت على أرشيف حوى (٣٩ عودًا منقوشًا)، كُتب على بعضها أكثر من نقش، ويعد ذلك أكبر مجموعة نقشية خشبية يتم العثور عليها بحضرموت حتى اللحظة، وفي موضع واحد على شكل مجموعة غير متفرقة محفوظة بشكل جيد.

كما وصلت إلينا أيضًا (١٠ أعواد صغيرة) عثر عليها في هضبة دوعن منذ مدة طويلة مطلع تسعينيات القرن الماضي، واليوم أصبحت النقوش العربية الجنوبية القديمة المنقوشة على الخشب مصدر اهتمام الباحثين بعد اكتشاف كمٍّ هائل منها بلغ آلاف النقوش الخشبية من منطقة الجوف فقط (فقعس ٢٠١٩: ٧).

إن ما يميز النقوش الخشبية بالإضافة إلى كونها كتبت على مادة جديدة لم تكن معروفة من قبل وهي الخشب على عكس ما هو معروف من أن النقوش العربية الجنوبية القديمة وصلت إلينا منحوتة على الأحجار والفخار، هو نوع الخط المكتوب به هذا النوع من النقوش الذي أطلق عليه مسمى (خط الزبور)، استشهادًا بقول امرئ القيس بن حُجر الكندي:

لِمن طَلَلٌ أبصرته فشجاني كخط الزبور في عسيب يماني

وقد ذكر الحسن الهمداني وهو عالم يمني عاش في القرن العاشر الميلادي، أن حمير كانت تكتب قبل الإسلام بخطين، هما خط المسند وخط الزبور، وأورد ابن دريد قول شاعر:

وزبر حمير بينها أخبارها بالحميرية في عسيب ذابل

(الصلوي ٢٠٠٨: ٦٠).

وهو -أي خط الزبور- خط مشتق من الخط الرسمي كما يعتقد بعض الباحثين (الصلوي ٢٠٠٨: ٧٦)، يتميز بسهولة كتابته، وتشكيل حرفه، ويكتب بشكل لين وسريع يتناسب مع حركة يد الكاتب على مواد لينة، وتتم كتابة النقوش الخشبية في البداية بقطع عود بحجم مناسب من الشجرة الأم مثل عسيب النخيل، شجرة السدر (العلب)، أو شجر السفرجل (فقعس ٢٠١٩: ٩)، ويتم تشذيبه وإزالة النتوءات والزوائد، ومن ثم الكتابة عليه النقش وهو ما زال رطبًا باستخدام أقلام خاصة تشبه اليراع، يثبت في أحد طرفيه قطعة معدنية، أو قطعة من العاج تتخذ شكل القلم، يبرى أحد طرفيها ليكون سنًا صالحًا للكتابة، وقد عُثر على نماذج من هذه الأقلام، وتعددت أقلام الكتابة وصنعت من الخشب، أو العاج، أو البرونز، أو الحديد (ريكمانز ١٩٩٤: ١٠-١١)، وتبدأ الكتابة بخط أفقي على طول العود، وتتجه الكتابة من اليمين إلى اليسار (عبدالله ١٩٨٦أ: ٢٤)، كما عثرت البعثة السوفيتية في ريبون بحضرموت على أعواد جُهزت للكتابة عليها غير أنه لم يتم الكتابة عليها (كوبيان ١٩٨٩: ٥١)، كما حوت بعض الأعواد على ثقب في أحد طرفيها ربما لربط وثائق عدة وتكوين

أرشيف وربما يفيد في ختم الوثائق بالشمع، وهو تقليد مذكور في النقوش نفسها (عبدالله، غاجدا ١٩٩٩: ١١٦).

دل انتشار هذا النوع من النقوش بالإضافة إلى الأنواع الأخرى من النقوش على انتشار للثقافة بين أوساط الناس، وعلى مستوى رفيع للحضارة (جريازنفتش ١٩٨٦: ٧)، كما هو الحال مع المخربشات التي يكتبها أناس من مختلف الفئات الاجتماعية: موظفون، جامعو ضرائب، حداة الإبل، تجار، صيادون، وغيرهم (لوندين ١٩٨٧ ج٢: ١٠٣)، وقد كان الاعتقاد أن النقوش العربية الجنوبية القديمة المكتوبة على الخشب هي وثائق مؤقته فقط لم يرد كتبتها أن تبقى زمنًا طويلاً تعكس نمط الحياة الاقتصادية اليومية، فبعد الانتهاء منها كانت تُرمى (لوندين ١٩٨٧ ج١: ٨٢)، ومن صياغة بعض النصوص يتضح أنها خطت من قبل كُتّاب مهرة، فالمرسل يشير إلى نفسه بضمير الغائب مما يدل على أنها كتبت من قبل طرف ثالث (عبدالله، غاجدا ١٩٩٩: ١١٦).

شملت النقوش العربية القديمة المنقوشة على الخشب (الزبورية) المنشورة حتى الآن على مواضيع عدة، تتمحور حول المعاملات والمراسلات اليومية الاعتيادية (Bron ٢٠٠٥: ٣٢)، ومنها صكوك مالية، ومعاملات بيع وشراء لمنتجات زراعية مثل القمح، الشعير، العدس، الذرة البيضاء، حبوب السمسم، البلح، الطحين، الملح ونحوها، وحيوانات مثل الجمال، الخراف والماعز ونحوها (عبدالله، غاجدا ١٩٩٩: ١١٧)، أو احتوت على قوائم بأسماء أشخاص أو بطون قبائل (ريكمانز ١٩٩٤: ١٤)، والبعض منها على نصوص هجائية للتدريب على الكتابة (عبدالله، غاجدا ١٩٩٩: ١١٧)، كما تتعلق بعض الوثائق بتصريف المياه والري بين مختلف الأسر، أو تحكي عن شراكة في تربية المواشي (عبدالله، غاجدا ١٩٩٩: ١١٧)، أو شراكة في أرض زراعية، أو إعلان ملكية كما في بعض نقوش منقطة مقولة (فقعس ٢٠١٩: ٧)، وقد تكون مجرد مسودة أولية لنص يراد نقشه كما هو الحال في بعض النقوش الخشبية من ريبون (Frantsouzoff ١٩٩٩: ٦١).

تمتاز النصوص الخشبية بنسق معين، يبدأ باسم المرسل والمستقبل أو العكس (عبدالله ١٩٨٦ب: ١١)، وفي الفترات السبئية المتأخر على نحو (ل + اسم علم + ع م – ن + اسم علم) أي إلى فلان (اسم المرسل إليه) من فلان (اسم المرسل) ولا تحتوي بالضرورة على ألفاظ التحية، وفي بعض الأحيان لا يمكن التمييز بين المراسلات التجارية والعائلية الخاصة (هياجنة ٢٠١٣: ١١٤)، ومن أمثلة هذا النمط النقش ٥ لوحة ٥ب عند ريكمانز وآخرين القائل: إلى ذرح (ذريح) ذي صاحب (صحب) من أخيك عاهل وأنت أضمن (تكفل بالمال المتوجب على) (الفارع) فارعان في ناقته التي (بقيت) مرهونة لدى ظهران سيده وكتب (هذا)، توقيع. (ريكمانز ١٩٩٤: ٢٨).



نقوش خشبية (ريكمانز وآخرون ١٩٩٤)

ومنها نماذج تذكر بطونًا وقبائل كتلك المكتشفة في الجوف اليمنية المحتوية على أسماء بطون وقبائل دون تبيان لسبب تدوينها، كما هو الحال في النقوش الخشبية رقم (٢،٣، اللوحة ٢ أ ٢ ب واللوحة ٣ أ-٣ب) المنشورة عند ريكمانز وآخرين والتي يسبقها عادة ذو النسبية أو ابن نحو: (ذو حفّان، ذو ثور، ابن معدي إيل، ابن أنعت) ونحوها (ريكمانز ١٩٩٤: ٢٠)، وتذكر النقوش الخشبية التي عثر عليها في منطقة ريبون بحضرموت علاقة القرابة، كمثل ما ورد في السطر الأول من النقش الموسوم بـ ٨٧-. رقم ٤ بصيغة فلان (ح م و) فلان أي الحمو، الصهر أو العم (Frantsouzoff ١٩٩٩: ٥٧).

كشفت النقوش الخشبية عن مصطلحات وقواعد لغوية جديدة لم تكن معروفة في النقوش المكتوبة بخط المسند على الصخور النمطية والمكررة وبخاصة النقوش النذورية التي نادرًا ما يرد فيها ضمير الغائب المفرد أو الجمع على عكس النقوش الخشبية التي يرد فيها ضمير المتكلم وصيغ الفعل المضارع والأمر (عبدالله ١٩٨٦ب: ١٠)، ووردت وزن الفعل المضارع المسند إلى ضمير المتكلم والمخاطب على نحو (ف ع ل ت) للمخاطب، و(أ ف ع ل) للمتكلم، و(ف ع ل ت م و) لجمع المخاطبين، و(ف ع ل ت ن) للمؤنث، و(ن ف ع ل) لجمع المتكلمين، (هياجنة ٢٠١٣: ١١٥)، كما أعطت معلومات مهمة عن اللغة والمفردات القديمة، كتلك المكتشفة في حضرموت المحتوية على مجموعة كبيرة من التعابير والمفردات الجديدة (لوندين ١٩٨٧ ج١: ٨٢)، ويعود السبب في ذلك إلى أنها ترصد الحياة الاعتيادية دونما حاجة للرسمية، فتسجل الألفاظ الشعبية، وتحكي أحوال المجتمع اليومية.

العربية	مسند	الزبور
أ	𐩱	𐩱
ب	𐩲	𐩲
ت	𐩳	𐩳
ث	𐩴	𐩴
ج	𐩵	𐩵
ح	𐩶	𐩶
خ	𐩷	𐩷
د	𐩸	𐩸
ذ	𐩹	𐩹
ر	𐩺	𐩺
ز	𐩻	𐩻
س	𐩼	𐩼
ش	𐩽	𐩽
ص	𐩾	𐩾
ض	𐩿	𐩿
ط	𐪀	𐪀
ظ	𐪁	
ع	𐪂	𐪂
غ	𐪃	𐪃
ف	𐪄	𐪄
ق	𐪅	𐪅
ك	𐪆	𐪆
ل	𐪇	𐪇
م	𐪈	𐪈
ن	𐪉	𐪉
ه	𐪊	𐪊
و	𐪋	𐪋
ي	𐪌	𐪌
س٢	𐪍	𐪍

أما تاريخ النقوش العربية الجنوبية القديمة المنقوشة على الخشب فيصعب تحديده؛ وذلك لندرة ذكر تواريخ في النقوش المكتشفة حتى اللحظة، إضافة إلى أنه لم يتم الكشف عن غالب النقوش الخشبية ضمن أعمال أثرية منتظمة يمكن تأريخها من خلال سياقها الأثري سوى

تلك التي من ريبون بحضرموت المكتشفة من قبل البعثة الروسية، والتي أرخت بحسب الراديو كربون (C14) إلى القرن الخامس - الرابع قبل الميلاد (Frantsouzoff ١٩٩٩: ٥٦)، أو بالاعتماد على شكل الخط وتطوره كتصنيف ريكمانز الذي يذهب بناء على ذلك إلى أن أقدم النقوش الخشبية يعود في الأقل إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وأن أحدثها يعود للحقبة السبئية المتأخرة، ومن المعلوم أن أحدث نقش خشبي مؤرخ يعود إلى ٥٢٢م (هياجنة ٢٠١٣: ١١٦)، وبشكل إجمالي يمكن القول إن تاريخ النقوش العربية الجنوبية القديمة المنحوتة على الخشب يمتد من القرن السابع قبل الميلاد وينتهي بالقرن الرابع الميلادي، أي على طول تاريخ حضارة ممالك جنوب الجزيرة العربية القديمة (عبدالله، غاجدا ١٩٩٩: ١١٦).

المصادر والمراجع:

- جرنازنفتش، بطرس ١٩٨٦م: المقدمة، نتائج أعمال البعثة السوفيتية العلمية المجمعية المشتركة في ريبون حضرموت، أكاديمية العلوم الاتحاد السوفيتي والمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، ص٢-٨.

- ريكمانز، جاك. وفالتر، مولر. وعبدالله، يوسف. ١٩٩٤م: نقوش خشبية قديمة من اليمن، منشورات المعهد الشرقي في لوفان ٤٣، جامعة لوفان الكاثوليكية.

- الصلوي، إبراهيم محمد. ٢٠٠٨م: كتابات المسند وكتابات الزبور في اليمن القديم، حولية أبجديات، الإسكندرية، عدد ٣، ص٦١-٧٧.

- فقعس، أحمد علي صالح. ٢٠١٣م: نقوش خشبية بخط الزبور من مجموعة المتحف الوطني بصنعاء - تحقيق ودراسة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، (اليمن).

- ٢٠١٩م: عقد شراكة بين بني بوس وبني جدن في ضوء نقش بخط الزبور من منطقة مقولة، أدوماتو، العدد ٤٠، ص٧-٢٤.

- عبدالله، يوسف. ١٩٨٦أ: خط المسند والنقوش اليمنية القديمة دراسة لكتابة يمنية قديمة منقوشة على الخشب، مجلة اليمن الجديد، عدد ٥، ص١٠-٢٧.

- ١٩٨٦ب: خط المسند والنقوش اليمنية القديمة دراسة لكتابة يمنية قديمة منقوشة على الخشب، مجلة اليمن الجديد، عدد ٦، ص١٠-٢٩.

- عبدالله، يوسف. غاجدا، إيفونا. ١٩٩٩م: الحياة اليومية في اليمن القديم، اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة عز الدين عردوكي، ص١١٥-١١٧.

- لوندين، م. ق. وبتروفسكي. م، ب. ١٩٨٧م ج١: معرفة الكتابة في حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة السوفيتية العلمية المجمعية المشتركة في ريبون حضرموت، أكاديمية العلوم الاتحاد السوفيتي والمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، ص٩٧-١١٠.

- ١٩٨٧م ج٢: نقوش حضرموت الداخل، نتائج أعمال البعثة السوفيتية العلمية المجمعية المشتركة في ريبون حضرموت، أكاديمية العلوم الاتحاد السوفيتي والمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، ص٧١-٨٤.

- كوبيان، أرام وآخرون ١٩٨٩م: الوثائق الحضرمية المكتوبة على سيقان سعف النخيل، نتائج أعمال البعثة السوفيتية العلمية المجمعية المشتركة في ريبون حضرموت، أكاديمية العلوم الاتحاد السوفيتي والمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، ص٤٠-٥١.

- هياجنة، هاني. ٢٠١٣م: عرض كتاب (النقوش العربية الجنوبية القديمة المنقوشة على الخشب من مكتبة ولاية بافاريا في مونخ)، مجلة أدوماتو، عدد ٢٨، ص١٠٩-١١٦.

Beeston, A.F.L. 1989 **Mahmoud Ali Ghul and the Sabaean cursive script, Arabian Studies in Honour of Mahmoud Ghul: Symposium at Yarmouk University, December** 8-11, 1984. **Editor: Moawiyah M. Ibrahim, p** 15-19.

Bron, Francois. 2005 **Language and Writing, Caravans kingdoms Yemen and the ancient incense trade, p:** 26-33.

Frantsouzoff, S.A. 1999 **Hadaramitic documents written on palm-leaf stalks, Seminar for Arabian studies, Vol.**29, p55-65.

(*) أخصائي آثار، مدير عام الهيئة العامة للآثار والمتاحف- المكلا/ حضرموت.
Email: r.bakarmoom@gmail.com

90
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

أثر الاغتراب في الأدب

علي أحمد باكثير نموذجًا



د. عبدالحكيم الزبيدي

الاغتراب في اللغة:

يدور معنى مادة (غَرَب) في اللغة حول (الذهاب والبعد)، ومنه (التغريب في الحدود) بمعنى النفي، والغُرْبَةُ والاغْتِرابُ والتغرُّب: النُّزوحُ عن الوَطَن. ورجل غريبٌ: بعيد عن وَطَنِه؛ الجمع غُرَباء(١).

أسباب الاغتراب:

وللاغتراب أسباب متعددة، وللأدباء والشعراء أحوال مع الاغتراب، فقد يلجأ أحدهم للتغرب عندما يُضام في وطنه، وفي هذا المعنى يقول الشنفرى في لامية العرب(٢):

وفي الأرض مَنْأًى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القِلى مُتَحَوَّلُ

وقد يلجأ الأديب للاغتراب عندما تضيق به سبل العيش في وطنه، فلا يجد فيه ما يسد به رمقه، فيضطر إلى ترك وطنه مع شدة حبه له، وهذا ما حدث للقاضي عبدالوهاب المالكي الذي اضطر إلى ترك بغداد وهو يردد أسباب مغادرته لها(٣):

بغدادُ دارٌ لأهل المال طيبةٌ
وللمفاليس دار الضنكِ والضيقِ
ظللتُ حيران أمشي في أزقتها
كأنني مصحفٌ في بيت زنديقِ

إنه الإحساس بالغربة في الوطن، هو الذي جعله يغادر وطنه. وهي الأسباب ذاتها التي جعلت المتنبي يغادر الكوفة ويتنقل بين الأمصار، وفي ذلك يقول واصفًا أسباب اغترابه(٤):

تغرَّب لا مستعظمًا غير نفسه
ولا قابلًا إلا لخالقه حكما

وهو لا يبالي أن يترك موطن اللذات إذا لم يجد فيه ما يستحقه من تكريم، يقول حين غادر حلب(٥):

وَمَا مَنزِلُ اللّذّاتِ عِندي بِمَنْزِلٍ
إذا لم أَبَجَّلْ عِنْدَهُ وَأُكَرَّمِ
سَجِيّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُليحَةً
منَ الضّيمِ مَرْمِيًّا بها كلّ مَخْرِمِ

المُليحة: المشفقة الخائفة، والمخرم: الطريق في الجبل؛ يقول: هذا الفراق سجية نفسي التي هي أبدًا خائفة من أن تُظلم ويُبخس حقُّها من الإكرام، وأنا أرمي بها كل طريق هاربًا بها من الضيم والذل.

على أن للاغتراب إيجابياته أيضًا، فقد كانت العرب تمدح الاغتراب وتحث عليه؛ لأنه يشحذ القرائح، ويلقح الأفهام عن طريق التواصل مع الثقافات الأخرى، وقد

91
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

كان العرب في الجاهلية يرسلون أطفالهم إلى البادية لينشأوا هناك نشأة صحية بعيدة عن تلوث بيئة المدن، ولتستقيم ألسنتهم على طرائق العرب في اللغة، بعيداً عن لحن المدينة التي لوثها الاختلاط بالأعاجم. ومن الأبيات المشهورة التي تحث على الاغتراب في طلب العلم، قول الشاعر، وينسب للإمام الشافعي(٦):

تغرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِيْ طَلَبِ العُلَى
وسافِرْ ففي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرُّجُ هَمٍّ، واكتِسَابُ مَعِيْشَةٍ
وَعِلْمٌ، وَآدابٌ، وصُحْبَةُ مَاجِدِ

ومن فوائد السفر أيضًا غير طلب العلم واكتساب المعيشة، التجدد، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام(٧):

وطولُ مقامِ المرءِ في الحي مخلقٌ
لديباجتيهِ فاغتربْ تتجددِ
فإني رأيْتُ الشَّمسَ زيدتْ مَحَبَّةً
إلى النَّاس أن ليْسَتْ عليهمْ بِسرْمَدِ

ولعل المقصود بالتجدد هو التواصل مع الثقافات الأخرى والتلاقح معها مما يشحذ الذهن، وينمي المعرفة الإنسانية، ويجعل المرء يعيد النظر في بعض الأفكار التي كان يعدها من المُسَلَّمات لديه، وربما من هذا القبيل ما قيل عن الإمام الشافعي أنه غيرَّ في فتاواه حين استوطن مصر.

ويمضي الشعراء في استنباط الأدلة على أهمية التغرب، فمن ذلك أن الشمس لو لم تغرب لملها الناس، والماء إذا ركد يفسد، يقول الشاعر وينسب للإمام الشافعي(٨):

إني رأيت ركود الماء يفسده
إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطبِ
والتِّبرُ كالتُّرب مُلقى في أماكنه
والعود في أرضه نوع من الحطبِ

وفي البيت الثاني يشير الشاعر إلى مسألة مهمة من طبائع البشر، وهي أن المواهب لا تقدر حق قدرها في مواطنها، فالعود في أرضه نوع من الحطب، وقد قيل في الأمثال:



الأديب علي أحمد باكثير

مغنِّي الحي لا يُطرب، وقيل أيضًا: لا كرامة لنبي في وطنه. ولدينا من سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ما يؤكد هذا المعنى، فلولا الهجرة إلى المدينة لما انتصر الإسلام وانتشر.

والشعراء والأدباء هم من أكثر الفئات التي تتعرض للاغتراب، إما لطلب العلم، أو لكسب الرزق، أو أنفةً من الظلم، كما أسلفنا.

ولم يزل هذا دأبهم في القديم والحديث. ففي العصر الحديث نجد كثيراً من أدباء الشام وشعرائها قد اغترب في مصر، منهم على سبيل المثال لا الحصر: خليل مطران، وإيليا أبو ماضي الذي قال عن مصر(٩):

أحنى على الحرِ من أم على ولدٍ
فالحر في مصرَ كالورقاء في الحرمِ

ومنهم من اغترب أبعد من ذلك إلى الأمريكتين، كإيليا أبو ماضي نفسه، وجبران خليل جبران، وغيرهما.

اغتراب باكثير:

وإذا انتقلنا إلى الأديب علي أحمد باكثير، سنجد أنه اغترب مرتين: المرة الأولى من بلد مولده (إندونيسيا) إلى حضرموت بلد آبائه وأجداده، والاغتراب الثاني كان من موطن آبائه حضرموت إلى مصر عاصمة العروبة وحاضرتها. وعن أثر هذا الاغتراب في أدب باكثير، تدور مداخلتنا هذه.

الاغتراب الأول:

ولد الأديب علي أحمد بـــاكثير عام ١٩١٠م في مدينة (سروابايا)، وهي مدينة تتبع لما كان يُعرف حينها بـجزر الهند الهولندية، وأصبـــح يُعرف بـــعد الاستقـــلال بإندونيسيا. وقـضى بـاكثير عشرة أعوام من عمره في تلك البقاع الخضراء ذات المناخ الاستوائي. ولو قدر له أن يظل هناك طيلة عمره، لما تمكن من علوم العربـية إلى الحد الذي يصبح فيه شـاعراً يمتلك عنان القـريض. ولكن كان من العادات الحميدة للتجار الحضارمة المغتربين في إندونيسيا ومنهم والد الأديب بـــاكثير، أنهم درجوا على إرســـال أبنائهم إلى حضرموت حـين يبـلغون العاشرة من العمر، لينشأوا هناك نشأة عربـية إسـلامية، ويتربـوا على عادات أهلهم وتقاليدهم ومثلهم ومآثرهم. حتى إذا بلغوا مبـلغ الرجال عادوا إلى مغتربهم ليواصلوا رحـلة البحـث عن الرزق. ومن هذا الجيل كان الأديب علي أحمد باكثير الذي سافر به أبوه إلى حضرموت حـين بـلغ العاشرة من عمره، فكان هذا هو الاغتراب الأول في حـياته. وقـد حـوّل هذا الاغتراب مسـار حـياته، فتعلم في حـضرموت العربـية، وتفقه في علوم الدين، ودرس الحديث والفقه، وأكب على أمَّات الكتب التراثية في الشـــعر والأدب والبـــلاغة. وظهرت مواهبه الأدبية مبكراً، فنظم الشعر وهو في الثالثة عشرة من عمره، وحـين توفي والده، رثاه بقـصيدة جزلة قوية الألفاظ، لا يخطر في بال قـارئها اليوم أن ناظمها يافع لم يجاوز الخامسة عشرة من عمره، مطلعها(١٠):

عبثًا تحاول أن تُكفكفَ الأدمعا
وأبوك أمسى راحلًا مستودعا
كيف السلو وما مررتَ بموضعٍ
إلا وساد الحزنُ ذاك الموضعا

ولم يبلغ باكثير العشرين من عمره إلا وقـد أحـاط بـكل كتب الأدب القديم، وكتب التفسير والحديث والسـيرة، وتمكن من علمي النحـو والعروض. يظهر ذلك واضحًا من خلال ثقافته التي انعكست في أعماله الأدبية، وكتابـاته النقدية المبكرة. فقـد كتب اسـتدراكًا على كتاب (الموازنة للآمدي)(١١)، ناقـش فيه كثيرًا من تحامله على أبي تمام ورد عليه، وهو لم يبلغ العشرين من عمره بعد. كما كتب مقـالاً بـعنوان (ملاحـظات سـائح في ديوان ابـــن زيدون)(١٢)، صحح فيه كثيرًا من الأخطاء التي وقـع فيها محققـا ديوان ابـــن زيدون، مما يدل على ســـعة اطلاعه على كتب الأدب وتضلعه منها. كما كتب قـــصيدة عن الإمام الغزالي تدل على أنه اطلع على مؤلفاته واستوعبها(١٣).

ولأن بيئة حضرموت في ذلك الوقـت كانت منعزلة عن رياح التطور الأدبي التي شهدتها مصر والشام، فلا عجب أن يكون إنتاج بـــاكثير الأدبي في تلك المرحـــلة انعكاسًا لتشبـعه من التراث العربي القـديم، فيأتي تقـــليداً له. ولذا رأيناه في شعره الذي نظمه في تلك المرحـلة يترسـم خطى فحول شـعراء الجاهلية، فيقـف على الأطلال، ويكثر من الألفاظ الغريبة، ومن ذلك قوله(١٤):

لمن طللٌ تحاكيه الوشومُ
عفت منه المعالمُ والرُّسومُ
يحاكي مُصحفًا من عهد عادٍ
بخط الحميريِّ له رقومُ
ترحَّلَ عنه أحبابي جميعًا
وخلَّوني تساورني الهُمومُ
وخلَّوني هناك رهينَ سُقمٍ
تُساهرني الكواكبُ والنُّجومُ
ووادٍ مثلَ جوفِ العيرِ صَفرٍ
فريتُ وليلُه ليلٌ بهيمُ
فريتُ هجولَه والليلُ مُرخٍ
دُجاه وقد تجاوبَ فيه بُومُ

إلى آخرها.

وكما جاء شعره غارقًا في التقليد، جاء نثره أيضًا غارقًا في السجع والتكلف، على طريقة النثر في عصور الانحطاط الأدبي التي تشبع منها باكثير. وخير نموذج لنثره في تلك المرحلة، التقريظ الذي كتبه لكتاب ألفه أستاذه محمد بن عوض بافضل في مناقب قبيلته، وطلب من باكثير أن يقدمه بتقريظ، فكتب يقول(١٥):

«الحمد لله الذي أورد من شاء مناهل العلوم، وأتحف من أراد بثاقبات الفهوم. أحمده على نعمه، وأشكره على قسمه. وأصلي وأسلم على النبي المعظم، والرسول المكرم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد، فقد اطلعت على كتاب (صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل) للعالم العلامة، الحَبر الفهّامة، العلمِ الشهير، والبحرِ الغزير، المحققِ المدقق، والغيثِ المغدق، فريدِ عصره، ووحيدِ دهره، سحبانَ(١٦) بلاغة وخطابة، وابنِ مُقلة(١٧) خطًا وكتابة، جامعِ أشتات الفضل، الشيخِ محمدِ بن عوض بافضل، لا زال رافلاً في حلل السلامة والعافية. فسرّحتُ النظر في أزهار رياضه، وأجلتُ الطرف في أشجار غياضه، وتنزهتُ في حدائقه البهيّة، وتفكهتُ بفواكهه الجنيّة، فوجدته يقطر بلاغة، ويندى صياغة، يُدّخر لنفاسته، ويُشرب لسلاسته:

تزينَ معانيه ألفاظَه وألفاظُه زائناتُ المعاني

كتاب يُزري بعقد الثُّريّا، ويخجل زهرَ الروضِ الباسمَ المُحيّا، كتاب أغلى من السَّلامة من المصائب، وأحلى من رسائل القاضي الفاضل(١٨) والصاحب(١٩). كتاب كسته بهجة الحسن رونقًا هو السِّحر، لا بل جلَّ قدرًا عن السِّحر. كتاب يهزأ بالعقود اللؤلؤية(٢٠)، ويفوق على الصِّحاح الجوهرية(٢١). هو السِّحر الحلال، أو الماء الزلال. حريٌّ أن يُكتب بدموع الحور، على صفحات ربّات الخدور. كتاب يُزري بلآلئ البحور، ودراريِّ النُّحور. فهو مُفيد علوم، ومُبيد هموم. لا عيب فيه ولا شين، إلا أنه محتاج إلى ما يقيه من العين:

شخص الأنامُ إلى صنيعك فاستعذْ
من شرِّ أعينِهم بعيبٍ واحدِ

فجعلتُ هذا التقريظ له من العين وقاية، ومن شرِّ الحسَّاد حماية:

جعلتُ تقريظي له عُوذةً تقيه من شرِّ أذى العينِ».

الاغتراب الثاني:

غادر باكثير حضرموت، وهو في العشرين من عمره، بعد أن فُجع بوفاة زوجته وهي في غضارة الشباب ونضارة الصبا، بالإضافة إلى ما لقيه من أذى نتيجة لدعوته الإصلاحية في ذلك المجتمع الذي كان غارقًا في البدع الدينية، والتخلف الحضاري، والفوضى القبلية. فغادر حضرموت هائماً على وجهه. فقصد مدينة (عدن) وأقام فيها برهة في ضيافة الشاعر المعروف محمد علي لقمان. ثم غادرها إلى الحجاز حيث أقام فيها قرابة عام ونصف متنقلاً بين مكة والمدينة والطائف. وفي الحجاز اطلع لأول مرة على مسرحيات شوقي الشعرية، وكان على اطلاع على شعر شوقي وحافظ وهو في حضرموت، ولكن لم يتح له الاطلاع على مسرحيات شوقي الشعرية إلا في أثناء إقامته بالحجاز، فانبهر بها، وكتب على منوالها مسرحيته الشعرية الأولى (همام أو في بلاد الأحقاف). وكان هذا أول ثمار الاغتراب الثاني في فكر باكثير؛ إذ تغير مفهومه للشعر من أنه تعبير ذاتي عن مشاعر الشاعر نفسه وأفكاره، إلى مفهوم أوسع، حيث يمكن أن يعبر الشعر عن مشاعر أشخاص آخرين غير الشاعر وأفكارهم، فيكون حواراً فيما بينهم. ومن الغريب - كما يقول باكثير نفسه - أنه استطاع تقليد مسرح شوقي الشعري منذ أول لقاء به. وقد كانت نفسه تجيش في تلك الآونة بمشكلة

وطنه (حضرموت)، ومأساة فقد زوجته، فجعل ذلك موضوعًا لمسرحيته الشعرية الأولى. وقد جاءت هذه المسرحية ضعيفة البناء فنيًا، ولكن كان فيها شعر جزل، كما يقول باكثير نفسه(٢٢).

ثم قدم باكثير إلى مصر عام ١٩٣٤م، والتحق بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا)، ودرس الأدب الإنجليزي، وهنا حدث الأثر الأكبر في مفهوم الشعر عنده. فقد ذكر باكثير أنه حين اطلع على الشعر الإنجليزي، وشعر شكسبير خاصة أصابته هزَّة، وتغيرت نظرته للشعر، حتى إنه توقف برهة عن نظم الشعر، ثم عاد إلى كتابته بروحٍ جديدة وفهم جديد(٢٣). وكان ثمرة هذا اللقاء بالأدب الإنجليزي أن كتب باكثير ما أصبح يُعرف اليوم بالشعر الحُر، وأسماه هو (الشعر المرسل المنطلق)، فكان بذلك رائد هذا النمط من النظم في اللغة العربية. وكانت أول تجربة له في كتابته وهو ما يزال طالبًا في الجامعة، حيث ترجم مسرحية (روميو وجولييت) لشكسبير، التي كانت مقررة عليهم في منهج تلك السنة الدراسية، ترجمها بالشعر الحر تحديًا لأستاذه الإنجليزي الذي قال في قاعة الدرس إن الإنجليز انفردوا بكتابة الشعر المرسل (الحُر كما نسميه اليوم)، وإن الفرنسيين حاولوا تقليدهم ففشلوا، ومن المؤكد أنه لا وجود له في لغتكم العربية. فانبرى باكثير ليؤكد لأستاذه أنه ليس هناك ما يمنع من وجوده في العربية؛ لأنها لغة طيعة تتسع لكل أنواع التعبير الأدبي، فسخر منه الأستاذ. فأحس باكثير أن عليه أن يرد عليه بالفعل لا القول. وكان باكثير يفكر من قبل في هذا الأمر، ولكن هذا التحدي من أستاذه جعله يعجل بالتجربة(٢٤). وكانت ترجمته تلك في سنة ١٩٣٦م، وبعدها بعام كتب مسرحيته الأولى بالشعر الحر وهي (أخناتون ونفرتيتي) ونشرها عام ١٩٤٠م، وقد استفاد من تجربته الأولى في ترجمة (روميو وجولييت)، وذلك بأن صاغ مسرحيته كلها على تفعيلات بحر (المتدارك)، الذي رآه أصلح البحور لهذا الضرب من الشعر، بعد أن كان قد استخدم تفعيلات بحور متعددة في (روميو وجولييت)، ولكنها كلها من ذوات التفعيلة المتكررة، وهي التي أسمتها نازك الملائكة بعد ذلك بالبحور الصافية.

وهذا مقطع من مسرحية (أخناتون ونفرتيتي) للتعرف على تجربة باكثير الرائدة:

المنظر الثاني، من حوار بين أخناتون وأمه الملكة (تي) بعد وفاة زوجته (تادو)(٢٥):

الأمير: تادو! لن أنساكِ يا تادو!
لن أسلو حبك يا تادو!
لن أعشق غيرك يا تادو!
لن أفرح بعدك يا تادو - لن أعيش.

تي: لا بل سيطول بقاؤك يا أمنوفيس
وستختار جوهرة أخرى لا تنقص عن تادو.

الأمير: لا توجد في الأرض جوهرة مثل تادو
وأحسبها غير موجودة في السماء.
طالما كانت تستيقظ في الأسحار فتكتم أنفاسها
وتقبّل ما بين عيني في رفق حتى لا توقظني.
وأسارقها الطرف حينًا فحينًا فألمحُ في
شفتيها ارتعاش الصبي قد اختلس الحلوى
من مخدع جدته الشمطاء وفي عينيها
اغتباط الطفل تملأ من ثدي أمها!
ثم يغزو التثاؤب فاها الجميل،
ويلوذ النعاس بأهدابها فتميل إلى
جنبي وتعود إلى نومها في طمأنينة وغرارة.

تي: ويح لك يا ولداه!

الأمير: ما أنس من الأشياء فلن أنسى
ما كنا نخرج في أنفاس الصباح الجديد
إلى الروض المطلول فننساب بين الغصون
نبلل أوجهنا بالطل النضيد

ونسير على العشب المنضور
ونعدو هنا وهناك على المَرج المسحور
ونجمع شتى الأزاهير ننظمها مثل الإكليل
ونجري وراء الفراش الجميل
نطارده من غصن لغصن فأمسكه فتشير
علي بإطلاقه من جديد فأطلقه فيطير
فترنو إليه وفي فمها بسمة بيضاء
كما يبسم الأريحي الكريم ارتاح لفك أسير!
تي: ما أرق فؤادك يا ولداه!

إلا أن بـــاكثير لم يواصل تجربـــته الرائدة تلك -مع الأسف- نظرًا للفتور الذي قوبـلت بـه. وانصرف إلى كتابـة المسرحـية النثرية والرواية. وهكذا لم يقـــدر لهذا الضرب من الشعر أن يشتهر وينتشر إلا بعد عشر سنوات من تجربـة بـاكثير الرائدة، أي عام ١٩٤٦م وذلك على يد بدر شـاكر السـياب ونازك الملائكة، وأن تنطلق التجربـة هذه المرة من العراق، لا من مصر.

وظل باكثير يكتب قصائده على النمط العمودي، إلا أن شعره كان قد تطور فأصبحت ألفاظه مأنوسـة، وتعابـيره أكثر ألفة. وكان ينشر قـصائده في مجلة (الرسـالة)، ومجلة (أبولو). ومن أمثلة قصائده تلك هذه القصيدة(٢٦):

أمس

يا حبيبـي بـرد العقـدُ ولم ... يبـرد على الرشـف صداي
وانقـضى أو أوشـك الليل ... ولمَّا أقـضِ من فيك مُناي
أه ما أحـــلاكَ في قلبـــي ... وعيني وذراعي ولســـاني
ليتني أفنى بـــــعينيك ... فأحـــيا في نعيمٍ غيرِ فانِ
لو عبـرنا الدّهر ضمًا واعتناقًا ... لا أرى يُشـــفى غليلي
يا حياتي ساعةٌ تعدل منك ... الدّهرَ ليســت بالقـــليلِ
أنـــتَ دنيـــاي ودينـــي ... ومعـــادي وهـــداي
ليت شعري عنك يا روحـي ... أنفسـي أنت أم أنت سـواي؟
يا حـــياة الروح هل صاغكَ ... ربـــي من فؤادي وهواه
أم بـراني الجسـدَ الهامدَ مَن ... أودع لي فيكَ الحـــياه؟
ذاك أو هـــذا فـــإنّا ... مهجةٌ في جســـدين
فإذا نحـــنُ اعتنقـــنا ... فمُصـلٌ ضـمَّ لله اليديـن

واليوم

وانطوى العهدُ وأفردتُ لأشقى ... عائشـــا في نصفِ روحِ
ليته نصفٌ ســـــليمٌ ... غير ممنيٍّ بأشـتاتِ الجروحِ
فلأمتْ بـعدكَ كي ألقـاك ... أو فلأحـيَ بـالذكرى لحـينْ
وعزائي في يقـــــين ... أنني ألقـاكَ في دار اليقـينْ

نجد هذه القـصيدة تتدفق حـيوية، وتنطق بـالصدق والمعاناة، مع سلاسـة في الألفاظ، وجمال في الأسـلوب، دون تقعر أو تكلف.

ولنوازن قطعته النثرية تلك في التقريظ بما فيها من سجع متكلف، وصور مصنوعة، بهذه القـطعة من رواية (وا إسلاماه) التي يصف فيها زواج (قطز) و(جلنار)(٢٧):

«وانتصـف الليـل، وانفضـت جمـوع المدعويـن والمدعوات، وسـكتت أصوات الغناء، وألحان المزاهر والعيدان، وخفتت الطبول، وسكنت حركات الرقـص، وتناعسـت عيون المصابـيح، وأخذ الخدم يرفعون الموائد ويطوون الأخونة، وآوت الجواري إلى مخادعهن بـين الفرح والحسرة، وأرخيت السـتائر على الجناح الميمون، وخلا الحبيبان السعيدان.

فطاب اللقـاء وسـاد الصفاء، وسـالت دموع الفرح، وتحدث القـلب إلى القـلب ولذت الشـكوى، ورقـت النجوى، وتذوكرت ذنوب الزمان ثـم غُفـرت لـه دفعـة واحدة. ومرت اللحظات، كأنها حبـات عقـد من اللؤلؤ النضيد وهى سـلكه فانتثر، وقـرت بـنعيم الوصل عيون طالما أسهدها البـين الطويل، فما كانت تنطبـق إلا على لوم نافذ، ومضجع قلق، فمشى إليها النعاس مترفقًا يستعتبها فأعتبته، وضمته في شوق بين أهدابها الساجية. فرقد اثنان الحب ثالثهما تحوطهما بسمات الله ورضوانه. وتحقـق حـلم في الأرض، وأجيبت دعوة في السماء انطلقت من فم رجل صالح. واطمأنت روحـا امرأتين غرقـتا في نهر السـند، وكانتا كثيرًا ما تنظران إليهما صغيرين يلعبـان في حديقـة

القصر الملكي بغزنة فتتمنيان أن تريا مثل هذا اليوم.

حتى تنفس الصبح وبرد السوار، فهب العروسان مذعورين يخشيان أن يكون ما كانا فيه رؤيا في المنام، والتمس أحدهما الآخر في نور الغبش، فإذا هما متعانقان».

هذا هو الأدب الذي تعشقه النفوس وترتاح إليه الأسماع، وهو صادر عن عاطفة صادقة، ذلك أن باكثير، وإن كان يصف هنا عرس قطز وجلنار، فإنه كان في الحقيقة يصف عرسه هو بمحبوبته التي اغتصبتها يد المنون وهي في ميعة الصبا وريعان الشباب، قبل أن تجف رياحين عرسهما. فجاء وصفه يقطر صدقًا ويندى عاطفة.

خاتمة:

وهكذا رأينا كيف أثر الاغتراب في أدب علي أحمد باكثير، فبعد أن كان يعد نفسه ليصبح شاعرًا كبيرًا مثل شوقي وحافظ، إذا به بعد قدومه إلى مصر، واطلاعه على الأدب الإنجليزي، وبخاصة أدبِ شكسبير، يسلك طريقًا آخر، فيتجه أولاً إلى كتابة الشعر الحر، ثم يبدأ في كتابة المسرحية والرواية، حتى ينصرف إليهما انصرافًا كاملاً، فيترك لنا ٦ روايات، و٦ مسرحيات شعرية، وأكثر من ٦٠ مسرحية نثرية، ويبقى الشعر على الهامش من اهتماماته الإبداعية فيلقى وجه الله قبل أن ينشر أعماله الشعرية الكاملة في ديوان.

الهوامش:

١) ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ت، ج١، ص٦٣٩.

٢) المصري، عطاء الله بن أحمد: نهاية الأرب في شرح لامية العرب، دراسة وتحقيق: د. عبدالله محمد عيسى الغزالي، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثانية عشرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٤٠.

٣) ابن خلكان: أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م، ج٣، ص٢٢١.

٤) البرقوقي، عبدالرحمن: شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٠م، ج٤، ص٢٣٣.

٥) المرجع السابق، ج٤، ص٢٦٣.

٦) الطباع، عمر فاروق: ديوان الإمام الشافعي، دار الأرقم، بيروت، د. ت، ص٦٠.

٧) التبريزي، الخطيب: شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص٢٤٦.

٨) الطباع، عمر فاروق: ديوان الإمام الشافعي، مرجع سابق، ص٣٩.

٩) أبو ماضي، إيليا: لكن مصرًا، مجلة (الزهور)، الجزء الخامس، السنة الرابعة، يوليو (تموز) ١٩١٣م، ص٢٥٧.

١٠) باكثير، علي أحمد: ديوان أزهار الربى في شعر الصبا، تحقيق وتقديم: محمد أبوبكر حميد، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٥١.

١١) نشره في مجلة (التهذيب) التي كان يصدرها مع نخبة من أدباء سيئون بين عامي ١٣٤٩هـ و١٣٥٠هـ.

١٢) كتبه في أثناء إقامته بعدن، ونشرته مجلة (المعرفة) المصرية في عدد ديسمبر ١٩٣٢م.

١٣) باكثير، علي أحمد: ديوان أزهار الربى في شعر الصبا، مرجع سابق، ص٢٢٩- ٢٣٢.

١٤) المرجع السابق، ص١٤١- ١٤٢.

١٥) بافضل، محمد بن عوض: صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل، د. ن، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٦) خطيب مخضرم من وائل يضرب به المثل في البلاغة (ت ٥٤هـ).

١٧) أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الشيرازي (ت ٣٢٨هـ)، من أشهر خطاطي العصر العباسي.

١٨) عبدالرحيم بن علي بن محمد اللخمي (ت ٥٩٦هـ) أحد الأئمة الكتّاب، ووزير السلطان صلاح الدين الأيوبي.

١٩) أبو القاسم إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥هـ) أحد أعيان العصر البويهي، كان من نوادر الوزراء الذين غلب عليهم العلم والأدب.

٢٠) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تأليف: علي بن الحسن الخزرجي (مؤرخ، بحاثة، من أهل زبيد في اليمن، ت ٨١٢هـ).

٢١) تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ).

٢٢) حميد، محمد أبوبكر: أحاديث علي أحمد باكثير، دار المعراج، الرياض، ١٩٩٧م، ص١٩٠.

٢٣) المرجع السابق، ص١٩٢.

٢٤) المرجع السابق، ص١٩٣.

٢٥) باكثير، علي أحمد: أخناتون ونفرتيتي، مسرحية شعرية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧م، ص٤٤- ٤٦.

٢٦) نشرت في مجلة (أبولو)، العدد (٤)، المجلد (٣)، ديسمبر ١٩٣٤م.

٢٧) باكثير، علي أحمد: وا إسلاماه، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت، ص٢٠٦- ٢٠٧.

97
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

صدق معيار الخطى القصار في شعر المحضار



د. هادون العطاس

توطئة:

سأتناول هنا ما صاغته يدا البروفيسور عبدالعزيز الصيغ حفظه الله- في موضوعه الذي توسد الصفحات الأولى من الكتاب (المحضار الصوت والصدى) الذي صدر بمناسبة الذكرى العشرين لوفاة الشاعر حسين أبوبكر المحضار -رحمه الله- تحت عنوان (الخطى القصار في شعر المحضار) وقد عرفت البروفيسور شخصية مهتمة ومتذوقة لشعر المحضار. وإن كنت هنا أبرز اختلافنا في قراءة شعر المحضار وفهمه. وقطعًا لا أجزم بصحة فهم أي منا، فالأمر لا ينعدم من تباين الآراء. وقد يكون مرد ذلك تأثير التخصص فهو يقرأ بتأثير من الزاوية اللغوية، بينما أقرأ هنا بتأثير من الزاوية النفسية. ومن هذا المنطلق وددت توضيح ماذا أقصد بصدق المعيار: ففي علم القياس والتقويم في المجال النفسي والتربوي يهتم بأن تتصف أي أداة قياس بخاصيتين حتى نثق بقياسها. وهاتان الخاصيتان هما الصدق والثبات. ولتوضيح هذين المفهومين بأوْجَز عبارة ممكنة حتى لا نضيع في متاهات التعريفات، فالثبات يُعرف بدقة القياس، أي إن الأداة دقيقة في قياسها، فمثلاً لو أتيت بجهاز، وقلت لك: هذا الجهاز يقيس الارتفاعات، وأردنا تجريبه فقسنا عمارة ما، فإذا قسنا هذه العمارة مثلاً ثلاث مرات وطلع الرقم نفسه لقلنا حينها إن هذه الأداة تتمتع بخاصية الثبات. أما خاصية الصدق فتعرف بأن الأداة تقيس ما خُصِّصَت لقياسه، أي لما أقول: هذا جهاز يقيس الأطوال، فإذا كان فعلاً يقيس الأطوال لقلنا إن هذا الجهاز يتمتع بخاصية الصدق؛ وعليه لما أقول هذا يقيس السكر في الدم، هذا يقيس الضغط، هذا يقيس الذكاء، هذا يقيس طول الموجات وهكذا فإذا قاست هذه الأجهزة ما أعدت لقياسه لقلنا عنها إنها أدوات قياس تتمتع بخاصية الصدق. ومن هذا المنطلق اخترت عنوان موضوعي هذا، وهنا أتساءل هل قاس البروفيسور الصيغ شعرَ المحضار أو قاس قراءتَه وفهمَه لشعر المحضار؟ ولن أحكم هنا، وسأترك حكمي حتى نهاية هذا الموضوع.



من عنوان الموضوع يبرز لنا تقدير البروفيسور الصيغ لمكانة الشاعر المحضار، بل قد قال ذلك صراحة في مطلع موضوعه. ووجود خطى قصار في شعر المحضار لا يعيب المحضار ولا ينتقص من شاعريته فهو في الأخير بشر. فسعة خطاه الكثيرة، بفضل الله سبحانه وتعالى، قد أكسبته ما أكسبته من مكانة في قلوب الناس وفي مجالس الأدب والفنون تكفيه وتغنيه. وقد قالت العرب سابقًا: كفى المرء نبلاً أن تُعد معايبه، فالقول بالخطى القصار هذا اعتراف ضمني بوجود خطى واسعة في شعره.

وسأتتبع البروفيسور فيما كتب بترتيبه نفسه قدر الإمكان:

من المقدمة:

ذكر أنه أحصى خمسة نصوص في ديوان (دموع العشاق)، وذكر منها (سل فؤادي)، وهنا غاب عن باله أمران: أولهما: أن هناك طبعات مزوَّرة، وأقصد بمزوَّرة هنا أنها طبعت بغير إذن وترخيص من قبل الشاعر ولم يشرف عليها أحد، وربما كان كنوع من الترويج لهذا النسخ أضيفت نصوص، فمنها ما كان للمحضار ومنها ما كان ليس له. وثانيًا: ذكره أغنية (سل فؤادي) وأنها ليست للمحضار وإنما هي للشاعر سعيد يمين، وهنا يحتمل أنه قصد بهذا العنوان القصيدة التي مطلعها المحبة بدون إخلاص سبة وتهمة، فإن قصد هذه القصيدة فقد جافى البروفيسور الحقيقة، فهذه القصيدة هي للمحضار ولا شك في ذلك، وقد ذكرت هذه القصيدة في هذا الديوان في الصفحة رقم (٩٨)، ولكن هناك احتمال آخر قد يبرر للبروفيسور قول ذلك ولكن لا يعفيه من المسؤولية وهي أن هناك طبعة كتبت فيها قصيدة سعيد يمين مرتين، مرة تحت عنوان (سل فؤادي) في الصفحة رقم (١٤٢)، وأخرى تحت عنوان (لان القلب القسي) في الصفحة رقم (١٥٤) وهي القصيدة نفسها، ولكن كما وضحت طبعت تحت عنوانين مختلفين، وهذا كما قلت لا يعفي البروفيسور من المسؤولية، وهي قد تكون مؤشرًا على قصر خطى التقصي عند البروفيسور؛ حيث لم يكلف نفسه بقراءة النصين ليكتشف ذلك، ولربما اعتمد على أحد يثق فيه فنقل إليه ما نقل.



أ.د. عبدالعزيز الصيغ

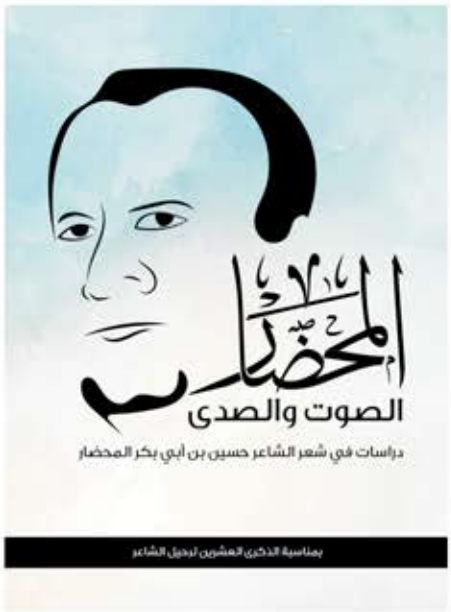
ولا أعرف ما سبب إيراد تلك الفقرة الخاصة بالقصائد المنسوبة للمحضار، ولو حللت الأمر لظهر عندي أن هذه الفقرة توطئة للفقرة التي تليها وبخاصة أنه أراد أن يبرز لنا صورة عن المحضار وغيرته، وبخاصة أنه جعل آخر من ذكرهم ممن نسبت قصيدته للمحضار هو الشاعر عبدالقادر الكاف، الذي أصلاً جعل منه المنافس الأول للمحضار.

99
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

أما قوله و«المحضار لم يقف على نشر شعره وإنما تولى نشره آخرون»، فهذا حري أن يثير فيه رغبة التأكد حول ما تم نشره هل نقل ما نقل بصورة صحيحة أو هناك تحوير وأخطاء، لا أن ينبه لذلك ثم يتغافل عما نبه إليه، وبخاصة أنه في بيئة الشاعر وقريب منها، أي يمكنه الاستفسار والسؤال للتأكد، فلو كان في مكان قصي لعذرناه.

من الشعر حلبة تنافس:

لا أحد ينكر أن التنافس وحب الظهور، وهذا أمر دقيق في علم النفس، فهناك حب الظهور، وهناك الحاجة لتحقيق الذات، وهناك الحاجة للاحترام والتقدير، فإذا كان يقصد البروفيسور هنا حب الظهور والاستعراض، فهذا بعيد كل البعد عن شخصية المحضار فكل من عرفه يعرف أنه يُسْحَب بقوة إلى الأضواء، وأنه يتهرب من التجمعات والمقابلات والاحتفالات إلا مع من يرتاح إليهم كأحبته وأهله وأصدقائه، ولا يعني ذلك أن المحضار ليس شخصية اجتماعية (وأقصد به هنا شخصية انبساطية منفتحة)، ولكن ضمن إطار الشخص الواثق من تحقيقه لذاته والحائز على الاحترام والتقدير، ولا أحبذ هنا ذكر أسماء بعض الشخصيات الكبيرة والنافذة، اليمنية وغير اليمنية، التي لو قدر على التخلص من التواصل معهم لفعل، وربما يفسر من قبل هذه الشخصيات أنه نوع من التكبر في شخصية المحضار، بينما في حقيقته هو تهرب من الظهور. ولهذا فكل ما ذكره في فقرتي (الشعر حلبة تنافس، والمحضار واسع الخطى) يظل في خانة الآراء وإن كانت صياغات البروفيسور الصيغ توحي أحيانًا بجزمه في الأمر، وكأنها حقائق ثابتة وبخاصة عندما يتحدث عن تأثر المحضار بمطالع قصائد غيره. وما لم يثبت لنا ذلك فستظل، مهما كانت الصياغات التي استخدمها، في خانة الآراء وستحترم الآراء وإن كنا غير متفقين معها، ولست هنا في وارد الرد على ذلك الآن.



من الخطى القصار في القافية:

كما ذكر البروفيسور وقد أشرت سابقًا أيضًا إلى أن المحضار لم يرع طباعة دواوينه، وتم أيضًا التحريف من خلال النقل، وسأعطي مثالاً إضافيًا على ذلك في قصيدة (يا وارد البحر الذي فيه الدرر توجد)، هناك شطر من هذه القصيدة اشتهر بهذا الشكل حاشا تكيلوني إلى سعدون أو مسعد ما منهم إنقاذ، ولربما لو اطلع البروفيسور عليها لضمها ضمن الخطى القصار، ولكن ماذا لو عرف أن هذا ليس ما قاله المحضار، فما قاله المحضار هو حاشا تكيلوني إلى سعدون أو مسعد ما منهم إسعاد. ولكن وبشكل عام وفي هذا الشأن أحب أن أسال البروفيسور هل أخل المحضار بالقافية، أو أخل بالإلزام الذي ألزم نفسه وسمي (لزوميات ما لا يلزم)، ففي نظري إذا أخل المحضار بالقافية فهذا فعلاً خطى قصار من المحضار، أما إذا أخل بما ألزم به نفسه فهو عادي الخطى في هذا مقابل أن يكون المعنى والرمز في البيت واسع الخطى. ولكن هنا أحب أن أتناول بشكل خاص البيت الذي تناوله من حيث القافية ومن حيث المعنى على لسان الشاعر القدير ثابت السعدي، وأنا شخصيًا من

الناس المعجبين كثيراً بشعره وبخاصة تعمقه في المعاني وتناوله الموضوع برؤية أعمق، هذا البيت هو:

بغت خاطر مدي

مسلم ما يهمه برقها أو رعدها القاصف

هنا أستفسر هل ينطبق عليه ما سبق ذكره؟ وأقصد أن حرف الياء ليس قافية وإنما القافية هي حرفا في، أو هذا من لزوميات ما لا يلزم وخرج المحضار عن هذا؟ ثم ماذا لو اكتشفنا أن ما قاله المحضار هو بغت خاطر صفي؟

ونعود الآن إلى كلمة مسلم وأنها أخلت بالمعنى، وهنا أختلف معه، فالمحضار قال مسلم ولم يقل مستسلم، والتسليم بالشيء غير الاستسلام له، فالتسليم بالشيء هو الواقعية، هو تقبله كشيء واقع ويجب التعايش معه، ولا يحدد لنا طبيعة هذا التعامل سواء بالمقاومة أو الاستسلام، ولهذا أضاف المحضار ما يهمه برقها أو رعدها القاصف. فنحن نعرف أنه في المصائب الكبرى غالبًا ما تكون ردة الفعل الأولى لنا هي عدم تصديق ما حدث (عدم التسليم بالواقع). ولهذا قال المحضار برقها أو رعدها القاصف ليظهر لنا أن الأمور الحادثات هنا ليست طبيعية.

ورغم أن البروفيسور خصص هذه الفقرة للقافية، وقبلنا بالفكرة العارضة التي تحدثت عن المعنى على لسان الشاعر ثابت السعدي، فإننا نلاحظه مرة ثانية يتطرق للمعنى عندما أشار إلى قلبي بعدكم كالخيط (مع أن الأمر هنا لا يمس القافية فلماذا أورده هنا وبخاصة أنه تكلم عن المعنى؟). كلنا نعرف عندما نريد أن نصف القلب وسرعة تأثره نصفه دائماً بشيء رقيق سهل التأثر، فَوُصِفَ بالشعرة وبالريشة وغيرها من الصفات، إذًا فالمبدأ هنا واحد. فإن لُمنا المحضار على هذا الابتداع فحينها سنلوم من ابتدع وصف القلب بالريشة ومن وصف القلب بالشعرة وغيرها من هذه الصفات التي دلت على رقة القلب.

من الخطى القصار في المعنى:

شرطك يا الهوى عندي ونا حامل لواك

وعرف قدر فنك

وبعض الناس ما قامك ولم يحمي حماك

هدم بناء ركنك

ونزل مستواك

تقبض بالحبال البالية لي هن ركاك

من دون ادراك

ولي ما عز نفسه في الهوى سيبه

وعبر فوقه الشاك

كتب البروفيسور: «ففي الشطر: تقبض بالحبال البالية لي هن ركاك، نجد أن المعنى قد اكتمل في الجملة (تقبض بالحبال البالية)، ولكن البيت لم يكتمل فأضاف التكملة الآتية للبيت (لي هن ركاك) ولم تضف إلى المعنى شيئًا». فهم البروفيسور هنا أن ما قصده الشاعر من ركاك هي البالي نفسه، ولكن ما فهمته أنا لكلمة ركاك هي النحاف، وهي في نظري تبرز ما أحب المحضار أن يوضحه لنا عن صاحبه وأنه لو وجد عذرًا ولو بسيطًا من صاحبه لقبله، فقد تكون هناك حبال غلاظ ولكنهن بالبات فتخدع من يتمسك بها، أما الحبال النحيفة الدقيقة فيتشكك الإنسان في التمسك بها حتى ولو كانت غير بالية، وصاحب المحضار هنا تمسك بحبال نحيفة بالية فليس له عذر لنقول إنه اغتش بذلك، وهنا نرى أن كلمة ركاك أضافت معنى وأبانت تسامح المحضار، فلو وجد ولو عذرًا بسيطًا لصاحبه لعذره، ولكنه أحب أن يبرز لنا أن صاحبه لم يترك له مجالاً إلا أن يقول له: ولي ما عز نفسه....

لا حل للولف علمنا السهر في الليل ليلي يمر فكرة

وعرفت منه زحل والمشتري وسهيل ومطلع الزهرة

حس في الكبد جمرة

والعين تصبح من آثار السهر حمرة فيها علامة

الله كفيلك حيث ما تمشي تصحبك السلامة

كتب البروفيسور: «والشطر (لا حل للولف علمنا السهر في الليل) اكتملت الجملة في قوله: (لا حل للولف علمنا السهر)، ولكن البيت لم يكتمل فأضاف عبارة (في الليل) التي لا شك أضعفت التركيب، فقد تضمنت إمكانية أن يكون السهر في النهار وهو أمر لا يقول به أحد». وأنا هنا أسأل البروفيسور إن كنت ترى عبارة (في الليل) عائدة للسهر ولهذا أضعفت التركيب، فمتى تم التعلم؟ ولماذا لا يكون هنا (في الليل) عائدة للتعلم؟ وكمثال لو قلت: فلان علمني البيع والشراء في السوق. فعلى قياس البروفيسور أن البيع والشراء أكيد في السوق، ولكن هنا نسأل: أين تم التعلم هل في حجرة الفصل أو تم التعلم مع التدريب المباشر في السوق؟ ولو نظرنا إلى الشطر يقول: (لا حل للولف) إذًا من الذي قام بعملية التعليم؟ الذي أفهمه هنا هو أن المعلم هنا هو الولف. وكيف علمه السهر؟ علمه السهر عن طريق تواجد الوليف؟ وهنا يمكن أن يكون الوليف معه ليلاً أو نهارًا؟ فوجود الوليف معه هنا في الليل وتمت عملية التعلم في الليل؟ طبعًا كان ممكن يعلمه الألفة في النهار ويتركه طول الليل سهران؟ ولهذا قال المحضار: (ليلي يمر فكرة)، فوضح أن تعلم السهر تم في الليل، وأن الليل كله يمر عنده فكرة، أي يتذكر الألفة. فإذا كان المحضار يصف وقت التعلم فعبارة (في الليل) ليس فيها إضعاف بل تبيان للمعنى غير المعنى الذي ذهب إليه البروفيسور، وهي تبرز هنا أن عملية التعلم لم تكن نظرية بل فيها التطبيق والتدريب. وما زلت هنا أكرر (ذا اللي فهمته وما في القلوب يعلمه علام الغيوب). وهذا يذكرني بقصيدة للمحضار غناها الفنان القدير عبدالله الرويشد وغناها الرويشد ساهر مع الليل وحداني بينما ما قاله المحضار ساهر مع الشوق وحداني.

بعادك على قلبي يؤثر ووجدي مناجاتك تثيره
وحبك استعبدني وناحر وحيرتي في عشقتك حيره
ونتغاضى ونصبر على الحالي وعالمر
ونقبل كل شي ونقول في حبك يهون
القنع منك سكون بس يا ريته يكون

كتب البروفيسور: «وبتأمل (ونتغاضى ونصبر على الحالي وعالمر)، نجد أن الصبر على المر أمر مفهوم، ولكن الصبر على الحالي أمر ليس مستساغًا فما معنى الصبر على الحالي، لقد انساب الشاعر مع قلمه دون أن ينتبه إلى أنه وضع الكلمة (الحالي) دون أن يكون لها داع معنوي». لو أكملنا قراءة البيت ولم نقف عند هذا الشطر سنلاحظ أن الشاعر كرر القنع منك سكون بس يا ريته يكون، إذًا لو تساءلنا لماذا لا يكون هذا القنع؟ فهذه هي ديمومة صراع الحب صراع وجود الحلو مع المر، هذا التوأم المتلازم وهذا ما يجعلنا نصبر على الحالي والمر، بل يصل بنا الأمر أن نعيش هذا الحالي ونحن نذكر المر. ولأقرب الصورة النفسية بإعطاء هذا المثال: تصوروا شخصًا يعاني من حموضة ولكنه يحب الأكل بالبهارات وبخاصة البسباس، الآن تصوروا كيف تكون نفسيته وهو أمام أكلة شهية ومليئة بالبهارات والبسابيس، ويعرف كيف سيكون استمتاعه بها ويعرف أيضًا ماذا سيعاني بعدها، فمن عاش هذه الحالة أو تصورها لعرف ماذا يعني الصبر على الحلو المزامن للمر. بل لو تتبعنا القصيدة كلها لوجدنا أنه يحكي فترة ليس فيها شيء حال غير حبه فعالك كلها ضر وأعمالك تحير، فيصبح هنا الصبر على هذا الحلو شيئًا طبيعيًا.

نا أول الناس نفرح بقربك مني وراضي بسلمك وحربك
قابل لعيفك وزينك
عسى الله يعينك كلفت نفسك واسهرت عينك

كتب البروفيسور: «والكلمتان (سلمك) و(زينك) إنما جاء بهما هنا الحاجة إلى إقامة الوزن فما لهما من داع معنوي».

لو قلنا مثل ما قال البروفيسور وعلى حسب قوله يكتمل المعنى بـ(وراضي بحربك) فهل هذا عَرَّفَنا أن هناك فترات سلم؛ لأن هذا ممكن يوحي لنا أن الحياة هنا كلها حرب وهو راضٍ بها، وهذا ينطبق أيضًا على قول قابل لعيفك. إذًا العدل وعدم الجحود والنكران قادت الشاعر أن يذكر السلم والزين حتى يخبرنا أن الحياة معه ليست كلها حربًا وليس كل أفعاله شينة، وأنه أيضًا لا يتنكر لذلك بل هو يرضى بذلك ويقبله.

نسى جلساتنا بعد السحر عالشواطي
نريح قلوبنا ونقول للعين شطي
وخلي بحر ما بينت شواطيه غشيم الله يهديه

كتب البروفيسور: «فكيف يجتمع الوصفان المتضادان في شخص واحد الغشيم والبحر الذي لا يتبين شاطيه إنه التناقض المعنوي». أرى التوافق والتشابه بين البحر الذي لا يتبين شاطيه، لا تعرف أين مرساه، والغشيم الذي يتصرف بلا منطق ولا عقل فلا تعرف أيضًا مرسى لسلوكه. مع الاعتراض السيكولوجي على قول البروفيسور «كيف يجتمع الوصفان المتضادان في شخص واحد»، فهذا قد يحدث أحيانًا ويسمى في الطب النفسي (التناقض الانفعالي Ambivalence).

رح ما انته أول من تحدانا وراح
رح ما معي في عشقتك راحة
رح خلني داوي صوابي والجراح
من هو مصوب يعرف جراحه

رح ما انته أول من تحدانا وراح كيف نفهم راح هنا، هل بمعنى رح في أول هذا الشطر أي بمعنى اذهب وذهب، لو هكذا فهمناها نعم لظهر لنا الشاعر بصورة المهزوم وإن كان لا يستقيم هذا مع خاتمة القصيدة والتي يقول فيها:

الحب مثل البحر تلعب به الرياح
كل ما له إلا وهاجت رياحه
يا كم وكم من فلك فرفر به لواح
عبرته غابوا وملاحه
ودخلت ناوخرجت صاحي والموج من كل النواحي
مجراي في مجرى سفينة نوح

فكيف يكون بصورة المهزوم وهو يقول أنا المنتصر والناجي الوحيد في هذا؟

ولكن راح هنا بمعنى انتهى وبهذا المعنى نستخدمها كثيرًا في حديثنا اليومي، فمن الذي يتحدى هنا؟ فماذا يعني أن تقول لشخص: رح ما انته أول من تحدانا وانتهى ولو تتبعنا معنى القصيدة كلها للاحظنا أنها تصب في هذا المعنى، تبرز ماهية طيبة الشاعر وإخلاصه وتحمله، وهذا يجعل الكثير يتحدونه، ولكن العبرة ليست في كم من تحدى، ولكن في مصير من تحدى.

من الخطى القصار في التذوق اللغوي:

بحسب ما فهمته من قول المؤلف حينما ضحى المحضار بالجانب الجمالي والمعنوي لصالح القافية وتبعاتها من التزامات، وقد تطرق المؤلف للأبيات الآتية:

هل شي نظر بعد هذا الجور هل شي نظر
هل عاد شي يا حبيبي للمشاكل حلول
طال انتظاري شوية نحوك العين حوله
من قال ما قال فيه سهل خله يقوله

قال البروفيسور، وهذا فهمه للبيت: «وبيت القصيد في هذا الشطر (نحوك العين حوله) فليس مفهومًا أن يتسبب النظر الطويل في جعل العين حولاء فما بالك إذا كان النظر قليلاً».

بينما ما فهمته أنا من هذا البيت أن ليس هناك من هو مصاب بالحول، بل أحب الشاعر أن يوصف حالته في لحظة الانتظار، ولأنه لا يريد أن يلاحظ عليه جُلاّسه أنه لا يعيرهم الاهتمام ولا يبين لهم انشغاله بغيرهم بينما في الحقيقة خاطره مشغول بمن ينتظره ولهذا لا يلتفت بكل وجهه للجهة التي سيقبل منها حبيبه بل يحول نظره إلى ذاك

الاتجاه؛ ولهذا قال المحضار: (نحوك العين حوله)، فليس في الأمر مرض الحول بل هو سلوك مارسه ووصفه لنا.

ليل والساعة ثنعشر جيت يا هذا الاغر
ريت حد بالوصل بشر باهدي له اوتبيس
طاب ليلك يا عريس

وقال البروفيسور: «با هدي له اتوبيس، يستوقفنا المعنى الذي قد يكون مقبولاً بوصف الأغنية تقال في سياق عرسي فرائحي وليس نصًا تعبيريًا عن حالة إنسانية».

أنا هنا لم أفهم ماذا يقصد المؤلف بقوله: (نص تعبيري عن حالة إنسانية)، هل عندما عبر المحضار عن فرحته بالحدث، ولو أن أحدًا هناك بشره بهذا الوصل لأهداه هدية ليس هذا وصفًا لحالة إنسانية، بل استخدام المحضار هنا لكلمة أوتبيس هي من نبع الحالة الإنسانية التي عاش بها الحدث، فكلنا نعرف أن ما يمثل موكب الزفاف بطربه وسروره وفرحة المشاركين به تكون في ركاب الباصات (أوتبيس)، فاستخدامه للكلمة هنا هي من تأثير الحدث والحالة الإنسانية التي يعيشها. ولو قدر لأحدهم أن يكون حاضرًا عندما قرأ المحضار قصيدته هذه، فإذا لاحظ ابتسامة عريضة أو ضحكة خفيفة على وجه المحضار فاعرف أنه لما خص هذه الكلمة فهو يعيش لحظة إنسانية انفعالية شديدة عرفها من عرفها وغابت عمن لا يهم المحضار أن يعرفها، فليس قصده هنا حينها لا البلاغة ولا الشعر ولا فنونه بل قصده كيف يوصل ذلك الانفعال الإنساني للشخص الذي أراد أن يوصلها إليه، فالمحضار هنا يعيش لحظة من لحظات قمة إنسانيته.

مكة بلاد الله حي مكة بما فيها يلاقيك
هذا الحرم سدك وهذا البيت أركانه تناجيك
وذا الحجر قبله تقبيل واكحل مقلتيك

كتب البروفيسور: «مكة بلاد الله حي مكة بما فيها يلاقيك، كيف ساغ له أن يطلق على مكة صفة (حي)، والحي إنما هو جزء من البلد، وكان له مجال واسع في الخروج من ضيق هذه اللفظة إلى سعة اللغة ولا يحوجه شيء».

فقد فهم المؤلف هنا كلمة (حي) بما معناه مساحة جغرافية من مدينة أو قرية (حارة، حافة) بينما أنا فهمتها بأنه يطلب من السامعين إلقاء التحية، ولهذا أحب المحضار أن ينبهك لضرورة إلقاء التحية فقال مكة بلاد الله، أي أن كل مكة وليس فقط الحرم كل مكة مقدسة في نظره وتستوجب إلقاء التحية، وعلينا أن نلقي عليها التحية على أول شيء يقابلنا فيها سواء كان شارعًا أو عمارة أو إنسانًا، ثم تدرج المحضار في إلقاء التحية من العام إلى الخاص فبدأ بكل مكة، ثم الحرم، ثم الكعبة، ثم أركان الكعبة، ثم الحجر الأسود، بل في الحجر أيضًا كان هناك التدرج فبدأ بالتقبيل، وشدد هنا على كثرة التقبيل وليس الاكتفاء ببعض القبلات، ثم اكتحال العين بالحجر.

من الخطى القصار في التركيب:

عالحسود الله أكبر يحرسك من كل شر
ما يصلك إلا المقدر يا أنيسي والجليس
طاب ليلك يا عريس

كتب البروفيسور: «يا أنيسي والجليس، لم تضف كلمة الجليس شيئًا، والأنيس تتضمن بالضرورة معنى الجليس».

في البيت السابق لهذا قال المحضار:

كن معي يا حلو بسمر أنت وردة في السمر
أنت مثل الزهر وأزهر أنت للسامر أنيس
طاب ليلك يا عريس

هل أنيس هنا تحمل المعنى نفسه في المطرحين؟ ففي أنت للسامر أنيس جاءت صفة الأنس هنا من السلوك الذي يسلكه الشخص وهو إذا أنت سهرت وجلست مع السامر أي سامر فأنت له أنيس، وهنا ارتبطت صفة

الأنس بسلوك الجلوس. لكن في يا أنيسي والجليس فالصفة هنا للشخص، فهذا الشخص أنيس الشاعر في حضوره أو غيابه، وقد يكون الشاعر يأنس بذكراه، ولهذا لم تلتزم صفة الأنس هنا بسلوك الجلوس، ولهذا أضافها الشاعر هنا ليوضح لنا مشهداً خاصًا وهو الجلوس مع أنيسه. ولو تتبعنا القصيدة سنلاحظ هذا المآل (ليلة الأفراح نلت فيها الحظ الأوفر جيت يا هذا الأغر كن معي).

من الخطى القصار في الوزن:

وهنا كان البروفيسور حريصًا في تعرضه للوزن فأشار إلى أن هذا الخروج عن الوزن قد يكون راجعًا إلى خطأ كتابي أو سبب آخر. وأنا مع البروفيسور في هذا وبخاصة أن المحضار يستخدم كل اللهجات في شعره، فلربما تكتب كلمة ينطقها الشخص بلهجته فيختل الوزن بينما لو نُطِقَت باللهجة التي قالها المحضار لاستقام الوزن. وما يجعلني أنحو نحو هذا الاتجاه حدثان، أولهما كنت شاهده، وقد نقل هذا الحدث الأخ العزيز والمحب الصدوق والتربوي الجليل السيد عيدروس محمد الحبشي في كتابه الشيق والمُتْعَب عليه (شخصيات في حياة الشاعر حسين أبي بكر المحضار)، وذلك عندما زار الأخ الخلوق والإيقاعي المعروف علي سعيد -رحمه الله- المحضار -رحمه الله- وطلب منه أن يلقي عليه لحن أغنية (وين وين وين الوجه لي قابلتني به العام)، فكان رد المحضار أنه قد سلم اللحن فلانًا (وذكر اسم الفنان)، ولكن أصر على سعيد أن ما سمعه من ذلك الفنان ليس لحن المحضار، وبعد تجاذب صرح علي سعيد مبررًا ما يعتقده بقوله: بما معناه وليس بالحرف الواحد أغلب الملحنين إذا لم يكونوا كلهم تكون ألحانهم ناقصة إيقاعيًا ونحن نكمل لهم هذا بالموسيقى إلا ألحانك كلها كاملة إيقاعيًا واللحن الذي سمعته من فلان ليس كاملاً. فألقى عليه حينها المحضار لحنه وبعد سماع اللحن علّق علي سعيد هذا لحنك، وألقى علي سعيد على المحضار اللحن الذي سمعه من الفنان. الحدث الثاني رواه لي الأخ الغالي والمحب الصدوق والأستاذ القدير والغني عن التعريف عبدالله صالح حداد أنه في إحدى جلسات الدان ألقى مغني الدان -(ذكر الأستاذ عبدالله الاسم ولكنني نسيته)، وهو في الوقت نفسه شاعر أيضًا- الصوت الذي سيقصدون عليه، وبعد اللحن ألقى أيضًا شعرًا على الصوت نفسه، فعلّق المحضار بما معناه لن يركب هذا البيت على هذا الصوت، فرد المغني أنا أبو فلان، فكان تعليق المحضار: شل الصوت، وفعلاً بَانَ الخلل وعدّل الشعر بما يتناسب ووزن الصوت. فشخصية تتمتع بهذا الحس الإيقاعي لا أعتقد أنها تفرط بإيقاع قصائدها ووزنها.

وقبل أن أختم بحكمي لا ننسى هنا أن البروفيسور خاض بحرًا هائجًا وهو يعرف ذلك ويكفيه أنه حاز قصب السبق في ذلك، فالنقد والتقويم ليس بالأمر الهين وهو طريق وعر يطلب من الناقد حرصًا شديداً وتوسعًا حتى لا ينطبق عليه ما ينتقده، ومثل ما بدأت بعلم القياس والتقويم أختم به وأقول وأيضًا في القياس اختلفوا في أيهما أرقى هل الإبداع أو عملية التقويم.

من هذا كله خلصت إلى الآتي: إذا كان ما قاله وقصده المحضار بحسب ما قرأه وفهمه البروفيسور الصيغ فالبروفيسور يكون فعلاً قاس شعر المحضار، وتكون هذه خطى قصارًا في شعر المحضار، أما إذا كان للمحضار قراءة وقصد مثل ما فهمته أنا أو خلاف لكلينا فيكون حينها قاس البروفيسور قراءته وفهمه لشعر المحضار وليس شعر المحضار. وأترك الحكم بعد ذلك للقراء.

105
العدد (16)
ابريل
يونيو
2020م

في شعرية اللامرئي



د. سعيد الجريري

(إقـــرأ مذكرات دوغول عن ســـنوات الثلاثينيات والأربعينيات، وستلاحظ أنه كان مشغولاً باللامرئي الذي يسميه فرنسا. إن فرنسا ابتداع شعري ومع ذلك هي التي ستحدد له ممارسته. لقد جعل منها شخصًا له جسد هو أرض فرنسا، وروح غامضة، آمرة، لا تُقاوَم هي التي توجه فعله. ذلك أن الإنسان حيوان شعري من الثدييات إلا أنه منخور ومعذّب بشيء لا يوجد خارج ذهنه).

لعل في هذا المقتطف من حوار مع ريجيس دوبريه أجراه محمد بـــرادة، مدخلاً ملائماً إلى شـــعرية اللامرئي ليس في الشعر، كما يلوح في أفق التوقع، ولكن على ناصية الأسئلة الوجودية التي لها شـــعريتها الخاصة في القـــصيدة كما في خارجها. فالانشغال باللامرئي مكوّن حضاري وثقافي ووجداني أيضًا، تتداخل فيه صور الماضي والآتي في تماه حينًا وتوازٍ حـــينًا آخر، تلك الصور التي من تجلياتها مثلاً رمزية الطلل عند الشـــاعر القـــديم، ورمزية الحلم عند الشـــاعر الرومانسي، إذْ يغدو الطلل مستقبلاً كالحلم الذي يصبح ذكرى، في سياق اتفاقهما في الصفة، واختلافهما في كون كل منهما رحلة معاكسة للأخرى (استعادة / انتظار)، وهي معاكَسة على مستوى التصور والاتجاه فقط، فالطلل حلم معجّل، والحلم طلل مؤجل، وفي المسافة بينهما يقف المرء، في عراء الرحـــلة، إزاء مرآة معتمة، سرعانَ ما يتلاشـــى فيها الطلل والحلم بالتعاقـــب، وتتمرأى تجليات اللامرئي في حقول مختلفة: وطن، مثال، تاريخ، مصير... إلخ.

ويظل السبيل إلى أيّ منها مزدحمًا بانزياحات، وتوقعات خائبة، ومسافات توتر، ومفارقـــات. غير أن الفرق بـــين شعرية المرئي ولا شـــعريته هو الفرق بـــين الحلم والوهم، (وليس الحلم والواقع)، على أن الحلم والوهم قد يتبادلان الأدوار والمواقـــع، فإذا الحلم وهم، والوهم حـــلم، وقـــد يأتلفان في ثنائية ما، وتلك تقنية أحـــاط ويحيط بـــأسرارها المنشـــئون والنقـــاد منذ الإغريق، وبـــتعدد لا مرئياتهم تتعدد الشـــعريات في أفق مفتوح على احـــتمالات مفتوحـــة، لكنها تظل مشـــغولة بـــاللامرئي مثل دوغول. ولئن كانت تلك الشعريات مُثراةً بنظريات وتطبيقـــات فسيفســـائية، فإن أفق الاحتمالات والتوقعات المفتوح تتزاحم فيه أسراب عديدة، يجوز في فضاء تأملها أن نميل إلى انزياح نحو شعرية من نوع آخر، لصيقة بتعبير دوبريه، هي شعرية الوهم التي يبـتدعها كائن منخور معذّب بـــشيء لا يوجد خارج ذهنه، ولكنه يستعذبه مُعليًا ضرورته الغامضة، في مدار الرعب أو الألفة، فيدور هارمونيًا حـول ضرورة اللامرئي، يفلسـف طاقـاته وكوامنه ومحفزاته وفاعلياته. على أن القـــناعة من الغنيمة بالإياب توقظ أحيانًا على فداحـة الوهم، فيعيد كائن الوهم ترتيب أوراق متطايرة في ريح الضرورة، ليبتدع وهمًا بـديلاً، يعيد إليه توازنًا يوازي فوضاه العارمة.

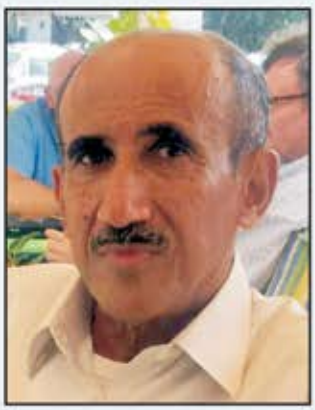
لكن شعرية اللامرئي التي تفتح الدروب والآفاق والأكوان، ليس من علاماتها زهو خامل بـــجهل مدجج بأجنحـــة الدجاج ومناقـيرها - بتعبـير خيري منصور - عن شـــعرية الجهل المسـلح فلا هو يطير، ولا يسـتطيع الدفاع عن نفسـه وكل ما يفعله هو التقـاط الحبـــوب من النفايات أو التعثر بأجنحته وهو يعدو بشكل أخرق مثير للسخرية.

106
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

في تأبين

الشاعر عوض ناصر الشقاع

توفي الأستاذ الشاعر عوض ناصر الشقاع في يوم الجمعة بتاريخ ١٥ من شهر مايو المنصرم من هذا العام ٢٠٢٠م، الموافق لتاريخ ٢٢ رمضان ١٤٤١ هـ، متأثراً بفيروس كورونا كما قيل، رحمه الله رحمة واسعة، ولكنني لم أعلم بخبر الوفاة إلا بعد شهر كامل، أي في يوم ١٥ يونيو، من إشارة عابرة وردت في منشور للصديق الدكتور أبوبكر محسن الحامد ضم صورة له مع الشاعر الراحل.



نجيب سعيد باوزير

سمعت باسم عوض ناصر الشقاع للمرة الأولى من مقال كتبه عنه الأخ الدكتور عبدالله حسين البار في صحيفة (الشرارة)، العدد المؤرخ ٢ يناير ١٩٨٥م، وكان ذلك أول مقال يكتبه عن الشاعر، المبتدئ في ذلك الوقت، الناقد البار، الذي كان هو أيضًا لم يستكمل بعد تحصيله العلمي الأكاديمي. وقد ربطت بين الرجلين، الناقد البار والشاعر الشقاع، منذئذ علاقة أدبية وإنسانية وطيدة، ولذلك فقد لجأت إلى الصديق والأخ الكريم الدكتور عبدالله لأعزيه أولاً في صديقه، ثم لأطلب منه تزويدي ببعض المعلومات، عن الشاعر الراحل، وهي التي أرسلها لي فعلاً وسأبثها في سياق هذا المقال.

أما أنا فقد التقيت بالشاعر الشقاع رحمه الله ربما في مناسبة واحدة فقط، تلك هي مناسبة المهرجان الثقافي الكبير، الذي حمل أيضًا طابعًا سياسيًا وانتظم في مدينة سيئون في أواخر شهر سبتمبر من عام ١٩٩٦م، وحضره عدد كبير من الأدباء والمثقفين وشمل فعاليات مختلفة بين ندوات وأمسيات شعرية وقصصية وغير ذلك. وأتذكر أن الشاعر الشقاع ألقى في الأمسية الشعرية القصصية، التي أدارها وقدم المشاركين فيها الدكتور عبدالله البار نفسه، قصيدة استعمل فيها ما يسمى التناص مع إحدى سور القرآن الكريم وهي سورة الكهف. وقد ضم الشاعر بعد ذلك هذه القصيدة، وعنوانها (الرحلة)، إلى أحد دواوينه وهو ديوان (عناوين لرحلة الغيوم)، الذي أكرمني بإهدائي نسخة منه مع ديوان آخر له بعنوان (طقوس النار والأحجار)، وقد حمل لي الديوانين من

الشاعر الأخ القاص الأستاذ عبدالله سالم باوزير، رحمه الله، الذي كانت تربطه علاقة صداقة بالشاعر، والاثنان ممن اختاروا الإقامة في عدن الحبيبة، فرج الله كربتها، وجعلوها لهم وطنًا أثيرًا، رغم أن أحدهما، وهو باوزير، من مواليد غيل باوزير في حضرموت في عام ١٩٣٨م، والآخر، وهو الشقاع، من مواليد قرية المحفد، التابعة لمحافظة أبين، في عام ١٩٥٤م. يقول الشاعر في أحد مقاطع قصيدة (الرحلة):

يا صديقي تفجر الكهف ضوءا
فإذا بالضياء أعمق سرا
لا تدعني لظلمتي وضيائي
خذ بكفي أجد على الماء خبرا
قال: لن تستطيع عندي صبرا
قلت: خذني سأصعد الوقت صبرا
قال: معنى الرحيل فكرك صمتا
ودليل الطريق صمتك فكرا

وقبل أن أمضي في الحديث عن الشاعر الشقاع، رحمه الله، سأنقل فيما يلي قصيدة كاملة له من ديوانه (طقوس النار والأحجار)، وهي بعنوان (تراب الولد المشاغب)، ومذيلة: العند ١٩٨٧م:

أتعددين لي المناقب؟ إن الذي تعنين غائب
حولي نباح حضارة تلغو بفلسفة الخرائب
حولي شظايا عمري الزاهي وأنقاض المواهب..
زمنًا حلمت بعالم أبهى.. بإلغاء المتاعب
غامرت في تيه القصيد.. ركبت أمواج المذاهب
شاغبت بالأشعار مرحلة وأطلقت الكواكب
حتى تحطمت الجسور الخضر وانطوت التجارب
ذهبت خيول الحزن بالأشعار والولد المشاغب..
متوحدا بترابي الشخصي بالسجن المواظب
ما زلت أبحث من خلال الوقت عن وقت مناسب
ما زلت أنشد نار أعلامي وفجرا غير كاذب..



الشاعر عوض ناصر الشقاع في شبابه

أوتعجبين من انكساري في متاهات الغياهب؟
أوتسألين عن الهوى الناري عن عشب الغرائب؟
اليوم تمجيد الحصى اليوم تأليه الطحالب
للموت لون ناصع/ للعصر رائحة الجوارب..
ساءلت عن مدني الأثيرة لم أجد إلا الحقائب
وبحثت عن رسل الحقيقة لم أجد إلا المناصب
فعدونا خلف الحدود.. عدونا خلف المكاتب
ومن المحبة قسوة ومن العداوة ما يصاحب..
لي همي الذاتي ولي هم الجميع فمن أحارب؟

وعلى الرغم من أن الدكتور البار في مقاله القديم في الشرارة كان قد عمّد الشقاع تلميذًا نابهًا في مدرسة البردوني متنبئًا له أنه سيصير علمًا يمنيًا في سماء الشعر العربي، فإنه، عندما سألته الآن: هل يصح أن يقال إن الشقاع ينتمي إلى المدرسة البردونية وإنه التزم كالبردوني بكتابة القصيدة البيتية الموزونة المقفاة؟ رد قائلاً: إن الشقاع كتب قصيدة التفعيلة، ولكن ميله ومزاجه كانا يفضلان قصيدة البحر على سواها، وهو ما ينبئ عنه ديوانه (الدفتر السقطري، وقصائد أخرى)، وأما عن تأثره بالبردوني فمسألة يفصل فيها المنهج النقدي الذي يدرس به شعره وليس الانطباع الأول السريع. وهذا

الديوان الذي ذكره البار، في إجابته التي سقتها للتو، هو من بين ثلاثة دواوين للشاعر معدة للنشر، والآخران أحدهما عنوانه (متاهات في كتاب الرمل)، والآخر قصائد متفرقة من حصاد سنوات العقد الثاني من هذا القرن الحادي والعشرين. وبالإضافة إلى الديوانين اللذين ذكرت أنه أهداهما لي هناك ديوان ثالث مطبوع له عنوانه (السائر في الظلمات). وكتب البار مقالة طويلة عن الشاعر الشقاع بعنوان (الشقاع شاعر من بلدي) نشرت في مجلة (آفاق) في التسعينيات، كما كتب عنه في عام ٢٠١٢ دراسة نشرت بعد ذلك في مجلة (حضرموت الثقافية)، وهذه الكتابات كلها نواة لمشروع كتاب نتمنى أن يهيئ الله الظروف للناقد الدكتور البار كي ينجزه، وهو ما كان متوقعًا من الأخ البار نظرًا للإعجاب الكبير والتقدير اللذين يكنهما للشاعر الشقاع.

عندما بلغ الصبي عوض ناصر الشقاع سن الالتحاق بالمدرسة، دخل به والده إلى عدن، فبدأ دراسته هناك من الابتدائية ثم واصلها حتى الجامعة، حيث تخرج من كلية التربية العليا تخصص لغة عربية. وقد بدأ بالقرزمة بالشعر صغيرًا، ويقول الدكتور البار إن تلك القرزمة كانت سببًا في انفتاحه على القراءة واتساع ثقافته على صغر سنه، وقلة المنشغلين بالثقافة في داخل أسرته. وقد ساعدته قراءاته الواسعة على إخصاب تجربته الشعرية التي بدأت في عام ١٩٧٣م بقصيدته (النار والأشياء)، ولم تقف من بعدُ حتى وفاته، رحمه الله.

انخرط الشقاع الشاعر في الأطر التنظيمية للجبهة القومية، ولكن وعيه الوجودي بالحياة جعله متناقضًا مع منطلقات الرفاق خاصة بعد ما سمي بالخطوة التصحيحية في ٢٢ يونيو ١٩٦٩م، فحاول الهرب إلى



الشاعر عوض ناصر الشقاع

تعز، لكنهم ألقوا القبض عليه فسجن في لحج برهة ثم نفي إلى سقطرى سنة كاملة من عام ١٩٧٦م إلى عام ١٩٧٧م. عاد بعدها وقد تغير طعم الحياة في روحه كلها، لكنه حرص على مواصلة دراسته الجامعية فنال شهادة البكالوريوس وبها شق طريقه للعمل فجرب التدريس مدة من الزمن لكنه لم يرقه، وعمل في دار الهمداني بعدن، ثم بعد الوحدة عمل محررًا في صحيفة (١٤ أكتوبر) حتى آخر حياته.

يبدو لي مما عرفته عن الشاعر الراحل عوض ناصر الشقاع أنه كان صاحب تفكير مستقل، وحسنًا فعل بالانصراف عن الجو الاجتماعي والسياسي غير الصحي في البلاد إلى الاهتمام بموهبته الشعرية والاستمرار في كتابة الشعر حتى أنجز ستة دواوين شعرية، وهو حصاد طيب. وما يعزز هذه الصورة التي لخصتها عنه ما سمعته من الدكتور أبوبكر الحامد من أن مفتاح شخصيته كان الاستقامة، ولعل وفاته بالوباء في العشر الأواخر من رمضان وفي يوم جمعة أن تكون مؤشرات على قبوله عند الله سبحانه وتعالى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

109
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

هي هكذا الدنيا.....



سالم عبدالله بن سلمان

إلى روح الزميلين الفقيدين الشاعر عبدالله محمد باصرة والقاص علي عوض باذيب



الشاعر عبدالله باصرة



القاص علي باذيب

في هذا الزمن.
المكتض
بالصور البراقة
في النت
وتويتر
والواتسب
وعلى الشاشات اللماعة.
بالألوان.
يتناهى
بين اليوم والآخر.
وإلى الأذهان
أنباء رحيل موجع.
بالصورة والإعلان
عن خيرة صحب
وأحباء

كانوا لنا إخوان
كانوا ملء الدنيا
وملء السمع والبصر
وكل الوجدان
فيتشظى القلب
ويسيل الدمع
وترتجف الأبدان
هي هكذا الدنيا
ميلاد نشوان
وحياة حافلة
ورحيل يخطف
شغف العمر
من دون أوان
رحماك الله بنا
يا رحمن
إنا لا نملك في هذا الأمر
إلا التسليم والصبر
ومدارات السلوان

ذات مياه



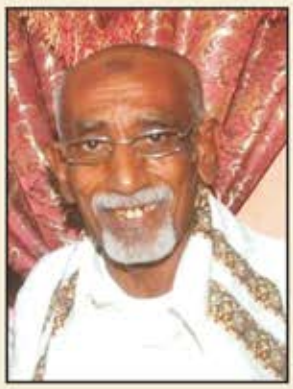
ياسر سعيد دحي

(ترك البرق القطرة فوق أصابعنا
وتركنا نتواثب خلف رؤاه)*.
وذات مياه
ترك البرق الضوء بدواخلنا
يتجول
حين رأيناه وحيداً يتجول مكسور جناح
فرتقناه بأحلام تتجول ووحيدة هي الأخرى في هذا البندر.
ذات مياه
قلّم أظافرنا بالماء هذا البرق
وقلمناه بنهار منتظرٍ في العتبات وفي الطرقات وفي كل مساء.
ذات مياه
ترك البرق لنا قطرة ماء بين أصابعنا
وغنيناهُ.
كان اللحن سماء صافية وكان البندر طفل غناء.
ذات مياه
كنا في الحلم أعشابًا والموج مشتعلٌ
ذات مياه.

*علامات التنصيص للشاعر الكبير محمد حسين هيثم.

110
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

سُلافة الروح



سعيد محمد بن هاوي باوزير*

سـاكتبُ لكن وماذا أقـولْ ... فشرحُ الهوى ياحـياتي يطولْ
وفي خاطـري أمنيـاتٌ طـوال ... وفي شـفتي ألفُ قـولٍ وقـول
جبـالٌ من الهمِّ في داخلي ... عوالمُ شـتى بـصدري تجول
تآلفت آرواحـنا فجأةً ... كما وردت في حـديث الرسـول
تـزولُ الحيـاةُ ولذّاتهُـا ... وحـبُّكِ يامنيتي لا يزول
عليهِ أموتُ وأحـيا بـهِ ... ولوحـالَ من دونه ما يحول
ولي نظـرةٌ دون كـلِّ الأنـام ... تحيّرَ في مبـتغاها العقـول
هو الحبُّ عندي بـعكس الورى ... عنـاءٌ وكـدٌّ ودمـعٌ هطـول
هو الحبُّ رهبـنةٌ وفناء ... يُشابـهُ آراء أهل الحلول
تسـامي الذّوات إلى ذاتها ... ومزجُ الشخوص وذوب الشكول
هو الحب فلسـفةُ الاحـتراق ... وكشفُ الحجاب وهتك السدول
ونـارُ الـتّوحّد والانصهـار ... حـضورٌ ولكنه كالأفول
وليلٌ من الذّكرِ أحـيا بـه ... وفي ملكـوتٍ خفـيٍّ أصـول
أسـامرُ اطيافكم في الدُّجى ... وفي عـالمِ الـروحِ سرُّ الدخـول
هوالحب سـلطانهُ قـاهرٌ ... (فدع عنك لومي) وعذل العذول
عوالمُـهُ بَوحُ صوفيـة ... خيارٍ ومرسـاهُ صعبُ الوصول
أحـاديثهُ لا حـروفَ لها ... وأشواقـهُ في انبـهارٍ مهول
تطيرُ الجسـومُ بأشواقـها ... وتسـمو الفروعُ لنُبـلِ الأصول
هو الحب وقـفٌ بِبـابِ الرجاء ... طواعيّةٌ وانقـيادٌ ذلول
مجاهدةُ الذّات تضحـيةٌ ... شحـوبٌ ومسـكنةٌ ونحـول
فلا تشـتكي من تصاريفه ... ولو جارَ بـالظَّهْرِ ثقـلُ الحمول
تحفُّ بـه الروح قدسـيّةً ... إلى ألـف كـونٍ وكـونٍ تصـول
سُلافُ الهوى أخرسـت مهجتي ... وبـين الجوانحِ نارٌ شـعول
تُضيءُ البـصيرةُ في حـضرةٍ ... إذا كنت ذا رغبـةٍ وميول
سـكرنا ولكنّها سـكرةٌ ... خرجنا بها عن حـدودالذهول
سبحـنا بأرواحـنا في العلا ... فما دار كأسٌ وصُبّت شـمول
سـأكتبُ !! كيف؟ وأين؟ وما ... أيلقى حـديثي لديكِ القبـول؟؟
فعفواً إذا القـولُ قـد خانني ... فهل تجهل الريحُ عطرالحقـول؟
وهل تجحـد الأرض ماء السماء؟ ... وهل ينكر الحقلُ فضلَ السيول؟
سـأكتب لكن وماذا أقـول؟ ... أنا مثلما قـد عرفتِ خجول

* عضو اتحاد الأدباء والكتاب العرب.

111
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

نوافذ حفرية على شجن في الطريق

نصوص قصيرة جدًّا



صالح سعيد بحرق

الشحر

من مفتتح للنشيد تنهض الشحر.. تعتلي نبض الفنون

تجوس خلال مدن الدهشة،

وترسل ضياءها على أصقاع بعيدة للحنين، تومض

كرمح في ليل ندي بالبشارة،

والسلو والعهد الجديد..

تفتح ذراعيها للحائرين.. في ممشى اليقين..

وتراود يأس العمر فينا،

وتبدأ من فجر الحالمين..

عودة

من خصاص نافذة السيارة كانت تتابع حديثه، تسترق السمع، تضغط على تأوهاتها والحنين، فجأة توقفت، عندما لامس كبرياءها بشموخه المزيف، عصفت بها ريح الندم، وأجبرتها رياح الخذلان على التوقف.. بيد أنها عندما رفعت سماعة الهاتف، هتفت باسمه مرة أخرى، بشيء من الشغف الجديد..

تعاضد

خرج من منزله يبحث عن دواء لولده.. وقف أمام البائع.. تفرس في وجهه.. كان أحد تلاميذه.. أطرق إلى الأرض.. دفع له بالدواء.. نظر إليه بعين يعرفها.. أطرق إلى الأسفل.. ثم قاده برفق إلى الباب.. وربت على كتفه..

وتساءل في نفسه: أليس هذا هو الطالب الذي تمنى أمامي أن يكون طبيبًا..

السيل

حين يقدم السيل قديماً، كانت تقدم البشارة، تخرج النساء بالغسيل، و(المكل)، و(الكنابل) وينتشرن على حافتي السيل، ضحكة، وبهجة، وعنفوانًا، أتلصص من نافذة منزلنا على أجسادهن، وعراكهن، واغتسال صبيتهن في مرفأ السيل، تتنامى بينهن الألفة.. تستمطرهن الذكرى.. والمكاشفة.. يتراشقن بالماء.. والسيل يجري، يجري إلى مستقر له، في ليل الانتظار الطويل..

نافذة على بحر شرمة

من نافذة قديمة في مبنى طيني أطل على بحر شرمة.. هناك في الأعلى تكمن الدهشة.. أحجار القلعة القديمة التي لَمَّا تزل على الجبل.. والبحر يعكف على شجنه التليد.. أحاول أن أفهم أي سلحفاة تاهت هنا قبل أن تصل إلى مخدعها.. وتضع بيضها.. ثم تعود لتبدأ.. رحلتها في المحيط.. من جديد..

مكان

يستريبني.. يخيفني.. كلما ولجت إلى جدرانه.. يبهرني تصميمه.. وانثيالات الفرح المتساقطة من أعمدته وسقفه المنسوج من نسيج دهشة غريبة.. قائم في فضاء لا يحده أحد.. شامخ في الحكايا.. والأساطير البعيدة.. في (الرشاد) تلك الديار التي تركها جدي ومضى.. إلى أنحاء أخرى جديدة..

توقيع قلم

(كما حمار الهجرين)



أ. د. عبدالله سعيد بن حسنار الجعيدي

دخلت الحيوانات الأليفة بكيفيات متنوعة ضمن محيط المجتمعات البشرية بوصفها جزءًا من التسخير الإلهي لمنفعة الإنسان في الأرض (ولله في خلقه شؤون)، وهذا الاختلاط المسيطر عليه جعلها تشارك في بعض تفاصيل الحياة اليومية؛ الأمر الذي يسر دخولها في مفردات الثقافات المحلية الإنسانية وبخاصة في الأمثلة الشعبية أو المقولات المأثورة والرمزيات الأدبية والسياسية، بل يكون لها أحيانًا نصيب من الأوقاف والصدقات، وعلى سبيل المثال عندما يذكر الناس الوفاء تذكر الكلاب ويقال: (أوفى من كلب)، أما الجمال فيقترن اسمها مع مقام الصبر، والجبن في حال الدجاج. أما أصحابنا الحمير وعلى ما تبذله من جهد وما تظهره من قوة تحمل فإنهم غالبًا ما يوصمون بالفهم البطيء، لكن المقولة الحضرمية المشهورة التي استعار العنوان شطرًا منها، والتي تقول: (كما حمار الهجرين طالع محمل ونازل محمل)، تشير ضمنيًا لمعاناة الحمير العاملة في مدينة الهجرين، وتعترف بدورهم الكبير في خدمة الإنسان.

ولكن التساؤل الذي يضع نفسه كيف استقرت الحمير العاملة في الهجرين في الثقافة المحلية في حضرموت بوصفها الأكثر معاناة من غيرها من الحمير في المناطق الأخرى، ومعروف أن قصة الحمير مع الإنسان واحدة في كل زمان ومكان وإن تباينت درجات الشقاء بحسب (حظ) الحمير في مكان العمل وحركته، ويبدو لنا أن هذه (المكانة) جاءت من كون مدينة الهجرين الدوعنية الحضرمية تقع على مرتفع جبلي مثّل لها تحصينًا طبيعيًا ضد الغزاة عبر التاريخ، لكنها في أوقات السلم حيث يزرع الناس ويعصرون في المزارع التي تقع من أسفل منها لا سيما على ضفاف الوديان والشعاب القريبة يكون أهلها مجبرين على الهبوط في منحدر محفوف بالمصاعب والمشقات؛ لهذا كانت مهمة الحمار (البطل) ملحة أو حيوية ويستفاد منه لحمل الأثقال والركاب في رحلتي الهبوط والصعود، ومن هنا تحصلت الحمير العاملة في الهجرين على الاعتراف الاجتماعي بجهودها أو بالأحرى بمأساتها. فصارت مضربًا للمثل وحاضره في الثقافة الشفاهية في أرجاء حضرموت عند حضور حكايات التعب والمشقة.

وعلى مسافة غير بعيدة من مدينة الهجرين تتكرر قصة الحمير العاملة على سفوح الجبال في فرعي وادي دوعن (ليمن وليسر) بوصفها الخيار الأمثل لرفع الأثقال، وقد جرّبنا نحن سكان السهول الساحلية صعود سفوح دوعن عند زياراتنا لبعض مدنها وبلداتها، وكانت تجربة فيها نصيب من التعب بحكم عدم التعود، حتى سأل سائل من الصاعدين بفضول عن كيفية رفع حاجات السكان ومتطلباتهم؛ والإجابة تكون بأن الحمار هو أيضًا (البطل) الوحيد والصاحب والمعين، وذات يوم بينما كنّا في رحلة صعود نحو بيت صديق في الخريبة، ظهر حال الفريق كحال من يصّعد إلى السماء حتى نصح صديق من الدواعنة باتباع (تقنيات) الحمير بالسير في خط متعرج يطيل المسافة لكنه أقل وطأة من الخيار المستقيم (المختصر)، وكانت فعلاً

نصيحة مفيدة حتى علّق -بمرح- صاعد من الصاعدين بقوله: (الحكمة ضالة المؤمن يأخذ بها، سواء وجدها في الصين أو حتى عند الحمير).

ولا تختلف الحمير العاملة في داخل حضرموت وساحلها عن غيرها من حمير الأرض، فجميعها خلق لما قُدّر له، لكن تنوع الجغرافيا جعل الإنسان يبتكر الوسيلة المناسبة لرفع الأحمال؛ لهذا نلاحظ الحمير العاملة على سفوح الجبال يتم وضع الأثقال مباشرة على ظهورها، أما في السهول حيث الأرض المنبسطة تربط ظهور الحمير بعربات يضع فيها الأحمال (وكله على ظهرك ياحمار)، ومن الصعوبة بمكان تحديد الحمير الأوفر حظًا من حيث درجة الشقاء؛ لأن ذلك يرتبط في المقام الأول بمدى رحمة الإنسان لهذه البهائم التي تشعر بالألم والتعب والإنهاك، ولو عرفت المحاورة لاشتكت.

ذات يوم في بداية سبعينيات القرن الماضي كانت الحمير في مدينة المكلا على موعد في دور مغايرة لمهامها التقليدية؛ لهذا زيّنت عرباتها بالأعلام الملونة والبالونات، وعلى أسطح العربات ركب أطفال الروضة وهم بكامل زينتهم، وطيف بهم في أرجاء المدينة في مشهد فرائحي مشهود، وكان صاحب الفكرة مدير الروضة وقتئذ السيد محمد سعيد مديجج، وبعد أكثر من عقدين من ذلك اليوم سألت السفير محمد سعيد مديجج عن مغزى فكرته الابتهاجية، فقال: كانت فعالية رمزية انطلت على الحكام وقتئذ، فكنت أريد توصيل رسالة تحذيرية بخطورة قيادة (الحمير) للتعليم في ذلك الزمن، الذي تقدم فيه الصفوف السياسي (الثوري) على المهني المحترف، وبعد أكثر من أربعة عقود من تلك الحادثة الرمزية ممكن القول للأستاذ محمد مديجج -رحمه الله- لقد وقعت الفأس في الرأس، وأنه لو تركت للحمير الأصيلة فرصة للقيادة في البلدان المتخلفة ربما سيكون أداؤها أفضل من بعض البشر فهي في الأقل تنفع ولا تضر، ثم إن الحمير لا يقتل بعضها البعض.

وفي سياق مقارب وفي قاعات الدرس الجامعي أحاول -عندما أتحدث إلى طلابي عن الانقلاب الصناعي في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي أو الثورة الصناعية كما وصفها بدقة المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي (١٨٩٨-١٩٧٥م)- توصيل فكرة هذه الثورة بأنها تقوم على أساس اختلاف معيار الطاقة بعد اختراع جيمس واط (١٧٣٦-١٨١٩م) لقوة البخار، فصارت الآلات تتحرك بسرعة بغير الحاجة لقوة الإنسان أو الحيوان، ومع تطور التقنيات الصناعية في مجالات متعددة مدنية وعسكرية في أوروبا صارت الحاجة للحيوانات في الزراعة أو المواصلات في حدود ضيقة وربما اختفت، وما بعد الثورة الصناعية تغير العالم بخطى متسارعة وبخاصة عند أولئك الذي راهنوا على استراتيجية العلم والإبداع والانطلاق، في الشرق عمومًا الحال غير الحال، وعلى الصعيد المحلي شهدت المدن الساحلية الحضرمية لا سيما المكلا في العقدين الأول والثاني من هذا القرن (٢١) العد التنازلي المتسارع للاستغناء عن (طاقة) الحمير، أما حُسر دوعن ومرتفعاتها الشامخة فما تزال عصية على الانحناء، وفي ذلك قال الشاعر حسين أبوبكر المحضار قصيدته الشعبية المشهورة التي من أبياتها:

مكانش يا حسر دوعن عسيرة
فلوس التاج ما قدرت توطيش

فاستمرت الحاجة لقوة الحيوان وما تزال بوصفها وسيلة لرفع الأثقال، ولسنا بصدد مقارنة في مستوى التطور بين حمير أوروبا وحمير العرب (أن الحمير تشابه علينا)، ثم إن هذا موضوع آخر مستقل. وبعودة إلى بدء فإن مدينة الهجرين التاريخية الجميلة بعد أن شق إليها طريق للسيارات تخفف العبء على الحمير العاملة فيها لكنها أي الحمير - استحقت الخلود في الثقافة الشفاهية المحلية فقد ارتبطت عبر مراحل من التاريخ بصمود أهلها واستجابتهم الحضارية الرائعة لتحديات البقاء، ولأن السلام ختام بقي أن نردد ما قاله الشاعر الشعبي مخاطبًا مدينة الهجرين:

(سلام يا أم الهجر يا دقم رحماني
يا الحيد يالمنتصب يا صنعة الرحمان)

ومني تعظيم سلام للهجرين وأهلها ....

114
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

أبو المرتضى*



د. عمر علوي بن شهاب

أعرني بيانًا منك يا مفخر اليمن ... أعرني لكي أستنطق الرسم واللمَن
فهل لي إلى مرقاك أيَّ بلاغة ... عجزتُ فعذرًا يا أبا المرتضى إذَنْ
تَلَمّستُ لي من بعد أو قبل مدرجًا ... سواك فمن هذا الذي يدنو منك مَن؟
لقد عَجزَت كل النساء بمثله ... وليدًا فريد العبقرية لا و لن
هنيئًا هنيئًا حضرموت فإنها ... به رجحت في كفة كل من وَزَن
لئن سكنوها أو ثووا في ديارها ... ففيك قد اختارت بأعماقك السكن
لثمت ثراها عاشقًا متعففًا ... تَشرّبتها في الروح والنفس والبَدَنْ
غَدَت فيك أنفاسًا تعيش بها فلا ... تبارحها حتى القيامة في قرن
فدع شانئًا من مدعي العلم عقّها ... فذو ورم لا شك ليس كذي سَمَن
كأنّ تريماً قابلتك ولم تجب ... على خَفَرٍ محمّرة رونق الوجن
كأني بها (بشراك) روحك حلّقت ... على فنن غنّت به طائرًا أغن
يصوغ بنبض الروح دُرًّا وعسجدًا ... قصيدًا من الوجدان رائعة الشَجَن
أجل شاد معمارًا من الشعر باذخًا ... وصمّم كم مبنى بفنٍ وأي فن!
لمئذنة المحضار فانظر ومثلها ... بسيئوننا قصرًا لسلطانها اشهدن
أفاض من العلم الغزير مناهلاً ... بها أذهل الألباب واستوقف الفطَن
وقد قام بالإسناد فيهم موجّهًا ... أحاديث عن خير النبيين ثم عن
أراد لكل الشعب عزًّا ورفعةً ... فساموه تنكيلاً دوافعها الضغَن
وأغروه بالأموال إذ كان مُعْوِزًا ... فقال بغير الروح للأرض لا ثَمَن
فهاجر قسرًا دون مقترف أتى ... سوى أنه ينحاز نحو أبي الحسَن
(ثلاثون عامًا في البعاد طويتَها) ... يعود لها والشوق أضناه والوَهَن
فقوبل لم تعرف مقابلة له ... كما قابلت من قبل مجتازة الإحن
عليك سلام الله يا من مضى وفي ... جميع خلايا جسمه يصدح الوطن
وتَبًّا لها من أُمّة قد تجاهلَت ... مكانتك العليا وأقعدها النَتَن
وطب في جنان الخلد يا نعمَ خالد ... سينصفه التاريخ في قادم الزمن
عليك صلاة بعد أحمد ختمها ... وآلٍ وصحبٍ ثم من تابع السنَن



الشاعر أبو بكر بن شهاب

* بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة الشاعر أبي بكر بن شهاب.

مركز حضرموت
للدراسات التاريخيه والتوثيق والنشر

إنجازات المركز في أربعة أعوام
(ديسمبر 2015 – ديسمبر 2019)

أولاً/ مجلة حضرموت الثقافية

تم بحمد الله إصدار 14 عددًا من مجلة حضرموت الثقافية، وتتكون الهيئة التحريرية للمجلة من كفاءات متخصصة ويتم إصدارها بصفة دورية متتابعة كل ثلاثة أشهر.

ثانيًا/ المحاضرات

تم بحمد الله تنفيذ وتنظيم 15 محاضرة علمية تخص الشأن الحضرمي تاريخيا وثقافيا واجتماعيا حاضر فيها مختصون، وحضرها وتفاعل معها جمهور كبير من الأساتذة والطلاب والمهتمين.

ثالثاً / ندوات علمية

تم تنظيم 6 ندوات اشتملت كل منها على العديد من الأوراق البحثية العلمية، الخاصة بالشأن الحضرمي، وتمت إقامتها في أماكن مختلفة في حضرموت.

رابعًا / حلقات النقاش

تم تنظيم 4 حلقات نقاش موسعة، ألقت الضوء على قضايا فكرية حضرمية مهمة، وأتاحت الفرصة لمناقشتها على نطاق واسع، وقد شهدت حضورا وتفاعلا.

خامسًا/ توقيع مذكرات تفاهم

تم توقيع ثلاث اتفاقيات ومذكرات تفاهم وشراكة مع ثلاثة مراكز بحثية فاعلة محلية ودولية لإثراء العمل المشترك، وتضافر الجهود وتكاملها.

سادساً/ رحلات بحثية

تم القيام برحلة علمية بحثية إلى إندونيسيا ضمت عشرة شخصيات بحثية لاستكشاف التراث الحضرمي في ذلك المهجر المهم، وتوثيق الصلة بين المركز والهيئات الإندونيسية.

سابعًا/ زيارات ميدانية

قام وفد علمي من المركز بعشرات الزيارات الميدانية الاستطلاعية التوثيقية لمدن (تريم وشبام، وسيئون، والريدة الشرقية، وقصيعر، والديس الشرقية، وكذلك بضة والخريبة).

ثامنًا/ أرشفة الوثائق التاريخية

قام وفد بحثي بزيارة ميدانية لكافة بلدان حضرموت بهدف توعية الناس بأهمية الوثائق والحفاظ عليها ما أسفر عن جمع أكثر من ربع مليون وثيقة وتصويرها وأرشفتها.

تاسعًا/ الخزانة الحضرمية

يعمل المركز على إنشاء برنامج الخزانة الحضرمية على غرار برنامج المكتبة الشاملة الشهير، يضم حاليًا أكثر من 700 كتاب مختص بالشأن اليمني والحضرمي تاريخيا واجتماعيا وثقافيا.

عاشرًا / الموسوعة الحضرمية

تدشين مشروع الموسوعة الحضرمية بأقسامها الخمسة، لتضم موسوعات (التاريخ) (الأعلام) (القبائل والأسر) (المواضع والبلدان) (المهاجرين والمهاجر الحضرمية).

حادي عشر/ المؤتمرات العلمية

عقد المركز خمسة مؤتمرات علمية، منها مؤتمر في العاصمة الإندونيسية جاكرتا عن فاعلية دور الحضارمة في أندونيسيا وأربعة في المكلا عن التاريخ والمؤرخين الحضارمة عبر القرون.

ثاني عشر/ إصدارات علمية

أصدر المركز 20 كتابا تعد مراجع مهمة في الشأن الحضرمي تغطي الكثير من الجوانب التاريخية والثقافية.

جائزة مركز حضرموت
للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

إدارة الدراسات والبحوث

مركز حضرموت للدراسات التاريخيه والتوثيق والنشر
HADHRAMAUT CENTRE
For Historical Studies
Documentation and Publicatin

موضوع الجائزة للعام 2020م

المعتقدات والديانات في حضرموت قبل الإسلام

مقدمة

عرفت حضرموت كغيرها من مناطق جنوب الجزيرة العربية عددًا من المعتقدات الدينية تبعاً لتطور منظومة تلك المعتقدات بحسب مراحلها التاريخية المختلفة، وهذه القضايا التاريخية لم تنل حظها من الدراسة العلمية المتعمقة، إذ ظلت بعضٌ من جوانبها بحاجة إلى مزيد من الدراسية وسبر أغوارها على امتداد وجودها في البيئة الحضرمية التاريخية.

وعليه فإن جائزة مركز حضرموت من خلال عنوانها العام تستهدف التركيز على دراسة إحدى القضايا التاريخية الآتية:

1. المعبودات الوثنية.
2. المعبودات الفلكية.
3. العمارة الدينية.
4. الطقوس الدينية.
5. الديانات السماوية.

الشروط العامة للجائزة

- أن تمتاز الأبحاث بالجدة، والأصالة، وسلامة المنهج.
- ألّا يكون البحث المقدم قد سبق نشره.
- ألّا يقل عدد صفحات البحث عن (40)، ولا يزيد عن (60) صفحة.
- أن يُكتب البحث بلغة عربية سليمة وصحيحة طباعيًا ولغويًا.
- حجم الخط المتن (16)، والهامش (14)، نوع الخط (Simplified Arabic).
- يجب على الباحث إرسال نسخة من بحثه بصيغة ملف (Word)، وملف (pdf)، عبر البريد الإلكتروني: hadcenter1@gmail.com
- يقدم المشارك سيرة ذاتية مختصرة يذكر فيها عنوانه الحالي، ورقم هاتفه للتواصل.
- تصبح الملكية الفكرية للبحوث الفائزة ملكًا للمركز، ويحق له طباعتها ونشرها وتوزيعها وبيعها.
- آخر موعد لاستلام الأبحاث 15 نوفمبر 2020م.
- موعد إعلان الفائزين بالجوائز 20 ديسمبر 2020م (في حفل خاص).

جوائز المسابقة

تمنح الجائزة سنويًا باسم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر وهي جائزة تشجيعية ومالية موزعة على النحو الآتي:

الأولى	الثانية	الثالثة
درع المركز + 300,000 ريال يمني	درع المركز + 200,000 ريال يمني	شهادة تقديرية + 150,000 ريال يمني